الشيخ / بكر محمد إبراهيم

# الدولـة الأمـويـة

الناشر

مركز الراية للنشر والأعلام

الكتـــــــاب : الدولة الأموية

التـــــأليف : الشيخ/ بكر محمد إبراهيم

الطبعـــــــة : الأولى سنة ٢٠٠٢

الناشـــــــر : **مركز الراية للنشر والإعلام**

القاهرة ٣٠ ميدان الحسين - مكتبة فكرى

تليفون : ٥٩٢٦٢١٩

**رقم الإيـــداع : ٢٠٠٢/٣٠٩٧**

**الترقيم الدولى : ISBN: 977-5967-69-4**

# مقدمة

الحمد لله مالك الملك يؤتى الملك من يشاء وينزع الملك لمن يشاء بيده الخير وهو على كل شئ قدير والصلاة والسلام على سيدنا محمد البشير النذير وعلى آله وصحبه وأزواجه الطيبين بين الطاهرين، أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ولا نظير، وأشهد أن سيدنا محمدا عبده ورسوله الصادق الوعد الأمين.

**وبعـــد ...**

فهذا كتاب الدولة الأموية يستعرض تاريخ الدولة الأموية التى حكمت العالم الإسلامى بعد عصر الخلفاء الراشدين، وقد مهدت لها بذكر الخلفاء الراشدين بإيجاز كمدخل للحديث عن هذه الدولة، ثم تعرضت لسيرة ملوك هذه الدولة وأولهم وأشهرهم معاوية بن أبى سفيان، وقد كان معاوية من الصحابة ومن كتاب الوحى ، وكان قريشيا من بيت عبد شمس وكان معروفا بالحلم والأناة والدهاء وسعة الحيلة .

وتعرضت لذكر بقية الملوك بعد معاوية مرورا بيزيد بن معاوية بن أبى سفيان ومقتل الأمام الحسين وواقعة الحرة وملك عبد الله بن الزبير وملك مروان بن الحكم ومن جاء بعده من الملوك حتى عهد مروان بن محمد ومصرعه .

ولاشك أن التاريخ مدرسة كبيرة نتعلم منها الدروس والعبر، وأن الحاضر امتداد للماضى، ومسيرة البشرية فيها الصواب والخطأ، ولابد أن نتعلم من التاريخ ونستفيد من دروسه لنستفيد من الصواب وننبذ الخطأ ونعرف مواضع القوة والضعف فى مسيرتنا .

ومن المعلوم أن الحضارة الإسلامية لها أياد بيضاء على الأمم الغربية وغيرها من الأمم والشعوب لأنها فى غالب أحوالها كانت تتحرى مبادئ العدالة والرحمة والتقدم فى كافة الميادين، وأن علوم المسلمين واكتشافاتهم كان لها أكبر الأثر فى الحضارة الغربية ولو كره الحاقدون ولا ننسى رواداً عظاماً أثروا الحضارة البشرية أمثال الخوارزمى، وجابر بن حيان، والفارابى، وابن النفيس والبيرونى، والحسن بن الهيثم ، وابن البيطار وغيرهم .

وقد نقل الأوربيون علوم العرب ونظم حضارتهم وتقدمهم السياسى والاقتصادى والعلمى والاجتماعى والحربى من عرب الأندلس إبان حكم العرب لها .

ولابد لنا وللناشئة من دراسة تاريخنا وسير أعلامنا ومعرفة جذورنا الممتدة فى أعماق التاريخ كأمة أصيلة تأثرت وأثرت فى الحضارة وأعلت شأن الإنسان ومجدت القيم السامية التى استلهمتها من عظمة الإسلام . ولا يكفى أن نفخر بتاريخ أجدادنا وعظمة ماضينا ولكن لابد لنا أن نطور أنفسنا ونجعل حاضرنا مشرفاً كما كان ماضينا ولا سبيل لذلك غير الاستمساك بهدى القرآن الكريم والسنة المطهرة، فقد أعزنا الله تعالى بالإسلام فمهما ابتغينا العزة فى غيره لانجد غير الذل والهوان ولن ينصلح حال هذه الأمة إلا بما صلح به أولها .

نسأل الله تعالى أن يلهمنا رشدنا ويتقبل عملنا ويثيب من أخرج هذا الكتاب وشارك فى نشره . وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

المؤلف

**بكر محمد إبراهيم**

رئيس أنصار السنة بالسلام

عضو اتحاد الكتاب

# خلافة أبى بكر الصديق

# رضى الله تعالى عنه

**تاريخه :**

بايع الناس أبا بكر الصديق رضى الله تعالى عنه، فى سقيفة بنى ساعدة بن كعب بن الخزرج الأنصارى، فى يوم الاثنين الذى توفى فيه رسول الله ﷺ، وتوفى أبو بكر ليلة الثلاثاء لثمان بقين من جمادى الآخرة سنة ثلاث عشرة من الهجرة، وهو ابن ثلاث وستين سنة، مستوفيا لعمر النبى ﷺ ، وهذا اتفاق فى سائر الروايات، وكان مولد أبى بكر بعد الفيل بثلاث سنين، وكانت ولايته سنتين وثلاثة أشهر وعشرة أيام، ودفن إلى جنب رسول الله ﷺ رأسه على كتف رسول الله ﷺ، كذلك قالت عائشة، وقد قيل: إن أبا بكر كانت خلافته سنتين وثلاثة أشهر وعشرين يوماً،

## نسبه، وأخباره وسيره

## (رضى الله عنه)

كان اسم أبى بكر رضى الله عنه عبد الله بن عثمان - وهو أبو قحافة- بن عامر بن عمرو بن كعب بن سعد بن تيم بن مرة بن كعب، وفى مرة يجتمع برسول الله ﷺ ، ولقبه عتيق، لبشارة رسول الله ﷺ إياه أنه عتيق الله من النار، فسمى يومئذ عتيقاً وهو الصحيح وقيل : إنما سمى عتيقا لعتق أمهاته، واستخلف وأبوه فى الحياة.

صفاتــه :

وكان أزهد الناس، وأكثرهم تواضعا فى أخلاقه ولباسه ومطعمه ومشربه وكان لبسه فى خلافته الشملة والعباءة.

## تواضعه وزهده ونسكه :

وقدم إليه زعماء العرب وأشرافهم وملوك اليمن وعليهم الحلل والحبرُ وبرود الوشى المثقل بالذهب والتيجان، فلما شاهدوا ما عليه من اللباس والزهد والتواضع والنسك، وما هو عليه من الوقار والهيبة ذهبوا مذهبه ونزعوا ما كان عليهم.

## وفود العرب إليه:

وكان ممن وفد عليه من ملوك اليمن ذو الكلاع ملك حمير، ومعه ألف عبد دون من كان معه من عشيرته، وعليه التاج والبرود والحلل، فلما شاهد من أبى بكر زهده ألقى ما كان عليه وتزيا بزيه، حتى إنه رؤى يوماً فى سوق من أسواق المدينة على كتفيه جلد شاة، ففزعت عشيرته لذلك وقالوا له : قد فضحتنا بين المهاجرين والأنصار، قال : أفأردتم منى أن أكون ملكا جباراً فى الجاهلية جباراً فى الإسلام، لاها الله، لا تكون طاعة الرب إلا بالتواضع لله والزهد فى هذه الدنيا، وتواضعت الملوك ومن ورد عليه من الوفود بعد التكبر، وذللوا بعد التجبر.

## بين أبى بكر وأبى سفيان:

وبلغ أبا بكر رضى الله عنه عن أبى سفيان صخر بن حرب أمر، فأحضره وأقبل يصيح عليه، وأبو سفيان يتملقه ويتذلل له، وأقبل أبو قحافة فسمع صياح أبى بكر، فقال لقائده: على من يصيح ابنى ؟ فقال له : على أبى سفيان، فدنا

من أبى بكر وقال له: أعلى أبى سفيان ترفع صوتك ياعتيق الله ؟ وقد كان بالأمس سيد قريش فى الجاهلية لقد تعديت طورك وجزت مقدارك فتبسم أبو بكر ومن حضره من المهاجرين والأنصار، وقال له› يا أبت، إن الله قد رفع بالإسلام قوما وأذل به آخرين.

ولم يتقلد أحد الخلافة وأبوه باق غير أبى بكر.

**نسب أمه :**

وأم أبى بكر سلمى – وتكنى : أم الخير– بنت صخر بن عمرو بن عامر ابن كعب بن سعد بن تيم بن مرة.

وارتدت العرب بعد استخلافه بعشرة أيام.

**أولاده:**

وكان له من الولد: عبد الله، وعبد الرحمن، ومحمد، فأما عبد الله فإنه شهد يوم الطائف مع النبى ﷺ فلحقته جراحة وبقى إلى خلافة أبيه أبى بكر، ومات في خلافته، وخلف سبعة دنانير، فاستكثرها أبو بكر، ولا عقب لعبد الله، وأما عبد الرحمن بن أبى بكر فإنه شهد يوم بدر مع المشركين، ثم أسلم فحسن إسلامه، ولعبد الرحمن أخبار، وله عقب كثير بدو وحضر فى ناحية الحجاز مما يلى الجادة من طريق العراق فى الموضع المعروف بالصفينيات والمسح، ومحمد بن أبى بكر، أمه أسماء بنت عميس الخثعمية، ومنها عقب جعفر بن أبى طالب، وخلف عليها حين استشهد عبد الله، وعونا ومحمدا بنى جعفر، فقتل عون ومحمد ابنا جعفر بالطف مع الحسين بن على، ولا عقب لهما، وعقب جعفر عن عبد الله بن جعفر، وولد لعبد الله بن جعفر: علي وإسماعيل وإسحاق ومعاوية، وتزوجها

بعده أبو بكر الصديق، فخلف منها محمدا، ثم تزوجها على بن أبى طالب فأولدها أولاداً درجوا، ولا عقب له منها، وأم أسماء العجوز الحريشية كان لها أربع بنات، وهذه العجوز أكثر الناس أصهارا، كانت ميمونة الهلالية تحت النبى ﷺ ، وأم الفضل تحت العباس بن عبد المطلب، وسلمى تحت حمزة بن عبد المطلب، وخلف منها بنتاً، وأسماء تحت من ذكرنا من جعفر وأبى بكر وعلى، والعقب من محمد بن أبى بكر قليل. وأم جعفر بن محمد بن على بن الحسين بن على بن أبى طالب أم فروة بنت القاسم بن محمد بن أبى بكر الصديق. وكان محمد بن أبى بكر يدعى عابد قريش لنسكه وزهده، ورباه على بن أبى طالب،

## موت أبى قحافة:

ومات أبو قحافة فى خلافة عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه! وهو ابن تسع وتسعين سنة، وذلك فى سنة ثلاث عشرة من الهجرة، وهى السنة التى استخلف فيها عمر بن الخطاب رضى الله عنه، وقد قيل : إنه مات في سنة أربع عشرة.

## يوم السقيفة :

ولما بويع أبو بكر فى يوم السقيفة وجددت البيعة له يوم الثلاثاء على العامة خرج على فقال: أفسدت علينا أمورنا، ولم تستشر، ولم ترع لنا حقا، فقال أبو بكر : بلى، ولكنى خشيت الفتنة، وكان للمهاجرين والأنصار يوم السقيفة خطب طويل، ومجاذبة فى الإمامة، وخرج سعد بن عبادة ولم يبايع. فصار إلى الشام، فقتل هناك فى سنة خمس عشرة، ولم يبايعه أحد من بنى هاشم حتى ماتت فاطمة رضى الله عنها.

**عدى بن حاتم الطائى:**

ولما ارتدت العرب إلا أهل المسجدين، ومن بينهما وإناساً من العرب، قدم عدى بن حاتم بإبل الصدقة إلى أبى بكر رضى اله تعالى عنه.

**علته:**

وكان أبو بكر رضى الله عنه قد سمته اليهود فى شئ من الطعام، وأكل معه الحارث بن كلدة فعمي، وكان السم لسنة، ومرض أبو بكر قبل وفاته بخمسة عشر يوماً.

**كلام له :**

ولما احتضر قال : ما أسَى على شيء إلا على ثلاث فعلتها وددت أنى تركتها، وثلاث تركتها وددت أنى فعلتها، وثلاث وددت أنى سألت رسول الله ﷺ عنها؛ فأما الثلاث التى فعلتها، ووددت أنى تركتها فوددت أنى لم أكن فتشت بيت فاطمة، وذكر فى ذلك كلاماً كثيراً، ووددت أنى لم أكن حرقت الفجاءة وأطلقته نجيحا أو قتلته صريحاً، ووددت أنى يوم سقيفة بنى ساعدة قذفت الأمر فى عنق أحد الرجلين فكان أميراً وكنت وزيراً، والثلاث التى تركتها ووددت أنى فعلتها ددت أنى يوم أتيت بالأشعث بن قيس أسيراً ضربت عنقه؛ فإنه قد خيل لى أنه لا يرى شرًا إلا أعانه، وودت أنى كنت قد قذفت المشرق بعمر بن الخطاب، فكنت قد بسطت يمينى وشمالى فى سبيل الله، وودت أنى يوم جهزت جيش الردة ورجعت أقمت مكانى فإن سلم المسلمون سلموا، وإن كان غير ذلك كنت صدر اللقاء أو مدداً، وكان أبو بكر قد بلغ مع الجيش إلي مرحلة من المدينة، وهو الموضع المعروف بذى القصة، والثلاث التى وددت أنى سألت رسول الله

ﷺ عنها وددت أني كنت سألته في من هذا الأمر؛ فلا ينازع الأمر أهله، ووددت أني سألته عن ميراث العمة وبنت الأخ فإن بنفسي منهما حاجة، ووددت أني سألته هل للأنصار في هذا الأمر نصيب فنعطيهم إياه.

**بناته:**

وخلف من البنات : أسماء ذات النطاقين، وهي أم عبد الله بن الزبير، وعمرت مائة سنة حتى عميت، وعائشة زوج النبي ﷺ .

**بيعة علي إياه:**

وقد تنوزع في بيعة علي بن أبي طالب إياه : فمنهم من قال : بايعه بعد موت فاطمة بعشرة أيام، وذلك بعد وفاة النبي ﷺ بنيف وسبعين يوماً، وقيل : بثلاثة أشهر، وقيل : ستة، وقيل غير ذلك.

**وصيته لأمراء جيشه:**

ولما أنفذ أبو بكر الأمراء إلى الشام كان فيما أوصى به يزيد بن أبي سفيان وهو مُشيع له، فقال له: إذا قدمت على أهل عملك فعدهم الخير وما بعده، وإذا وعدت فأنجز، ولا تكثرن عليهم الكلام، فإن بعضه ينسى بعضاً، وأصلح نفسك يصلح الناس لك، وإذا قدمت عليك رسل عدوك فأكرم منزلتهم، فإنه أول خيرك إليهم، وأقلل حبسهم حتى يخرجوا وهم جاهلون بما عندك،وامنع من قبلك من محادثتهم، وكن أنت الذي تلي كلامهم،

ولا تجعل سرك مع علانيتك فيمرج عملك، وإذا استشرت فاصدق الخبر تصدق لك المشورة، ولا تكتم المستشار فتؤتى من قبل نفسك، وإذا بلغك عن العدو عورة فاكتمها حتى تعاينها، واستر في عسكرك الأخبار وأذك حرسك،

وأكثر مفاجاتهم فى ليلك ونهارك، وأصدق اللقاء إذا لقيت، ولا تجبن فيجبن من سواك.

**الفتن :**

وفى أيامه خرج منها خبر العنسى الكذاب المعروف بعيهلة، باليمن وصنعاء، وتنبئ وقتل، وفيروز، وغيره وطليحة وسجاح بنت الحارث بن سويد، وقيل: بنت غطفان وتكنى أم صادر.

وقد كانت مع ادعائها النبوة مكذبة بنبوة مسيلمة الكذاب، ثم آمنت بنبوته، وكانت قبل ادعائها النبوة متكهنة تزعم أن سبيلها سبيل سطيح وابن سلمة والمأمون الحارثى، وعمرو بن لحى، وغيرهم من الكهان، وصارت إلى مسيلمة فنكحها، وما كان من خبر مسيلمة كذاب اليمامة، وحربه لخالد بن الوليد، وقتل وحشى له مع رجل من الأنصار، وذلك فى سنة إحدي عشرة، وما كان من أمره مع الأنصار فى يوم سقيفة بنى ساعدة والمهاجرين ، وقول المنذر بن الحباب: أنا جذيلها المحكك وعذيقها المرجب، أما والله إن شئتم لنعيدنها جذعة، وقصة سعد بن عبادة، وما كان من بشر بن سعد، وتخلى الأوس عن معاضدة سعد خوفاً أن يفوز بها الخزرج، وأخبار من قعد عن البيعة ومن بايع، وما قالت بنو هاشم، وما كان من قصة فدك، وما قاله أصحاب النص والاختيار فى الإمامة، ومن قال بإمامة المفضول وغيره، وما كان من فاطمة وكلامها متمثلة حين عدلت إلى قبر أبيها عليه السلام .

# خلافة عمر بن الخطاب

## (ر ضى الله عنه)

وبويع عمر بن الخطاب رضى الله عنه، فلما أن دخلت سنة ثلاث وعشرين خرج حاجا، فأقام الحج فى تلك السنة، ثم أقبل حتى دخل المدينة، فقتله فيروز أبو لؤلؤة غلام المغيرة بن شعبة يوم الأربعاء لأربع بقين من ذى الحجة تمام سنة ثلاث وعشرين، فكانت ولايته عشر سنين وستة أشهر وأربع ليالٍ ، وقتل فى صلاة الصبح، وهو ابن ثلاث وستين سنة، ودفن مع النبى ﷺ وأبى بكر ، عند رجلى النبى ﷺ ، وقيل: إن قبورهم مسطرة: أبو بكر إلى جنب النبى ﷺ ، وعمر إلى جنب أبى بكر، وحج في خلافته تسع حجج، وبعد أن قُتل صلى بالناس عبد الرحمن بن عوف، وجعلها شورى إلى ستة، وهم : علىّ، وعثمان، وطلحة، والزبير، وسعد، وعبد الرحمن بن عوف، وصلى عليه صُهيب الرومى، وكانت الشورى بعد ثلاثة أيام.

## نسبه وأخباره وسيره

هو عمر بن الخطاب بن نفيل بن عبد العزى بن قُرط بن رياح بن عبد الله ابن رزاح بن عدى بن كعب، وفى كعب يجتمع نسبه مع نسب النبى ﷺ ، وأمه حَنتمة بنت هشام بن المغيرة بن عبد الله بن عمرو بن مخزوم وكانت سوداء، وإنما سمى الفاروق لأنه فرق بين الحق والباطل، وكنيته أبو حفص، وهو أول من سمى بأمير المؤمنين، سماه عدىّ بن حاتم، وقيل غيره، والله أعلم، وكان أول من سلم عليه بها المغيرة بن شعبة، وأول من دعا له بهذا الاسم على المنبر أبو موسى الأشعرى وأبو موسى أول من كتب إليه: لعبد الله عمر أمير المؤمنين،

من أبى موسى الأشعرى فلما قرىء ذلك على عمر قال : إنى لعبد الله وإنى لعمر وإنى لأمير المؤمنين، والحمد لله رب العالمين.

**صفاته :**

وكان متواضعاً، خشن الملبس، شديداً فى ذات الله، واتبعه عماله فى سائر أفعاله وشيمه وأخلاقه، كل يتشبه به من غاب أو حضر، وكان يلبس الجبة الصوف المرقعة بالأديم وغيره، ويشتمل بالعباءة ، ويحمل القربة على كتفه مع هيبة قد رزقها، وكان أكثر ركابه الإبل، ورحله مشدودة بالليف، وكذلك عماله، مع ما فتح الله عليهم من البلاد وأوسعهم من الأموال.

**عماله:**

وكان من عماله سعيد بن عامر بن خريم فشكاه أهل حمص إليه وسألوه عزله ، فقال عمر : اللهم لا تُفل فراستى فيه اليوم وقال لهم : ماذا تشكون منه ؟ قالوا: لايخرج إلينا حتى يرتفع النهار، ولا يجيب أحداً بليل، وله يوم فى الشهر لايخرج إلينا ، فقال عمر: علىّ به، فلما جاء جمع بينهم وبينه، فقال ماتنقمون منه؟ قالوا: لايخرج إلينا حتى يرتفع النهار، فقال : ما تقول ياسعيد؟ قال: يا أمير المؤمنين، إنه ليس لأهلى خادم، فأعجن عجينى، ثم أجلس حتى يختمر ثم أخبز خبزى، ثم أتوضأ وأخرج إليهم، قال : وماذا تنقمون منه ؟ قالوا: لا يجيب بليل، قال : قد كنت أكره أن أذكر هذا، إنى جعلت الليل كله لربى، وجعلت النهار لهم، قال : وماذا تنقمون منه ؟ قالوا: له يوم فى الشهر لايخرج إلينا فيه، قال : نعم، ليس لى خادم فأغسل ثوبى ثم أجففه فأمسى، فقال عمر: الحمد لله الذى لم يُفل فراستى فيك ، يا أهل حمص، استوصُوا بواليكم خيراً، قال : ثم بعث إليه عمر

بألف دينار، وقال : استعن بها، فقالت له امرأته: قد أغنانا الله عن خدمتك، فقال لها : ألا ندفعها إلى من يأتينا بها أحوج ما كنا إليه؟ قالت : بلى، فصرها صررا ثم دفعها إلى من يثق به، وقال : انطلق بهذه الصرة إلى فلان، وبهذه إلى يتيم بنى فلان، وهذه إلى مسكين بنى فلان، حتى بقى منها شىء يسير، فدفعه إلى امرأته، وقال : أنفقى هذا، ثم غاد إلى خدمته، فقالت له امرأته: ألا تبعث إلى بذلك المال فنشترى لنا منه خادماً؟ فقال : سيأتيك أحوج ما تكونين إليه.

**سلمان الفارسى:**

ومن عماله على المدائن سلمان الفارسى، وكان يلبس الصوف، ويركب الحمار ببرذعته بغير إكاف، ويأكل خبز الشعير، وكان ناسكا زاهداً، فلما احتضر بالمدائن قال له سعد بن وقاص: أوصنى يا أبا عبد الله قال : نعم قال :

الله عندهمك إذا هممت ، وعند لسانك إذا حكمت، وعند يدك إذا قسمت، فجعل سلمان يبكى، فقال له: يا أبا عبد الله ما يبكيك؟ قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول: " إن في الآخرة عقبة لا يقطعها إلا المخفون" وأرى هذه الأساودة حولى، فنظروا فلم يجدوا فى البيت إلا إداوة وركوة ومطهرة.

**أبو عبيدة:**

وكان عامله على الشام أبا عبيدة بن الجراح، وكان يظهر للناس وعليه الصوف الجافى،فعذل على ذلك، وقيل له : إنك بالشام ووالى أمير المؤمنين وحولنا الأعداء، فغير من زيك، وأصلح من شارتك، فقال : ما كنت بالذى أترك ما كنت عليه فى عصر رسول الله ﷺ.

## عمر يحرض على الجهاد:

وذكر الواقدى فى كتابه فى فتوح الأمصار أن عمر قام فى المسجد، فحمد الله وأثنى عيه، ثم دعاهم إلى الجهاد وحثهم عليه وقال : إنكم قد أصبحتم فى غير دار مقام بالحجاز، وقد وعدكم النبىﷺ فتح بلاد كسرى وقيصر؛ فسيروا إلى أرض فارس، فقام أبو عبيد فقال: يا أمير المؤمنين أنا أول من انتدب من الناس، فلما انتدب أبو عبيد انتدب الناس، وقيل لعمر: أمر على الناس رجلا من المهاجرين أو الأنصار، فقال: لا أؤمر عليهم إلا أول من انتدب فأمر أبا عبيد، وفى حديث آخر أنه قيل له: أتؤمر رجلا من ثقيف على المهاجرين والأنصار؟

فقال : كان أول من انتدب فوليته، وقد أمرته أن لا يقطع أمراً دون مسلمة بن أسلم بن حريش وسليط بن قيس، وأعلمته أنهما من أهل بدر، وخرج فلقى جمعاً من العجم عليهم رجل يقال له جالينوس، فانهزم، وسار أبو عبيد حتى عبر الفرات، وعقد له بعض الدهاقين جسراً، فلما خلف الفرات وراءه أمر بقطع الجسر، فقال له مسلمة بن أسلم : أيها الرجل، إنه ليس لك علم بما نرى، وأنت تخالفنا، وسوف يهلك من معك من المسلمين بسوء سياستك، تأمر بجسر قد عقد أن يقطع فلا يجد المسلمون ملجأ من هذه الصحارى والبرارى فلا تريد إلا أن تهلكهم فى هذه القطعة فقال : أيها الرجل، تقدم فقاتل فقد حُم ماترى، وقال سليط : إن العرب لم تلق مثل جمع فارس قط، ولا كان لهم بقتالهم عادة، فاجعل لهم ملجأ ومرجعاً من هزيمة إن كانت، فقال : والله لا فعلت جبنت ياسليط، فقال سليط: والله ما جبنت، وأنا أجرأ منك نفساً وقبيلا، ولكن والله أشرت بالرأى، فلما قطع أبو عبيد الجسر والتحم الناس واشتد القتال نظرت العرب إلى الفيلة

عليها التجيافيف فرأوا شيئاً لم يروا مثله قط، فانهزم الناس جميعاً، ثم مات فى الفرات أكثر ممن قتل بالسيف ، وخالف أبو عبيد سليطاً ، وقد كان عمر أوصاه أن يستشيره ، ولا يخالفه، وكان رأى سليط أن لا يعبر حتى يعبروا إليه، ولا يقطع الجسر، فخالفه ، وقال سليط فى بعض قوله: لولا أنى أكره خلاف الطاعة لانحزت بالناس، ولكنى أسمع وأطيع، وإن كنت قد أخطأت وأشركنى عمر معك، فقال له أبو عبيد : تقدم أيها الرجل، فقال : افعل، فتقدما فقتلا جميعاً، وقد كان أبو عبيد فى هذا اليوم ترجل، وقد قتل من الفرس نحو ستة آلاف، فدنا من الفيل ورمحه فى يده فطعنه فى عينه، فخبط الفيل أبا عبيد بيده، وجال الناس، وتراجعت رجال فارس، فأخذ الناس السيف لما قتل أبو عبيد، وبادر رجل من بكر بن وائل والمثنى بن حارثة فحمى الناس حتى عقدوا الجسر فعبروا ومعهم المثنى حارثة، وقد فقد من الناس أربعة آلاف غرقاً وقتلا، وكان على جيش فارس فى هذا اليوم جاذويه، ومعه راية فارس التى كانت لأفريدون، حتى ثار الناس من الوهاد، وهى المعروفة بدرفش كلويان وكانت من جلود النمور طولها اثنا عشر ذراعا فى عرض ثمانية أذرع على خشب طوال موصل، وكانت فارس تقيمن بها وتظهرها فى الأمر الشديد.

ولما قتل أبو عبيد الثقفى بالجسر شق ذلك على عمر وعلى المسلمين ، فخطب عمر الناس وحثهم على الجهاد، وأمرهم بالتأهب لأرض العراق، وعسكر عمر بصرار وهو يريد الشخوص، وقد استعمل على مقدمته طلحة بن عبيد الله، وعلى ميمنته الزبير بن العوام، وعلي ميسرته عبد الرحمن بن عوف ، ودعا الناس، فاستشارهم فأشاروا عليه بالسير، ثم قال لعلى: ما ترى يا أبا الحسن، أسير أم أبعث؟ قال : سر بنفسك فإنه أهيب للعدو وأرهب له، فخرج من عنده ،

فدعا العباس فى جلة من مشيخة قريش وشاورهم، فقالوا: أقم وأبعث غيرك ليكون للمسلمين إن انهزموا فئة، وخرجوا، فدخل إليه عبد الرحمن بن عوف، فاستشاره، فقال عبد الرحمن: فُديت بأبى وأمى، أقم وابعث ، فإنه إن انهزم جيشك فليس ذلك كهزيمتك، وإنك إن تُهزم أو تُقتل يكفر المسلمون ولا يشهدوا أن لا إله إلا الله أبداً، قال : أشر علَى من أبعث؟ قال : قلت : سعد بن أبى وقاص، قال عمر: أعلم أن سعداً رجل شجاع، ولكنى أخشى أن لايكون له معرفة بتدبير الحرب، قال عبد الرحمن : هو على ما تصف من الشجاعة، وقد صحب رسول الله ﷺ وشهد بدراً فاعهد إيه وشاورنا فيما أردت أن تحدث إليه، فإنه لن يخالف أمرك، ثم خرج فدخل عثمان عليه، فقال له : يا أبا عبد الله أشر على أسير أم أقيم؟ فقال عثمان: أقم يا أمير المؤمنين وابعث بالجيوش، فإنه لا آمن إن أتى عليك آت أن ترجع العرب عن الإسلام، ولكن ابعث الجيوش وداركها بعضها على بعض، وأبعث رجلا له تجربة بالحرب وبصر بها، قال عمر: ومن هو؟ قال : على بن أبى طالب، قال : فالْقه وكلمه وذاكره ذلك، فهل تراه مسرعاً إليه أو لا، فخرج عثمان فلقى علياً فذاكره ذلك، فأبى على ذلك وكرهه، فعاد عثمان إلى عمر فأخبره، فقال له عمر: ومن ترى ؟ قال : سعيد بن زيد بن عمرو ابن نفيل: قال : ليس بصاحب ذلك، قال عثمان : طلحة بن عبيد الله، قال له عمر: أين أنت من رجل شجاع ضروب بالسيف رام بالنبل ، ولكنى أخشى أن لا يكون له معرفة بتدبير الحرب ؟ قال : ومن هو يا أمير المؤمنين؟ قال : سعد ابن أبى وقاص : فقال عثمان: هو صاحب ذاك؛ ولكنه رجل غائب وما منعنى من ذكره إلا أنى قلت : رجل غائب فى عمل ، فقال عمر: أرى أن أوجهه، وأكتب إليه أن يسير من وجهه ذلك، فقال عثمان: ومُره فليشاور قوماً من أهل التجربة

والبصر بالحرب، ولا يقطع الأمور حتى يشاورهم، ففعل عمر ذلك وكتب إلى سعد بالتوجه نحو العراق.

وقد كان جرير بن عبد الله البجلى قدم على عمر- وقد اجتمع إليه بجيلة فسرحهم نحو العراق، وجعل لهم ربع ما ظهروا عليه من السواد، وساهمهم مع المسلمين، وخرج عمر فشيعهم، ولحق جرير بناحية الأبلة ثم صاعد إلى ناحية المدائن، ونمى قدوم جرير إلى مرزبان المدائن وكان فى عشرة آلاف من فارس من الأساورة، وذلك بعد يوم الجسر ومقتل أبى عبيد وسليط، فقال بجيلة لجرير: أعبر الدجلة إلى المدائن، فقال جرير: ليس ذلك بالرأى، وقد مضى لكم فى ذلك عبرة بمن قتل من أخوانكم يوم الجسر، ولكن أمهلوا القوم ؛ فإن جمعهم كثير حتى يعبروا إليكم، فإن فعلوا فهو الظفر إن شاء الله تعالى ، فأقامت الفرس أياماً بالمدائن،

ثم أخذوا فى العبور، فلما عبر منهم النصف أو نحوه حمل عليهم جرير فيمن تسرع معه من بجيلة، فثبتوا ساعة، فقتل المرزبان، وأخذهم السيف، وغرق أكثرهم فى دجلة، وأخذ المسلمون ماكان فى عسكرهم، وسار جرير فاجتمع مع المثنى بن حارثة الشيبانى بالبجلة، فأقبل إليهما مهران فى جيوشه، فامتنع المسلمون من العبور إليهم، فعبر مهران وبغى على المسلمين، فالتقوا وصبر الفريقان جميعاً حتى قتل مهران قتله جرير بن عبد الله البجلي وحسان بن المنذر بن ضرار الضبى، ضربه البجلى، وطعنه الضبى، وفاز جرير بمنطقته وسلبه وتنازع جرير وحسان فى أيهما قاتل لمهران، وقد كان جرير ضربه بعد أن طعنه حسان.

وقد تنازع أهل الأخبار والسير فى جرير والمثنى: فمن الناس من ذهب إلى أن جريراً كان هو المولى على الجيش، ومنهم من رأى أن جريراً علي قومه والمثنى على قومه.

ولما قتل مهران أعظمت الفرس ذلك، وسار شيرازاد فى جمع فارس الأعظم وكنيته بوران؛ وقد كانت جمهرة الأساورة تقدمت وتقدم أمامهم رستم، فتنحى المسلمون لما بلغهم مسيره ، فلحق جرير بكاظمة فنزلها ، وسار المثنى بقومه من بكر بن وائل فنزل بسيراف، وبها آبار كثيرة بين الكوفة وزبالة على ثلاثة أميال من المنزل المعروف بواقصة، وكان المثنى قد أصيب بجراحات كثيرة فى بدنه يوم الجسر وغيره فمات بسيراف، رحمه الله تعالى!.

## سعد بن أبى وقاص :

ولما ورد كتاب عمر على سعد بن أبى وقاص نزل زبالة على حسب ما أمره به عمر، ثم أتى سيراف، وأتاه الناس من الشام وغيرها، ثم سار فنزل العذيب وهو على فم البر وطرف السواد مما يلى القادسية، فالتقى جيش المسلمين وجيش الفرس وعليهم رستم، والمسلمون يومئذ فى ثمانية وثمانين ألفا وقيل: إن من أسهم له ثلاثون ألفا والمشركون فى ستين ألفا، أمام جيوشهم الفيلة عليها الرجال، وحرض الناس بعضهم بعضاً، وبرز أهل النجدات، فأنشبوا القتال، وخرج إليهم أقرانهم من صناديد فارس، فاعتوروا الضرب والطعن، وخرج غالب بن عبد الله الأسدى فى من خرج ذلك اليوم .

فخرج إليه هرمز- وكان من ملوك الباب والأبواب، وكان متوجاً - فأسره غالب أسراً، فأتى به سعداً، وكر راجعاً إلى المطاردة، وحمي الوطيس.

فبرز إليه عظيم من أساورتهم، فجالا، ثم إن الفارسى ولى، واتبعه عاصم حتى لجأ إلى صفوفهم ، وعموه، وغاص عاصم بينهم حتى أيس الناس منه، ثم خرج فى مجنبات القلب، وقدامه بغل عليه صناديق موكبية بآلة حسنة، فأتى به سعد بن مالك وعلى البغل رجل عليه مقطعات ديباج وقلنسوة مذهبه، وإذا هو خباز الملك، وفى الصناديق لطائف الملك من الأخبصة والعسل المعقود، فلما نظر إليه سعد قال: انطلقوا به إلى أهل موقفه، وقولوا: إن الأمير قد نفلكم هذا فكلوه ففعلوا.

## أيام القادسية:

**وكانت وقعة القادسية فى المحرم سنة أربع عشرة، ومال من الفيلة سبعة عشر فيلا على كل فيل عشرون رجلا، وعلى الفيلة تجافيف الحديد والقرون مجللة بالديباج والحرير نحو بجيلة، وحول الفيلة الرجال والخيول، فبعث سعد إلى بنى أسد لما نظر إلي المراكب والفيول قد مالت إلي بجيلة، فأمرهم بمعونتهم، ومالت عشرون فيلا نحو القلب، فخرج طلحة بن خويلد الأسدى مع فرسان بنى أسد فقتل منهم خمسمائة رجل سوى من قتل من غيرهم فباشروا قتال الفيلة حتى أوقوفها، واشتد الجلاد على بنى أسد فى هذا اليوم من سائر الناس، وهذا اليوم يعرف بيوم أغواث.**

فلما أصبح الناس فى اليوم الثانى أشرف على الناس خيول المسلمين من الشام، والأمداد سائرة قد غطت بأسنتها الشمس عليها هاشم بن عتبة بن أبى وقاص فى خمسة آلاف فارس من بنى ربيعة ومضر وألف من اليمن ، ومعهم القعقاع بن عمرو، وذلك بعد فتح دمشق بشهر، وقد كان عمر رضى الله عنه كتب إلى أبى عبيدة بن الجراح بصرف أصحاب خالد بن الوليد إلى العراق، ولم

يذكر فى كتابه خالداً، فشح أبو عبيدة بتخلية خالد عن يده، وبعث برجاله وعليهم هاشم بن عتبة، وقد كان فى نفس عمر على خالد أشياء من أيام أبى بكر فى قصة مالك بن نويرة، وغير ذلك، وكان خالد بن الوليد خال عمر، فتقدم القعقاع إلى أوائل المدد، فأيقن أهل القادسية بالنصر على فارس، وزال عنهم ما لحقهم بالأمس من القتل والجراح، وبرز القعقاع حين وروده أمام الصف ونادى : هل من مبارز ؟ فبرز إليه عظيم منهم: فقال له القعقاع : من أنت؟ قال : أنا بهمن بن جاذويه، وهو المعروف بذى الحاجب ، فنادى القعقاع: يالثارات أبى عبيد وسليط وأصحابهم يوم الجسر!! وقد كان ذو الحاجب مبارزاً لهم فجالا، فقتله القعقاع، ويقال : إن القعقاع قتل فى ذلك اليوم ثلاثين رجلا فى ثلاثين حملة، كل حملة يقتل فيها رجلا، وكان آخر من قتل عظيما من عظمائهم يقال له بزرجمهر.

وبارز فى ذلك اليوم الأعور بن قطبة شهريار سجستان فقتل كل واحد منهما صاحبه .

واعتل سعد فتخلف في حصن العذيب، وجلس فى أعلاه يشرف على الناس، وقد تواقف الفريقان جميعاً، وأمسى الناس ينتمون، فلما سمع ذلك سعد قال لمن كان عنده فى أعلى القصر: إن تم الناس على الانتماء فلا توقظونى فإنهم أقوياء على عدوهم، وإن سكتوا فأيقظونى فإن ذلك شر، واشتد القتال فى الليل.

## أبو محجن الثقفى:

وكان أبو محجن الثقفى محبوساً فى أسفل القصر، فسمع انتماء الناس إلى آبائهم وعشائرهم، ووقع الحديد وشدة البأس، فتأسف على ما يفوته من تلك

المواقف، فحبا حتى صعد إلى سعد يستشفعه ويستقيله، ويسأله أن يخلّى عنه ليخرج، فزجره سعد ورده، فانحدر راجعاً، فنظر إلي سلمى بنت حفصة زوجة المثنى بن حارثة الشيباني، وقد كان سعد تزوجها بعده، فقال : يابنت حفصة، هل لك في خير؟ فقالت : وما ذاك؟ قال : تخلين عنى وتعيرنى البلقاء ولله عليَّ إن سلمنى الله أن أرجع إليك حتى أضع رجلى فى القيد، فقالت: وما أنا وذلك؟ فرجع يرسف فى قيده.

فقالت سلمى : إني استخرت الله ورضيت بعهدك ، فأطلقته، وقالت: شأنك وما أردت، فاقتاد بلقاء سعد، وأخرجها من باب القصر الذى يلى الخندق، فركبها ثم دب عليها، حتى إذا كان بحيال ميمنة المسلمين كبر، ثم حمل على ميسرة القوم يلعب برمحه وسلاحه بين الصفين، فأوقف ميسرتهم وقتل رجالا كثيراً من فُتاكهم، ونكس آخرين ، والفريقان يرمقونه بأبصارهم، وقد تنوزع فى البلقاء فمنهم من قال : إنه ركبها عُريا، ومنهم من قال : بل ركبها بسرج، ثم غاص في المسلمين، فخرج فى ميسرتهم، وحمل على ميمنة القوم فأوقفهم، وجعل يلعب برمحه وسلاحه لا يبدو له فارس إلا هتكه، فأوقفهم، وهابته الرجال، ثم رجع فغاص فى قلب المسلمين، ثم برز أمامهم ووقف بإزاء قلب المشركين، ففعل مثل أفعاله فى الميمنة والميسرة، وأوقف القلب حتى لم يبرز منهم فارس إلا اختطفه، وحمل عن المسلمين الحرب، فتعجب الناس منه، وقالوا: من هذا الفارس الذى لم نره فى يومنا؟ فقال بعضهم : هو ممن قدم علينا من إخواننا من الشام من أصحاب هاشم بن عتبة ، وقال بعضهم : إن كان الخضر عليه السلام يشهد الحرب فهذا هو الخضر قد من الله به علينا وهو نصرنا على عدونا، وقال قائل منهم: لولا أن الملائكة لا تباشر الحروب لقلنا إنه ملك، وأبو

محجن كالليث الضرغام قد هتك الفرسان كالعقاب يجول عليهم، ومن حضر من فرسان المسلمين مثل عمرو بن معد يكرب وطلحة بن خويلد والقعقاع بن عمرو وهاشم بن عتبة المرقال وسائر فُتاك العرب وأبطالها ينظرون إليه ، وقد حاروا فى أمره، وجعل سعد يفكر ويقول وهو مُشرف على الناس من فوق القصر: والله لولا محبس أبى محجن لقلت هذا أبو محجن وهذه البلقاء، فلما انتصف الليل تحاجز الناس، وتراجعت الفرس على أعقابها وتراجع المسلمون إلى مواضعهم على بقيتهم ومصافهم، وأقبل أبو محجن حتى دخل القصر من حيث خرج ولا يعلم به، ورد البلقاء إلى مربطها وعاد فى محبسه ووضع رجله فى القيد.

فقالت له سلمى: يا أبا محجن، فى أى شئ حبسك هذا الرجل؟ تعنى سعداً، قال : والله ما حبسنى بحرام أكلته ولا شربته، ولكنى كنت صاحب شراب في الجاهلية، وأنا أمرؤ شاعر يدب الشعر على لسانى فأصف الكرمة والعنب وتداخلنى أريحية فألتذ بمدحى إياها ، لأنى قلت فيها :

إذا مت فادفننى إلى جنب كرمة ۝ تروى عظامى بعد موتى عروقها

ولا تدفننى بالفلاة فإننى ۝ أخاف إذا مت أن لا أذوقها

وقد كان بين سلمى وسعد كلام كثير أوجب غضبه عليها، لذكرها المثنى عند مختلف القنا، فاقامت مغاضبة له عشية أغواث وليلة الهرير وليلة السواد، حتى إذا أصبحت أتته فترضته وصالحته، ثم أخبرته خبرها مع أبى محجن، فدعا به، فأطلقه وقال : اذهب فما أنا مؤاخذك بشىء تقوله حتى تفعله، قال : لا جرم والله لا أجبت لسانى إلى صفة قبيح أبداً.

## يوم عماس:

وأصبح الناس في اليوم الثالث وهم على مصافهم، وهو يوم عماس، وأصبحت الأعاجم على مواقفها، وأصبح بين الفريقين كالرجلة الحمراء- يعنى الحرة- في عرض مابين الصفين، وقد قتل من المسلمين ألفان وخمسمائة مابين رثيث (جريح) وميت، وقتل من الأعاجم مالا يحصى ، فقال سعد : أيها الناس، من شاء غسل الشهيد الميت والرثيث، ومن شاء فليدفنهم بدمائهم، وأقبل المسلمون على قتلاهم فأحرزوهم وجعلوهم وراء ظهورهم، وكان النساء والصبيان يدفنون الشهيد ويحملون الرثيث إلى النساء ويعالجونهم من كلومهم (جروحهم)، وكان بين موضع الوقعة مما يلي القادسية وبين حصن العذيب نخلة، فإذا حمل الجريح وفيه تمييز وعقل ونظر إلى تلك النخلة - ولم يكن هناك يومئذ نخلة غيرها ، قال لحامله: قد قربت من السوداء، فأريحوني تحت ظل هذه النخلة، فيراح تحتها ساعة،

وأصبح الناس صبيحة يوم القادسية، وهي صبيحة ليلة الهرير، وهي : تسمى ليلة القادسية من تلك الأيام، والناس حيارى ولم يغمضوا ليلتهم كلها، وحرض رؤساء القبائل عشائرهم، واشتد الجلاد إلى أن جاء وقت الزوال ، فكان أول من زال حين قام قائم الظهيرة الهرمزان والنير مران، فتأخرا، وثبتا حيث انتهيا، وانفرج القلب حين قام قائم الظهيرة، وهبت ريح عاصف فقطعت طيارة رستم عن سريره، فهوت في نهر العتيق والريح دبور، فمال الغبار عليهم وانتهى القعقاع وأصحابه إلى سرير رستم فعثروا به وقد قام رستم عنه حين طارت الريح بالطيارة إلى بغال قد قدمت عليهم بمال يومئذ فهي واقفة فاستظل في ظل بغل منها وحمله، وضرب هلال بن علقمة الحمل الذي رستم في ظله فقطع

حباله، ووقع على رستم أحد العدلين ولا يراه هلال ولا يشعر به، فأزال من ظهره فقارة وضربه هلال ضربة فنفحت مسكا، ومضى رستم إلى نحو نهر العتيق فرمى بنفسه فيه، واقتحم هلال عليه فتناولة برجله، ثم خرج به إلى الخندق وضربه بالسيف حتى قتله، ثم جاء به يجره حتى رماه بين أرجل البغال وصعد السرير ونادى : قتلت رستم ورب الكعبة ، إلىَّ إلىَّ، فطاف به الناس لايحسون السرير ولا يرونه، وتنادوا، وتجبنت قلوب المشركين عندها وانهزموا وأخذهم السيف، فمن غريق وقتيل، وقد كان ثلاثون ألفاً منهم قرنوا أنفسهم بعضهم إلى بعض بالسلاسل والحبال وتحالفوا بالنور وبيوت النيران لا يبرحون حتى يقتحموا أو يقتلوا، فجثوا على الركب، وقرع بين أيديهم قناديل النشاب، فقتل القوم جميعاً.

وقد تنوزع فيمن قتل رستم: فذهب الأكثر إلى أن قاتله هلال بن علقمة من تيم الرباب ، ومنهم من رأى أن قاتله رجل من بنى أسد.

وأخذ ضرار بن الخطاب فى ذلك اليوم من فارس الراية العظمى المقدم ذكرها أنها من جلود النمور المعروفة بدرفش كاويان، وكانت مرصعة بالياقوت واللؤلؤ وأنواع الجواهر، فعوض منها بثلاثين ألفاً، وكانت قيمتها ألفى ألف ومائتى ألف، وقتل فى ذلك اليوم حول هذه الراية - وغيرهم - عشرة آلاف.

## تحديد تاريخ القادسية:

وقد تنازع الناس ممن سلف وخلف فى عام القادسية والعذيب؛ فذهب كثير من الناس إلى أن ذلك كان فى سنة ست عشرة، وهذا قول الواقدى عن آخرين من الناس، ومنهم من ذهب إلى أن ذلك كان فى سنة خمس عشرة،

ومنهم من رأى أنه كان فى سنة أربع عشرة، والذى قطع عليه محمد بن إسحاق أنها كانت فى سنة خمس عشرة،

وقال : فى سنة أربع عشرة أمر عمر بن الخطاب بالقيام فى شهر رمضان لصلاة التراويح والذين ذهبوا إلى أن وقعة القادسية كانت فى سنة أربع عشرة احتجوا بهذه الرواية، وكتب عمر إلى الأمصار بإقامة صلاة التراويح ، وذهب كثير من الناس منهم المدائنى وغيره أن عمر أنفذ عتبة بن غزوان فى سنة أربع عشرة إلى البصرة فنزلها ومصرها، وذهب كثير من الناس أنها مُصرت فى ربيع سنة ست عشرة، وأن عتبة بن غزوان إنما خرج إليها من المدائن بعد فرا غ سعد بن أبي وقاص من حرب جلولا، وتكريت وأن عتبة قدم البصرة وهى يومئذ تدعى أرض الهند وفيها حجارة بيض فنزل موضع الخريبة، ومصر سعد بن أبي وقاص الكوفة فى سنة خمس عشرة، ودلهم علي موضعها ابن نفيلة الغسانى ، وقال سعد: أدلك على أرض ارتفعت عن البر وانحدرت عن الفلاة، فدله على موضع الكوفة اليوم.

## أبو لؤلؤة غلام المغيرة ابن شعبة:

قال المسعودى: وكان عمر لايترك أحداً من العجم يدخل المدينة، فكتب إليه المغيرة بن شعبة: إن عندى غلاماً نقاشاً نجاراً حداداً فيه منافع لأهل المدينة، فإن رأيت أن تأذن لى فى الإرسال به فعلت ، فأذن له، وقد كان المغيرة جعل عليه كل يوم درهمين، وكان يدعى أبا لؤلؤة، وكان مجوسياً من أهل نهاوند ، فلبث ما شاء الله، ثم أتى عمر يشكو إليه ثقل خراجه، فقال له عمر: وما تحسن من الأعمال؟ قال : نقاش نجار حداد، فقال له عمر: ما خراجك بكثير فى كنه ما

تحسن من الأعمال، فمضى عنه وهو يتذمر، قال : ثم مر بعمر يوماً آخر وهو قاعد، فقال له عمر: ألم أحدث عنك أنك تقول: لو شئت أن أصنع رَحاً تطحن بالريح لفعلت، فقال أبو لؤلؤة: لأصنعن لك رحا يتحدث الناس بها، ومضى أبو لؤلؤة ، فقال عمر: أما العلج (الكافر) فقد توعدنى آنفاً، فلما أزمع بالذى أوعد به، أخذ خنجراً فاشتمل عليه ثم قعد لعمر فى زاوية من زوايا المسجد فى الغلس، وكان عمر يخرج فى السحر فيوقظ الناس للصلاة، فمر به، فثار إليه فطعنه ثلاث طعنات إحداهن تحت سرته وهى التى قتله، وطعن اثنى عشر رجلا من أهل المسجد فمات منهم ستة وبقى ستة، ونحر نفسه بخنجر ، فمات ، فدخل عليه ابنه عبد الله بن عمر وهو يجود بنفسه، فقال له : يا أمير المؤمنين، استخلف على أمة محمد، فإنه لو جاءك راعى إبلك أو غنمك وترك إبله أو غنمه لا راعى لها للمته وقلت له : كيف تركت أمانتك ضائعة؟ فكيف يا أمير المؤمنين بأمة محمد؟ فاستخلف عليهم، فقال : إن أستخلف عليهم فقد استخلف عليهم أبو بكر، وإن أتركهم فقد تركهم رسول الله ﷺ ، فيئس منه عبد الله حين سمع ذلك منه.

وكان إسلام عمر قبل الهجرة بأربع سنين وكان يخضب بالحناء والكتم.

## أولاد عمر:

وكان له من الولد : عبد الله ، وحفصة زوج النبى ﷺ ، وعاصم، وعبيد الله، وزيد، من أم ، وعبد الرحمن ، وفاطمة، وبنات أخر، وعبد الرحمن الأصغر- وهو المحدود فى الشراب، وهو المعروف بأبى شحمة - من أم.

## عمر وابن عباس :

وذكر عبد الله بن عباس أن عمر أرسل إليه فقال : يا ابن عباس، إن عامل حمص هلك، وكان من أهل الخير ، وأهل الخيرقليل، وقد رجوت أن تكون منهم، وفي نفسي منك شيء لم أره منك، وأعياني ذلك، فما رأيك في العمل؟ قال . لن أعمل حتى تخبرني بالذي في نفسك، قال : وما تريد إلي ذلك؟قال : أريده، فإن كان شيء أخاف منه على نفسي خشيت منه عليها الذي خشيت ، وإن كنت بريئاً من مثله علمت أني لست من أهله، فقبلت عملك هنالك، فإني قلما رأيتك طلبت شيئا إلا عاجلته، فقال : يا ابن عباس، إني خشيت أن يأتي عليَّ الذي هو آت وأنت في عملك فتقول : هلم إلينا، ولا هلم إليكم دون غيركم، إني رأيت رسول الله ﷺ استعمل الناس وترككم، قال : والله قد رأيت من ذلك، فلم تراه فعل ذلك؟ قال : والله ما أدري أضن بكم عن العمل فأهل ذلك أنتم، أم خشي أن تبايعوا بمنزلتكم منه فيقع العتاب، ولابد من عتاب، وقد فرغت لك من ذلك ، فما رأيك ؟ قال : قلت: أرى أن لا أعمل لك، قال : ولم ؟ قلت : إن عملت لك وفي نفسك مافيها لم أبرح قذى في عينك، قال : فأشر عليَّ، قلت: إني أرى أن تستعمل صحيحا منك صحيحا لك.

## عمر يستعمل النعمان بن مقرن غازيا لنهاوند:

وذكر علقمة بن عبد الله المزني، عن معقل بن يسار، أن عمر بن الخطاب شاور الهرمزان في فارس وإصبهان وأذربيجان، فقال له: أصبهان الرأس، وفارس وأذربيجان الجناحان، فإن قطعت أحد الجناحين ناء الرأس بالجناح الآخر، وإن قطعت الرأس وقع الجناحان، فابدأ بالرأس، فدخل المسجد فإذا هو بالنعمان ابن مُقرن يصلي، فقعد إلى جنبه، فلما قضى صلاته قال : ما أراني

إلا مستعملك، قال : أما جابيا فلا، ولكن غازيا، قال : فإنك غاز، فوجهه وكتب إلى أهل الكوفة أن يمدوه، وبعث معه الزبير بن العوام، وعمرو بن معد يكرب، وحذيفة، وابن عمرو، والأشعث بن قيس ، فأرسل النعمان المغيرة بن شعبة إلى ملكهم، وهو يقال له ذو الجناحين، فقطع إليهم نهرهم، فقيل لذى الجناحين: إن رسول العرب هاهنا، فشاور أصحابه، فقال: ما ترون؟ فقالوا: اقعد له فى بهجة الملك أو اقعد له فى هيئة الحرب، فقال : بل أقعد له فى بهجة الملك، فصعد على سريره ووضع التاج على رأسه وأقعد أبناء الملوك سماطين عليهم الأقراط وأسورة الذهب والديباج، وأذن للمغيرة، فأخذ بضبعيه رجلان ومعهم سيفه ورمحه قال: فجعل المغيرة يطعن برمحه فى بُسطهم يخرقها لينظروا فيغضبهم بذلك حتى قام بين يديه وجعل يكلمه والترجمان يترجم بينهما.

فقال : إنكم معشر العرب أصابكم جهد، فإن شئتم أمرنا لكم ورجعتم ، فتكلم المغيرة، فحمدالله وأثنى عليه، ثم قال : إنا معشر العرب كنا أذلة يطؤنا الناس ولا نطؤهم، ونأكل الكلاب والجيف، ثم إن الله تعالى بعث منا نبيا فى شرف منا أوسطنا حسبا وأصدقنا حديثاً، وبعث النبى ﷺ ببعثه، وأخبرنا بأشياء وجدناها كما قال لنا، وإنه وعدنا فيما وعدنا به أنا سنملك ما هاهنا ونغلب عليه ، وإنى أرى هاهنا هيئة وبزة مامَنْ خلفى بتاركيها حتى يصيبوها أو يموتوا، فقالت لى نفسى : لوجمعت جراميزك ووثبت فقعدت مع العلج على سريره حتى يتطير، قال: فوثبت وثبة فإذا أنا معه على سريره، فجعلوا يلكزوننى بأرجلهم ويجذبوننى بأيديهم، فقلت لهم: إنا لا نفعل برُسلكم هكذا، وإن كنت قد فجرت واستخففت فلا تؤاخذونى، فإن الرسل لا يصنع بها هكذا، فقال الملك : إن شئتم قطعنا إليكم وإن شئتم قطعتم إلينا، قلت : بل نقطع إليكم ، فقطعنا

إليهم، قال : فتسلسلوا كل خمسة وستة حتى لا يفروا. فدنونا إليهم فصافقناهم، فرشقونا حتى أشعروا فينا، فقال المغيرة للنعمان: إنه قد أشرع فى الناس وقد جرحوا، فلو حملت، فقال النعمان: إنك لذو مناقب، وقد شهدت مع رسول الله ﷺ القتال، وكان إذا لم يقاتل أول النهار انتظر حتى تزول الشمس وتهب الرياح وينزل النصر، ثم قال : إنى هاز لوائى ثلاث مرات، فأما أول هزة فليقض الرجل حاجته وليتوضأ، وأما الثانية فلينظر الرجل إلى شسعه وليلزم سلاحه، فإذا هززت الثالثة فاحملوا ولا يلوين أحد على أحد، وإن قتل النعمان، وإنى داع إلى الله بدعوة، وأقسمت على كل امرىء منكم لما أمنَ عليها، وقال : اللهم ارزق النعمان اليوم شهادة فى نصر وافتح عليهم. فأمن القوم. فهز لواءه ثلاثاً، ثم أدنى درعه وحمل ثم حمل الناس فكان أول صريع،

قال معقل: فأتيت عليه فذكرت عزيمته ألا أقف عليه، وأعلمت غلمانه لأعرف مكانه، وأمعنا القتل فيهم ووقع ذو الجناحين عن بغلة له شهباء فانشق بطنه، وفتح الله للمسلمين، فأتيت إلى مكان النعمان فصادفته وبه رمق، فأتيته بإداوة فغسلت وجهه، فقال: منْ هذا؟ قلت : معقل ابن يسار، قال ما فعل الله بالناس؟ قلت : فتح الله عليهم قال: الحمد لله كثيراً اكتبوا بذلك إلى عمر، وفاضت نفسه، واجتمع الناس إلى الأشعث بن قيس، وأرسلوا إلى أم ولده: هل عهد إليك النعمان عهداً له أم عندك كتاب؟ قالت : بل سفط فيه كتاب، فأخرجوه فإذا فيه: إذا قتل النعمان ففلان وإن قتل فلان ففلان، وإن قتل فلان ففلان، فامتثلوا، وفتح الله على المسلمين فتحاً عظيما.

قال المسعودى رحمه الله: وهذه وقعة نهاوند، وقد كان للأعاجم فيها جمع كثير وقتل هنالك خلق كثير: منهم النعمان بن مقرن ، وعمرو بن معد يكرب،

وغيرهما، وقبورهم إلى هذا الوقت بينة معروفة على نحو فرسخ من نهاوند فيما بينها وبين الدينور.

وذكر أبو مخنف لوط بن يحيى قال: لما قدم عمرو بن معد يكرب من الكوفة على عمر سأله عن سعد بن أبي وقاص، فقال فيه ما قال من الثناء، ثم سأله عن السلاح، فأخبره بما علم، ثم سأله عن قومه، فقال له: أخبرني عن قومك مذحج ودع طيئا قال: سلني عن أيهم شئت، قال: أخبرني عن علة بن جلد، قال: هم فرسان أغراضنا، وشُفاة أمراضنا، وهم أعتقنا، وأنجبنا، وأسرعنا طلبا، وأقلنا هربا، وهم أهل السلاح والسماح والرماح، قال عمر: فما أبقيت لسعد العشيرة؟ قال: هم أعظمنا خميسا، وأسخانا نفوساً، وخيرنا رئيساً، قال: فما أبقيت لمراد؟ قال: هم أوسعنا داراً، وخيرنا جاراً، وأبعدنا آثاراً، وهم الأتقياء البررة، والساعون الفخرة، قال: فأخبرني عن بني زبيد، قال: أنا عليهم ضنين، ولو سألت الناس عنهم لقالوا هم الرأس والناس الأذناب، قال: فأخبرني عن طئ، قال: خصوا بالجود، وهم جمرة العرب،

قال: فما تقول في عبس؟ قال: حجم عظيم، وزبن، أثير، قال: أخبرني عن حِمْيَر، قال: رَعَوُا العفو، وشربوا الصفو، قال: فأخبرني عن كندة، قال: ساسوا العباد، وتمكنوا من البلاد. قال: فأخبرني عن همدان. قال: أبناء الليل، وأهل النبل، يمنعون الجار، ويوفون الذمار ويطلبون الثار قال: فأخبرني عن أزد. قال: هم أقدمنا ميلاداً. وأوسعنا بلاداً، قال: فأخبرني عن الحارث بن كعب، قال: هم الحسكة المكسة، تلقى المنايا على أطراف رماحهم. قال: فأخبرني عن لخم. قال: آخرنا مُلكا، وأولنا هلكا، قال. فأخبرني عن جذام. قال: أولئك كالعجوز الغبراء، وهم أهل مقال وفعال، قال فأخبرني عن غسان. قال أرباب

فى الجاهلية نجوم فى الإسلام، قال : فأخبرنى عن الأوس والخزرج. قال هم الأنصار وهم أعزنا داراً، وأمنعنا ذماراً، وقد كفانا الله مدحهم إذ يقول : والذين تبوؤوا الدار والإيمان- الآية قال ": فأخبرنى عن خزاعة. قال : أولئك مع كنانة لنا نسبهم، وبهم نصرنا قال : فأى العرب أبغض إليك أن تلقاه؟ قال : أما من قومى فوادعة من همدان، وغطيف من مراد، وبلحرث من مذحج، وأما من سعد فعدى من فزارة ومرة من ذبيان، وكلاب من عامر، وشيبان من بكر بن وائل. ثم لو جلت بفرسى على مياه لما خفت هيج أحد مالم يلقنى حُراها وعبداها. قال : ومن حراها ومن عبداها؟ قال : أما حراها فعامر بن الطفيل وعيينة بن الحارث بن شهاب التميمى، وأما عبداها فعنترة العبسى وسليك المقانب.

ثم سأله عن الحرب فقال : سألت عنها خبيراً، هى والله يا أمير المؤمنين مرة المذاق، إذا شمرت عن ساق، من صبر فيها ظفر، ومن ضعف فيها هلك.

ثم سأله عن السلاح، فأخبره بما عرف حتى بلغ الصيف، قال : هنالك قارعتك أمك عن ثكلها، فعلاه عمر بالدرة، وقال : بل أمك قارعتك عن ثكلها، والله إنى لأهم أن اقطع لسانك، فقال عمرو: الحمى أضرعتنى لك اليوم، وخرج من عنده.

قال : فاعتذر عمر إليه، وقال : مافعلت ما فعلته إلا لتعلم أن الإسلام أفضل وأعز من الجاهلية، وفضله على الوفد.

وقد كان عمر أنس عمراً بعد ذلك، وأقبل يسأله ويذاكره الحروب وأخبارها فى الجاهلية، فقال له عمر: ياعمرو ، هل انصرفت عن فارس قط فى الجاهلية هيبة له؟ قال : نعم، والله ما كنت أستحل الكذب فى الجاهلية فكيف أستحله فى

الإسلام؟ لأحدثك حديثا لم أحدث به أحداً قبلك، خرجت فى جريدة خيل لبنى زبيد أريد الغارة، فأتينا قوما سراة، فقال عمر: وكيف عرفت أنهم سراة؟ قال: رأيت مزاود وقدور مكفأة وقباب أدم حمراً ونعماً كثيراً وشاء ، قال عمرو: فأهويت إلى أعظمها قبة بعدما حوينا السبى، وكان مبتدداً من البيوت، وإذا امرأة بادية الجمال على فرش لها، فلما نظرت إلى وإلى الخيل استعبرت، فقلت: ما يبكيك؟ قالت : والله ما أبكى على نفسي، ولكنى أبكى حسداً لبنات عمى يسلمن وأبتلى أنا من بينهن، فظننت والله أنها صادقة، فقلت لها: وأين هن؟ قالت: فى هذا الوادى، فقلت لأصحابى: لا تحدثوا شيئا حتى آتيكم، ثم همزت فرسى حتى علوت كثيبا، فإذا أنا بغلام أصهب الشعر أهذب أقنى أقب يخصف نعاله وسيفه بين يديه وفرسه عنده، فلما نظر إلى رمى النعل من يده ثم أحضر غير مكترث، فأخذ سلاحه وأشرف على ثنية، فلما نظر إلى الخيل محيطة ببيته ركب ثم أقبل نحوى.

ثم حملت عليه بالفرس فإذا هو أروغ من هر، فراغ عنى، ثم حمل على فضربنى بسيفه ضربة جرحتنى ، فلما أفقت من ضربته حملت عليه، فراغ والله، ثم حمل على ، ثم صرعنى، ثم استاق ما فى أيدينا، ثم استويت على فرسى.

فراغ والله عنى، ثم حمل على فضربنى ضربة أخرى، ثم صرخ صرخة، ورأيت الموت والله يا أمير المؤمنين ليس دونه شىء، وخفته خوفا لم أخف قط أحداً مثله، وقلت له : من أنت ثكلتك أمك ؟؟ فوالله ما اجترأ علىَّ أحد قط إلا عامر بن الطفيل لإعجابه بنفسه، وعمرو بن كلثوم لسنه وتجربته فمن أنت؟ قال : بل مَنْ أنت؟ خبرنى وإلا قتلتك، قلت : أنا عمرو بن معد يكرب، قال : وأنا ربيعة بن مُكدم، قلت : اختر منى إحدى ثلاث خصال: إن شئت اجتلدنا بسيوفنا حتى

يموت الأعجز منا وإن شئت اصطرعنا ، وإن شئت السلم، ثم قال : انزل عن فرسك، قلت يا ابن أخى قد جرحتنى جراحتين ولا نزول لى ، فوالله ما كف عنى حتى نزلت عن فرسى، فأخذ بعنانه، ثم أخذ بيدى فى يده وانصرفنا إلى ، الحى وأنا أجر رجلى، حتى طلعت علينا الخيل، فلما رأونى همزوا خيولهم إلى فناديتهم: إليكم، وأرادوا ربيعة، فمضى والله كأنه ليث حتى شقهم، ثم أقبل على فقال ياعمرو، لعل أصحابك يريدون غير الذى تريد، فصمت والله القوم ما فيهم أحد ينطق، وأعظموا ما رأوا منه، فقلت: يا ربيعة بن مُكدم لا يريدون إلا خيرا، وإنما سميته ليعرفه القوم، فقال لهم ما تريدون؟ فقالوا: وما تريد؟ قد جرحت فارس العرب، وأخذت سيفه وفرسه، ومضى ومضينا معه، حتى نزل، فقامت إليه صاحبته وهى ضاحكة تمسح وجهه، ثم أمر بإبل فنحرت، وضربت علينا قباب، فلما أمسينا جاءت الرعاء ومعهم أفراس ربيعة لم أر مثلها قط فلما رأى نظرى إليها قال : كيف ترى هذه الخيول؟ قلت : لم أر مثلها قط قال : أما لو كان عندى بعضها ما لبثت فى الدنيا إلا قليلا، فضحكت وما ينطق أحد من أصحابى، فأقمنا عنده يومين ثم انصرفنا

قال وقد كان عمرو معد يكرب بعد ذلك بزمان أغار على كنانة في صناديد قومه، فأخذ غنائمهم، وأخذ امرأة ربيعة بن مُكدم، فبلغ ذلك ربيعة - وكان غير بعيد- فركب فى الطلب على فرس عُرى ومعه رمح بلا سنان حتى لحقه، فلما نظر إليه قال ياعمرو، خل عن الظعينة وما معك فلم يلتفت إليه، ثم أعاد عليه، فلم يلتفت إليه، فقال ياعمرو، إما أن تقف لى وإما أن أقف لك فوقف عمرو، وقال لقد أنصف القارة راماها، قف لى يا ابن أخى، فوقف له ربيعة، فحمل عليه عمرو

حتى إذا ظن أنه خالطه السنان إذا هو لبيب لفرسه، ومر السنان على ظهر الفرس، ثم وقف له عمرو، فحمل عليه ربيعة.

فقرع بالرمح رأسه، ثم قال : خذها إليك ياعمرو، ولولا أنى أكره قتل مثلك لقتلتك، فقال عمرو: لا ينصرف إلا أحدنا، فقف لى، فحمل عليه حتى إذا ظن أنه قد خالطه السنان إذا هو حزام لفرسه ومر السنان على ظهر الفرس ثم حمل عليه ربيعة فقرع بالرمح رأسه أيضاً، وقال : خذها إليك ياعمرو ثانية، وإنما العفو مرتان، وصاحت به امرأته: السنان لله درك، فأخرج سناناً من سنخ إزاره كأنه شعلة نار، فركبه على رمحه، فلما نظر إليه عمرو ، وذكر طعنته بلا سنان قال له عمرو : يا ربيعة خذ الغنيمة، قال : دعها وانج، فقالت بنو زبيد : أتترك غنيمتنا لهذا الغلام ؟ فقال لهم عمرو: يا بنى زبيد، والله لقد رأيت الموت الأحمر فى سنانه، وسمعت صريره فى تركيبه، فقالت بنو زبيد : لا يتحدث العرب أن قوما من بنى زبيد فيهم عمرو بن معد يكرب تركوا غنيمتهم لمثل هذا الغلام، قال عمرو : إنه لا طاقة لكم به، وما رأيت مثله قط، فانصرفوا عنه، وأخذ ربيعة امرأته والغنيمة وعاد إلى قومه.

قال المسعودى رحمه الله تعالى : ولعمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه أخبار كثيرة فى أسفاره فى الجاهلية إلى الشام والعراق مع كثير من ملوك العرب والعجم، وسير فى الإسلام وأخبار وسياسات حسان، وما كان فى أيامه من الكوائن والأحداث وفتوح مصر والشام والعراق وغيرها من الأمصار.

# خلافة عثمان بن عفان

# رضى الله عنه

بويع عثمان يوم الجمعة غرة المحرم لليلة بقيت من ذى الحجة سنة ثلاث وعشرين وقتل لاثنتى عشرة ليلة مضت من ذى الحجة سنة خمس وثلاثين، وقيل غير ذلك إلا أنه فى ذى الحجة، فجميع ما ولى اثنتا عشرة سنة إلا ثمانية أيام، وقتل وهو ابن اثنتين وثمانين سنة ، ودفن بالمدينة بموضع يعرف بحش كوكب.

## نسبه، وسيره

هو عثمان بن عفان بن أبى العاص بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف، ويكنى بأبى عبد الله وأبى عمرو، والأغلب منهما أبو عبد الله، وأمه أروى بنت كريز بن جابر بن حبيب بن عبد شمس، وكان له من الولد: عبد الله الأكبر، وعبد الله الأصغر، أمهما رقية بنت رسول الله ﷺ . وأبان، وخالد، وسعيد، والوليد والمغيرة، وعبد الملك، وأم أبان ، وأم سعيد وأم عمرو ، وعائشة، وكان عبد الله كثير التزوج، كثير الطلاق، وكان أبان قد حمل عنه أصحاب الحديث عدة من السنين. وولى لبنى مروان مكة وغيرها . وكان سعيد أحول بخيلا. وقتل فى زمن معاوية وكان الوليد صاحب شراب وفتوة ومجون. وقتل أبوه وهو مخلق الوجه سكران عليه مُصبغات واسعة. وبلغ عبد الله الأصغر من السن ستا وسبعين عاما. فنقره ديك فى عينه، فكان ذلك سبب موته، وعبد الملك مات صغيراً ولا عقب له.

وكان عثمان فى نهاية الجود والكرم والسماحة والبذل فى القريب والبعيد. فسلك عماله وكثير من أهل عصره طريقته، وتأسوا به فى فعله. وبنى داره فى

المدينة، وشيدها بالحجر والكلس، وجعل أبوابها من الساج والعرعر واقتنى أموالا وجنانا وعيونا بالمدينة.

وذكر عبد الله بن عتبة أن عثمان يوم قتل كان له عند خازنه من المال خمسون ومائة ألف دينار وألف ألف درهم، وقيمة ضياعه بوادى القرى وحنين وغيرهما مائة ألف دينار، وخلف خيلا كثيراً وإبلا.

وفى أيام عثمان اقتنى جماعة من الصحابة الضياع والدور: منهم الزبير بن العوام، بنى داره بالبصرة، وهى المعروفة فى هذا الوقت -- وهو سنة اثنتين وثلاثين وثلثمائة - تنزلها التجار وأرباب الأموال وأصحاب الجهاز من البحرين وغيرهم ، وابتنى أيضاً دوراً بمصر والكوفة والإسكندرية.

وبلغ مال الزبير بعد وفاته خمسين ألف دينار، وخلف الزبير ألف فرس، وألف عبدو أمة، وخططاً .

وكذلك طلحة بن عبيد الله التيمى : ابتنى داره بالكوفة المعروفة بالكناسة بدار الطلحيين، وكان غلته من العراق كل يوم ألف دينار، وقيل أكثر من ذلك ، وبناحية الشراة أكثر، وشيد داره بالمدينة وبناها بالآجر والجص والساج.

وكذلك عبد الرحمن بن عوف الزهرى: ابتنى داره ووسعها، وكان على مربطه مائة فرس ، وله ألف بعير، وعشرة آلاف شاة من الغنم، وبلغ بعد وفاته رُبُعُ ثمن ماله أربعة وثمانين ألفاً.

وابتنى سعد بن أبى وقاص داره بالعقيق، فرفع سمكها، ووسع فضاءها، وجعل أعلاها شُرفات.

وقد ذكر سعيد بن المسيب أن ريد بن ثابت حين مات خلف من الذهب والفضة ما كان يكسر بالفؤس، غير ما خلف من الأموال والضيا ع بقيمة مائة ألف دينار.

وابتنى المقداد داره بالمدينة فى الموضع المعروف بالجرف على أميال من المدينة وجعل أعلاها شرفات، وجعلها مجصصة الظاهر والباطن.

ومات يعلى بن منية، وخلف خمسمائة ألف ديار، وديوناً على الناس، وعقارات، وغير ذلك من التركة ما قيمته ثلاثمائة ألف دينار.

وهذا باب يتسع ذكره ويكثر وصفه، فيمن تملك من الأموال فى أيامه، ولم يكن مثل ذلك فى عصر عمر بن الخطاب، بل كانت جادة واضحة وطريقة بينة.

وحج عمر فأنفق فى ذهابه ومجيئه إلى المدينة ستة عشر ديناراً، وقال لولده عبد الله : لقد أسرفنا فى نفقتنا فى سفرنا هذا.

ولقد شكا الناس أميرهم بالكوفة سعد بن أبى وقاص - وذلك فى سنة إحدى وعشرين، فبعث عمر محمد بن مسلمة الأنصارى حليف بنى عبد الأشهل، فحرق عليه باب قصر الكوفة، وعرضه فى مساجد الكوفة يسألهم عنه : فحمده بعضهم، وشكاه بعض ، فعزله وبعث إلى الكوفة عمار بن ياسر على الثغر، وعثمان بن حُنَيْف على الخراج، وعبد الله بن مسعود على بيت المال، وأمره أن يعلم الناس القرآن ويفقههم فى الدين، وفرض لهم فى كل يوم شاة؛ فجعل شطرها وسواقطها لعمار ابن ياسر، والشطر الآخر بين عبد الله بن مسعود وعثمان بن حنيف.

وقدم على عثمان عمه الحكم بن أبى العاص وابنه مروان وغيرهما من بنى أمية - والحكم هو طريد رسول الله ﷺ الذي غربه عن المدينة، ونفاه عن جوارها - وكان عماله جماعة منهم الوليد بن عقبة بن أبى مُعيط على الكوفة، وهو ممن أخبر النبى ﷺ أنه من أهل النار، وعبد الله بن أبى سَرْح على مصر، ومعاوية بن أبى سفيان على الشام، وعبد الله بن عامر على البصرة، وصرف عن الكوفة الوليد بن عُقبة، وولاها سعيد بن العاص.

وكان السبب فى صرف الوليد بن عقبة وتولية سعيد على ماروى - أن الوليد بن عقبة كان يشرب مع ندمائه ومغنيه من أول الليل إلى الصباح، فلما آذنه المؤذنون بالصلاة خرج متفضلا فى غلائله، فتقدم إلى المحراب في صلاة الصبح، فصلى بهم أربعا، وقال : أتريدن أن أزيدكم؟ ،قيل : إنه قال فى سجوده وقد طال : اشرب واسقنى، فقال له بعض من كان خلفه فى الصف الأول: ما تزيد لازادك الله من الخير والله لا أعجب إلا ممن بعثك إلينا والياً وعلينا أميراً، وكان هذا القائل عتاب بن غيلان الثقفى، وبعض الناس يشككو فى هذه الرواية.

وخطب الناس الوليد فحصبه الناس بحصباء المسجد، فدخل قصره يترنح.

وأشاعوا بالكوفة فعله ، وظهر فسقه ومداومته على شرب الخمر، فهجم عليه جماعة من المسجد منهم أبو زينب بن عوف الأزدى وجندب بن زهير الأزدى وغيرهما، فوجدوه سكران مضطجماً على سريره لا يعقل، فأيقظوه من رقدته، فلم يستيقظ، ثم تقايأ عليهم ما شرب من الخمر، فانتزعوا خاتمه من يده وخرجوا من فورهم إلى المدينة، فأتوا عثمان بن عفان، فشهدوا عنده على الوليد أنه شرب الخمر، فقال عثمان: وما يدريكما أنه شرب خمراً؟ فقالا: هى الخمر التى كنا نشربها فى الجاهلية، وأخرجا خاتمه فدفعاه إليه، فزجرهما ودفع فى

صدورهما، وقال : تنحيا عني، فخرجا من عنده وأتيا على بن أبى طالب رضى الله عنه وأخبراه بالقصة، فأتى عثمان وهو يقول : دفعت الشهود، وأبطلت الحدود، فقال له عثمان: فما ترى ؟

قال : أرى أن تبعث إلى صاحبك فتحضره فإن أقاما الشهادة عليه فى وجهه ولم يدرأ عن نفسه بحجة أقمت عليه الحد، فلما حضر الوليد دعاهما عثمان : فأقاما الشهادة عليه ولم يدل بحجة فألقى عثمان السوط إلى على ، فقال على لابنه الحسن: قم يا بنى فأقم عليه ما أوجب الله عليه، فقال : يكفينيه بعض من ترى، فلما نظر إلى امتناع الجماعة عن إقامة الحد عليه توقياً لغضب عثمان لقرابته منه أخذ على السوط ودنا منه، فلما أقبل نحوه سبه الوليد، وقال : ياصاحب مكس، فقال عقيل بن أبى طالب وكان ممن حضر: إنك لتتكلم يا ابن أبى مُعيط كأنك لا تدرى من أنت ، وأنت علج من أهل صفورية. وهى قرية بين عكا، واللجون، من أعمال الأردن، من بلاد طبرية، وكان ذكر أن أباه كان يهوديا منها. فأقبل الوليد يروغ من على ، فاجتذبه على فضرب به الأرض، وعلاه بالسوط، فقال عثمان: ليس لك أن تفعل به هذا، قال : بل وشراً من هذا إذا فسق ومنع حق الله تعالى أن يؤخذ منه.

وولى الكوفة بعده سعيد بن العاص، فلما دخل سعيد الكوفة والياً أبى أن يصعد المنبر حتى يُغسل، وأمر بغسله، وقال : إن الوليد كان نجساً رجساً، فلما اتصلت أيام سعيد بالكوفة ظهرت منه أمور منكرة، فاستبد بالأموال، وقال في بعض الأيام أو كتب به عثمان: إنما هذا السواد قطين لقريش، فقال له الأشتر، وهو مالك بن الحارث النخعي: أتجعل ما أفاء الله علينا بظلال سيوفنا ومراكز رماحنا بستاناً لك ولقومك؟ ثم خرج إلى عثمان فى سبعين راكبا من أهل الكوفة

فذكروا سوء سيرة سعيد بن العاص، وسألوا عزله عنهم، فمكث الأشتر وأصحابه أياما لايخرج لهم من عثمان فى سعيد شىء، وامتدت أيامهم بالمدينة، وقدم على عثمان أمراؤه من الأمصار منهم عبد الله بن سعد بن أبى سَرْح من مصر ومعاوية من الشام وعبد الله بن عامر من البصرة وسعيد بن العاص من الكوفة، فاقاموا بالمدينة أياما لا يردهم إلى أمصارهم، وكراهة أن يرد سعيداً إلى الكوفة، وكره أن يعزله ، حتى كتب إليه من بأمصارهم يشكون كثرة الخراج وتعطيل الثغور، فجمعهم عثمان وقال : ما ترون؟

فقال معاوية: أما أنا فراض بى جندى. وقال عبد الله بن عامر بن كريز: ليكفك امرؤ ما قبله أكفك ما قبلى، وقال عبد الله بن سعد بن أبى سرح: ليس بكثير عزل عامل للعامة وتولية غيره، وقال سعيد بن العاص: إنك إن فعلت هذا كان أهل الكوفة هم الذين يولون ويعزلون، وقد صاروا حلقا فى المسجد ليس لهم غير الأحاديث والخوض، فجهزهم فى البعوث حتى يكون هم أحدهم أن موت على ظهر دابته، قال : فسمع مقالته عمرو بن العاص فخرج إلى المسجد، فإذا طلحة والزبير جالسان فى ناحية منه، فقالا له : تعال إلينا، فصار إليهما، فقالا : ما وراءك ؟ قال : الشر، ماترك شيئا من المنكر إلا أتى به وأمره به، وجاء الأشتر فقالا له: إن عاملكم الذى قمتم فيه خطباء قد رد عليكم وأمر بتجهيزكم فى البعوث وبكذا وبكذا، فقال الأشتر : والله لقد كنا نشكو سوء سيرته وما قمنا فيه خطباء، فكيف وقد قمنا؟!

وإيم الله على ذلك لولا أنى أنفدت النفقة وأنضيت الظهر لسبقته إلى الكوفة حتى أمنعه دخولها، فقالا له : فعندنا حاجتك التى تقوم بك فى سفرك قال : فأسلفانى إذاً مائة ألف درهم، فأسلفه كل واحد منهما خمسين ألف درهم،

فقسمها بين أصحابه، وخرج إلى الكوفة فسبق سعيداً، وصعد المنبر وسيفه فى عنقه ما وضعه بعد، ثم قال : أما بعد، فإن عاملكم الذي أنكرتم تعديه وسوء سيرته قد رد عليكم، وأمر بتجهيزكم فى البعوث ، فبايعونى على أن لا يدخلها، فبايعه عشرة آلاف من أهل الكوفة وخرج راكبا متخفيا يريد المدينة أو مكة، فلقى سعيدا بواقصة فأخبره بالخبر، فانصرف إلى المدينة ، وكتب الأشتر إلى عثمان: إنا والله ما منعنا عاملك الدخول لنفسد عليك عملك، ولكن لسوء سيرته فينا وشدة عذابه، فابعث إلى عملك من أحببت. فكتب إليهم: انظروا من كان عاملكم أيام عمر بن الخطاب فولوه، فنظروا فإذا هو أبو موسى الأشعرى فولوه.

وفى سنة خمس وثلاثين كثر الطعن على عثمان رضى الله عنه، وظهر عليه النكير لأشياء ذكروها من فعله:

منها ما كان بينه وبين عبد الله بن مسعود، وانحراف هُذيل عن عثمان من أجله.

ومن ذلك ما نال عمار بن ياسر من الفتن والضرب، وانحراف بنى مخزوم عن عثمان من أجله.

ومن ذلك فعل الوليد بن عقبة في مسجد الكوفة ، وذلك أنه بلغه عن رجل من اليهود من ساكنى قرية من قرى الكوفة مما يلى جسر بابل يقال لها زرارة يعمل أنواعاً من الشعبذة والسحر يعرف ببطرونى فأحضره فأراه فى المسجد ضربا من التخييل، وهو أن أظهر له فى الليل فيلا عظيما على فرس يركض فى صحن المسجد ، ثم صار اليهودى ناقة يمشى على حبل،

ثم أراه صورة حمار دخل من فيه ثم خرج من دبره، ثم ضرب عنق رجل فغرق بين جسده ورأسه، ثم أمر السيف عليه فقام الرجل، وكان جماعة من أهل الكوفة حُضُوراً منهم جندب بن كعب الأزدى، فجعل يستعيذ بالله من فعل الشيطان، ومن عمل يبعد من الرحمن، وعلم أن ذلك هو ضرب من التخييل والسحر، فاخترط سيفه وضرب به اليهودى ضربة أدار رأسه ناحية من بدنه، وقال : جاء الحق وزهق الباطل ، إن الباطل كان زهوقا ، وقد قيل : إن ذلك كان نهارا ، وإن جندبا خرج إلى السوق ودنا من بعض الصياقلة وأخذ سيفا ودخل فضرب به عنق اليهودى، وقال : إن كنت صادقا فأحى نفسك. فأنكر عليه الوليد ذلك، وأراد أن يقيده به (يقتص منه)، فمنعته الأزد، فحبسه، وأراد قتله غيلة، ونظر السجان إلى قيامه ليله إلى الصبح، فقال له : انج بنفسك ، فقال له جندب: تقتل بى ، قال: ليس ذلك بكثير فى مرضاة الله والدفع عن ولى من أولياء الله فلما أصبح الوليد دعا به وقد استعد لقتله فلم يجده، فسأل السجان، فأخبره بهربه، فضرب عنق السجان، وصلبه بالكناسة.

## بين عثمان وأبى ذر :

ومن ذلك ما فعل بأبى ذر، وهو أنه حضر مجلسه ذات يوم فقال عثمان : أرأيتم من زكى ماله هل فيه حق لغيره؟ فقال كعب : لا يا أمير المؤمنين، فدفع أبو ذر فى صدر كعب، وقال له : كذبت يا ابن اليهودى، ثم تلا "ليس البر أن تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب" ـ الآية، فقال عثمان : أترون بأساً أن نأخذ مالا من بيت مال المسلمين فننفقه فيما ينوبنا من أمورنا ونعطيكموه؟ فقال كعب: لا بأس بذلك، فرفع أبو ذر العصا فدفع بها فى صدر كعب وقال : يا ابن اليهودى ما أجرأك على القول فى ديننا !

فقال له عثمان : ما أكثر أذاك لى ! غيب وجهك عنى فقد آذيتنا، فخرج أبو ذر إلى الشام ، فكتب معاوية إلى عثمان: إن أبا ذر تجتمع إليه الجموع، ولا آمن أن يفسدهم عليك، فإن كان لك فى القوم حاجة فأحمله إليك ، فكتب إليه عثمان بحمله، فحمله على بعير عليه قتب يابس معه خمسة من الصقالبة يطيرون به، حتى أتوا به المدينة وقد تسلخت بواطن أفخاذه وكاد أن يتلف، فقيل له : إنك تموت من ذلك، فقال : هيهات لن أموت حتى أُنفى، وذكر جوامع ما ينزل به بعد، ومن يتولى دفنه، فأحسن إليه عثمان فى داره أياما، ثم دخل إليه فجلس على ركبتيه وتكلم بأشياء، وذكر الخبر فى ولد أبى العاص إذا بلغوا ثلاثين رجلا اتخذوا عباد الله خولا، ومر في الخبر بطوله، وتكلم بكلام كثير، وكان فى ذلك اليوم قد أتى عثمان بتركة عبد الرحمن بن عوف الزهرى من المال ، فنثرت البُدر حتى حالت بين عثمان وبين الرجل القائم، فقال عثمان: إنى لأرجو لعبد الرحمن خيراً؛ لأنه كان يتصدق، ويقرى الضيف، وترك ما ترون،

فقال كعب الأحبار: صدقت يا أمير المؤمنين، فشال أبو ذر العصا ، فضرب بها رأس كعب، ولم يشغله ما كان فيه من الألم وقال : يا ابن اليهودى تقول لرجل مات وترك هذا المال : إن الله أعطاه خير الدنيا وخير الآخرة، وتقطع على الله بذلك، وأنا سمعت النبى ﷺ يقول "مايسرنى أن أموت وأدع ما يزن قيراطا،

فقال له عثمان : وار عنى وجهك ، فقال : أسير إلى مكة، قال : لا والله ، قال : فتمنعنى من بيت ربى أعبده فيه حتى أموت ؟ قال : إى والله ، قال : فإلى الشام. قال : لا والله قال . البصرة ؟ قال : لا والله، فاختر غير هذه البلدان ، قال : لا والله ما أختار غير ما ذكرت لك، ولو تركتنى فى دار هجرتى ما أردت

شيئا من البلدان، فسيرنى حيث شئت من البلاد ، قال فإنى مسيرك إلي الربذة، قال : الله أكبر، صدق رسول الله ﷺ قد أخبرنى بكل ما أنا لاق ،

قال عثمان : وما قال لك؟ قال : أخبرنى بأنى أمنع عن مكة والمدينة وأموت بالربذة، ويتولى مواراتى نفر ممن يردون من العراق نحو الحجاز، وبعث أبو ذر إلى جمل له فحمل عليه امرأته ـ وقيل : ابنته ـ وأمر عثمان أن يتجافاه الناس حتى يسير إلى الربذة، فلما طلع عن المدينة ومروان يسير عنها طلع عليه على بن أبى طالب رضى الله عنه ومعه أبناه الحسن والحسين وعقيل أخوه وعبد الله بن جعفر وعمار بن ياسر، فاعترض مروان فقال : يا على إن أمير المؤمنين قد نهى الناس أن يصحبوا أبا ذر فى مسيره ويشيعوه، فإن كنت لم تدر بذلك فقد أعلمتك، فحمل عليه على بن أبى طالب بالسوط وضرب بين أذنى راحلته ، وقال : تنح نحاك الله إلى النار، ومضى مع أبى ذر فشيعه ثم ودعه وانصرف، فلما أراد على الانصراف بكى أبو ذر، وقال : رحمكم الله أهل البيت، إذا رأيتك يا أبا الحسن وولدك ذكرت بكم رسول الله ﷺ ، فشكا مروان إلى عثمان مافعل به على بن أبى طالب، فقال عثمان : يا معشر المسلمين من يعذرنى من على ؟ رد رسولى عما وجهته له، وفعل كذا، والله لنعطينه حقه، فلما رجع على استقبله الناس ، فقالوا له: إن أمير المؤمنين عليك غضبان لتشييعك أبا ذر، فقال على : غضب الخيل على اللّجم.

فلما كان بالعشى جاء إلى عثمان ، فقال له : ما حملك على ما صنعت بمروان ولم اجترأت علىَّ ورددت رسولى وأمرى ؟ ! قال : أما مروان فإنه استقبلنى يردنى فرددته عن ردى، وأما أمرك فلم أرده، قال عثمان : ألم يبلغك أنى قد نهيت الناس عن أبى ذر وعن تشييعه؟ فقال على : أو كل ما أمرتنا به

من شيء نرى طاعة الله والحق فى خلافه أتبعنا فيه أمرك؟ بالله لا نفعل، قال عثمان : أقد مروان، قال : ومم أقيده ؟ قال : ضربت بين أذني راحلته وشتمته، فهو شاتمك وضارب بين أذنى راحلتك قال على : أما راحلتى فهى تلك فإن أراد أن يضربها كما ضربت راحلته فليفعل. وأما أنا فوالله لئن شتمنى لأشتمنك أنت مثلها بما لا أكذب فيه ولا أقول إلا حقا. قال عثمان : ولم لا يشتمنك إذا شتمته، فوالله ما أنت عندى بأفضل منه؟! فغضب على بن أبى طالب وقال : ألى تقول هذا القول ؟ وبمروان تعدلنى ؟ فأنا والله أفضل منك ، وأبى أفضل من أبيك ، وأمى أفضل من أمك، وهذه نبلى قد نبلتها، ... لم فانثل بنبلك ، فغضب عثمان واحمر وجهه، فقام ودخل داره، وانصرف على ، فاجتمع إليه أهل بيته، ورجال من المهاجرين والأنصار.

فلما كان من الغد واجتمع الناس إلي عثمان شكا إليهم عليا وقال : إنه يعيبنى ويُظاهر من يعيبنى، يريد بذلك أبا ذر وعمار بن ياسر وغيرهما، فدخل الناس بينهما حتى اصطلحا وقال له على : والله ما أردت بتشييع أبى ذر إلا الله تعالى.

وقد كان عمار حين بويع عثمان بلغه قول أبى سفيان صخر بن حرب فى دار عثمان عقيب الوقت الذى بويع فيه عثمان ودخل داره ومعه بنو أمية فقال أبو سفيان: أفيكم أحد من غيركم ؟ وقد كان عمى ، قالوا : لا ، قال يا بنى أمية، تلقفوها تلقف الكرة، فوالذى يحلف به أبو سفيان مازلت أرجوها لكم ولتصيرن إلى صبيانكم وراثة، فانتهره عثمان، وساءه ما قال، ونمى هذا القول إلي المهاجرين والأنصار وغير ذلك الكلام فقام عمار فى المسجد فقال : يا معشر قريش، أما إذا صرفتم هذا الأمر عن أهل بيت نبيكم ههنا مرة وههنا مرة فما

أنا بآمن من أن ينزعه الله منكم فيضعه فى غيركم كما نزعتموه من أهله ووضعتموه فى غير أهله وقام المقداد فقال : ما رأيت مثل ما أوذى به أهل هذا البيت بعد نبيهم، فقال له عبد الرحمن بن عوف: وما أنت وذاك يامقداد بن عمرو؟ فقال : إنى والله لأحبهم لحب رسول الله ﷺ إياهم، وإن الحق معهم وفيهم، يا عبد الرحمن أعجب من قريش - وإنما تطوّ لهم على الناس بفضل أهل هذا البيت - قد اجتمعوا على نزع سلطان رسول الله ﷺ بعده من أيديهم أما وأيم الله يا عبد الرحمن لو أجد على قريش أنصاراً لقاتلتهم كقتالى إياهم مع النبى عليه الصلاة والسلام يوم بدر، وجرى بينهم من الكلام خطب طويل .

ولما كان سنة خمس وثلاثين سار مالك بن الحارث النخعى من الكوفة فى مائتى رجل، وحكيم بن جبلة العبدى فى مائة رجل من أهل البصرة، ومن أهل مصر ستمائة رجل عليهم عبد الرحمن بن عديس البلوى، وقد ذكر الواقدى وغيره من أصحاب السير أنه ممن بايع تحت الشجرة، إلى آخرين ممن كان بمصر مثل عمرو بن الحمق الخزاعى وسعد بن حُمران التجيبى، ومعهم محمد بن أبى بكر الصديق، وقد كان تكلم بمصر، وحرض الناس على عثمان لأمر يطول ذكره كان السبب فيه مروان بن الحكم، فنزلوا فى الموضع المعروف بذى الخشب فلما علم عثمان بنزولهم بعث إلى على بن أبى طالب فأحضره، وسأله أن يخرج إليهم ويضمن لهم عنه ما يريدون من العدل وحسن السيرة، فسار على إليهم، فكان بينهم خطب طويل، فأجابوه إلى ما أراد وانصرفوا، فلما صاروا إلى الموضع المعروف بحسمى إذا هم بغلام على بعير وهو مقبل من المدينة ، فتأملوه فإذا هو ورش غلام عثمان، فقرروه ، فأقر وأظهر كتاباً إلى ابن أبى سرح صاحب مصر وفيه "إذا قدم عليك الجيش فاقطع يد فلان، واقتل فلاناً، وافعل

بفلان كذا، وأحصى أكثر من فى الجيش ، وأمر فيهم بما أمر" وعلم القوم أن الكتاب بخط مروان ، فرجعوا إلى المدينة، واتفق رأيهم ورأى من قدم من العراق، ونزلوا المسجد وتكلموا،

وذكروا ما نزل بهم من عمالهم ، ورجعوا إلى عثمان فحاصروه في داره، ومنعوه الماء، فاشرف على الناس وقال : ألا أحد يسقينا، وقال : بم تستحلون قتلي وقد سمعت رسول الله ﷺ يقول " لايحل دم امرىء مسلم إلا بإحدى ثلاث: كفر بعد إيمان، أو زنى بعد إحصان ، أو قتل نفس بغير نفس"؟ ووالله ما فعلت ذلك فى جاهلية أو إسلام، فبلغ علياً طلبه للماء، فبعث إليه بثلاث قرب ماء، فما وصل إليه ذلك حتى خرج جماعة من موالى بنى هاشم وبنى أمية، وارتفع الصوت ، وكثر الضجيج، وأحدقوا بداره بالسلاح وطالبوه بمروان، فأبي أن يخلى عنه، وفي الناس بنو زهرة لأجل عبد الله بن مسعود لأنه كان من أحلافها، وهُذيل لأنه كان منها، وبنو مخزوم وأحلافها لعمار، وغفار وأحلافها لأبى ذر، وتيم بن مرة مع محمد بن أبي بكر، وغير هؤلاء، فلما بلغ عليا أنهم يريدون قتله بعث بابنيه الحسن والحسين مع مواليه بالسلاح إلى بابه لنصرته، وأمرهم أن يمنعوه منهم، وبعث الزبير ابنه عبد الله، وبعث طلحة ابنه محمداً، وأكثر أبناء الصحابة أرسلهم أباؤهم اقتداء بمن ذكرنا، فصدوهم عن الدار، فرمى من وصفنا بالسهام، واشتبك القوم ، وجرح الحسن، وشج قنبر، وجرح محمد بن طلحة، فخشى القوم أن يتعصب بنو هاشم وبنو أمية، فتركوا القوم فى القتال على الباب،

ومضى نفر منهم إلى دار قوم من الأنصار فتسوروا عليها، وكان ممن وصل إليه محمد بن أبى بكر ورجلان آخران، وعند عثمان زوجته، وأهله ومواليه

مشاغيل بالقتال، فأخذ محمد بن أبى بكر بلحيته، فقال : يا محمد، والله لو رآك أبوك لساءه مكانك فتراخت يده، وخرج عنه إلى الدار، ودخل رجلان فوجداه فقتلاه، وكان المصحف بين يديه يقرأ فيه، فصعدت امرأته فصرخت وقالت : قد قتل أمير المؤمنين، فدخل الحسن والحسين ومن كان معهما من بنى أمية، فوجدوه قد فاضت نفسه رضى الله عنه، فبكوا، فبلغ ذلك علياً وطلحة والزبير وسعداً وغيرهم من المهاجرين والأنصار، فاسترجع القوم، ودخل علىّ الدار، وهو كالواله الحزين، وقال لابنيه: كيف قتل أمير المؤمنين وأنتما على الباب؟ ولطم الحسن وضرب صدر الحسين، وشتم محمد بن طلحة، وعبد الله بن الزبير، فقال له طلحة: لا تضرب يا أبا الحسن، ولا تشتم ، ولا تلعن، لو دفع إليهم مروان ما قتل، وهرب مروان وغيره من بنى أمية، وطلبوا ليقتلوا فلم يوجدوا، وقال على لزوجته نائلة بنت الفرافصة: من قتله وأنت كنت معه؟ قالت : دخل إليه رجلان وقصت خبر محمد بن أبى بكر، فلم ينكر ما قالت، وقال : والله لقد دخلت عليه وأنا أريد قتله، فلما خاطبنى بما قال خرجت ، ولا أعلم بتخلف الرجلين عنى، والله ما كان لى فى قتله من سبب، ولقد قتل وأنا لا أعلم بقتله.

وكانت مدة ما حوصر عثمان فى داره تسعاً وأربعين يوماً، وقيل : أكثر من ذلك.

وقتل فى ليلة الجمعة لثلاث بقين من ذى الحجة، وذكر أن أحد الرجلين كنانة بن بشر التجيبى، ضربه بعمود على جبهته، والآخر منهما سعد بن حُمران المرادى، ضربه بالسيف على حبل عاتقه فحله.

وقد قيل : إن عمرو بن الحمق طعنه بسهام تسع طعنات، وكان فيمن مال عليه عمير بن ضابىء البرجى التميمى، وخضخض سيفه فى بطنه.

ودفن في الموضع المعروف بحش كوكب، وهذا الموضع فيه مقابر بني أمية، ويعرف أيضاً بحلة، وصلى عليه جُبير بن مطعم وحكيم بن حزام وأبو جهم بن حذيفة.

ولما حوصر عثمان كان أبو أيوب الأنصارى رضى الله عنه يصلى بالناس، ثم امتنع ، فصلى بهم سهل بن حُنيف، فلما كان يوم النحر صلى بهم على، وقيل : إن عثمان قتل ومعه في الدار من بنى أمية ثمانية عشر رجلا منهم مروان بن الحكيم.

# خلافة أمير المؤمنين

# على بن أبى طالب (ر ضى الله عنه)

بويع على بن أبى طالب فى اليوم الذى قُتل فيه عثمان بن عفان رضي الله عنه، فكانت خلافته إلى أن استشهد أربع سنين وتسعة أشهر وثمانية أيام وقيل : أربع سنين وتسعة أشهر إلا يوماً، وكانت الفرقة بينه وبين معاوية ابن أبى سفيان فى خلافته، وكان مولده فى الكعبة، وقيل : إن خلافته كانت خمس سنين وثلاثة أشهر وسبع ليال، واستشهد وهو ابن ثلاث وستين سنة. وعاش بعد الضربة الجمعة والسبت، وتوفى ليلة الأحد، وقد قيل فى مقدار عمره أقل مما ذكرنا، وقد تنوزع في موضع قبره؛ فمنهم من قال : إنه دفن فى مسجد الكوفة، ومنهم من قال : إنه حمل إلى المدينة فدفن عند قبر فاطمة، ومنهم من قال : إنه حمل فى تابوت على جَمَل، وإن الجمل تاه ووقع إلى وادى طيىء، وقد قيل من الوجوه غير ما ذكرنا.

## نسبه، وسيره

هو على بن أبى طالب بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف، ويكنى أبا الحسن، وأمه فاطمة بنت أسد بن هاشم بن عبد مناف، ولم يكن من عهد النبى ﷺ إلى خلافة المتقى ممن ولى الخلافة مَن اسمه على غيره، وغير المكتفى بالله على بن المعتضد، وكان أول من ولده هاشميان من الخلفاء، وقد قيل : إنه بويع البيعة العامة بعد قتل عثمان بأربعة أيام، وتنازع الناس فى اسم أبى طالب أبيه، وولد أبى طالب بن عبد المطلب أربعة ذكور وابنتان فطالب وعقيل وجعفر وعلى وفاختة وجُمانة لأب وأم ، أمهم فاطمة بنت أسد بن هاشم، وبين كل واحد من

البذين عشر سنين: فطالب الأكبر وبينه وبين عقيل عشر سنين، وبين عقيل وجعفر سنتان، وبين جعفر وعلى عشر سنين، وأخرج مشركو قريس طالب بن أبى طالب يوم بدر إلى حرب رسول الله ﷺ كرهاً ، ومضى ولم يعرف له خبر.

وكان زوج فاختة بنت أبى طالب أبو وهب هبيرة بن عمرو بن عائد بن عمرو بن مخزوم، وخلف عليها ابناً وبنتاً، وهاجرت، ومات زوجها بنجران مشركا.

وجمانة بنت أبي طالب كان بعلها سفيان بن الحارث بن عبد المطلب، وهى أول هاشمية ولدت لهاشمى، كذلك ذكر الزبير بن بكار فى كتابه في أنساب قريش وأخبارها، وهاجرت وماتت بالمدينة فى أيام النبى ﷺ .

**وكان مسير علىّ إلى البصرة فى سنة ست وثلاثين، وفيها كانت وقعة الجمل، وذلك فى يوم الخميس لعشر خلون من جمادى الأولى منها، وقتل فيها من أصحاب الجمل من أهل البصرة وغيرهم ثلاثة عشر ألفاً، وقتل من أصحاب على خمسة آلاف، وقد تنازع الناس في مقدار من قتل من الفريقين: فمن مقلل ومكثر؛ فالمقلل يقول : قتل منهم سبعة آلاف والمكثر يقول : عشرة آلاف على حسب ميل الناس وأهوائهم إلى كل فريق منهم، وكانت وقعة واحدة فى يوم واحد.**

وقيل: إنه كان بين خلافة على إلى وقعة الجمل خمسة أشهر وأحد وعشرون يوما، وبين وقعة الجمل، وأول الهجرة خمس وثلاثون سنة وخمسة أشهر وعشرة أيام، وبين ذلك وبين دخول على إلى الكوفة شهر، وبين ذلك وبين أول الهجرة خمس وثلاثون سنة وستة أشهر وعشرة أيام، وبين دخول على

والتقائه مع معاوية للقتال بصفين ستة أشهر وثلاثة عشر يوما ، وبين ذلك وأول الهجرة ست وثلاثون سنة وثلاثة عشر يوما.

وقتل بصفين سبعون ألفاً: من أهل الشام خمسة وأربعون ألفاً ، ومن أهل العراق خمسة وعشرون ألفاً، وكان المقام بصفين مائة يوم وعشرة أيام، وقتل بها من الصحابة ممن كان مع على خمسة وعشرون رجلا: منهم عمار بن ياسر أبو اليقظان المعروف بابن سُمية وهو ابن ثلاث وتسعين سنة.

وكانت عدة الوقائع بين أهل العراق والشام سبعون وقعة.

وفى سنة ثمان وثلاثين كان التقاء الحكمين - وهما عمرو بن العاص وأبو موسى الأشعرى - بأرض البلقاء من أرض دمشق، وقيل : بدومة الجندل، وهى على نحو عشر أميال من دمشق ، وفى هذه السنة حكمت الخوارج وتحكمت، وهم الشراة.

وكان ممن شهد صفين مع على من أصحاب بدر سبعة وثمانون رجلا : منهم سبعة عشر من المهاجرين، وسبعون من الأنصار، وشهد معه من الأنصار ممن بايع تحت الشجرة وهى بيعة الرضوان من المهاجرين والأنصار من أصحاب رسول الله ﷺ تسعمائة، وكان جميع من شهد معه من الصحابة ألفين وثمانمائة.

وفى سنة ثمان وثلاثين كان حربه مع أهل النهروان من الخوارج، وقعد عن بيعته جماعة عثمانية لم يروا إلا الخروج عن الأمر: منهم سعد بن أبي وقاص، وعبد الله بن عمر، وبايع يزيد بعد ذلك والحجاج لعبد الملك بن مروان، ومنهم قُدامة بن مظعون، وأهبان بن صيفى، وعبد الله بن سلام، والمغيرة بن

شعبة الثقفى، وممن اعتزل من الأنصار كعب بن مالك، وحسان بن ثابت، وكانا شاعرين، وأبو سعيد الخُدرى، ومحمد بن مسلمة حليف بنى عبد الأشهل، ويزيد بن ثابت، ورافع بن خديج، ونعمان بن بشير، وفضالة بن عبيد، وكعب بن عُجرة ومسلمة بن خالد، فى آخرين من بنى أمية وسواهم.

وانتزع على أملاكا كان عثمان أقطعها جماعة من المسلمين، وقسم ما فى بيت المال على الناس، ولم يفضل أحداً على أحد، وبعثت أم حبيبة بنت أبى سفيان إلى أخيها معاوية بقميص عثمان مخضبا بدمائه مع النعمان بن بشير الأنصارى، واتصلت بيعة علي بالكوفة وغيرها من الأمصار، وكان أهل الكوفة أسرع إجابة إلى بيعته، وأخذ له البيعة على أهلها أبو موسى الأشعرى، حتى تكاثر الناس عليه، وكان عليها عاملا لعثمان.

وأتاه جماعة ممن تخلف عن بيعته من بنى أمية: منهم سعيد بن العاص، ومروان بن الحكم، والوليد بن عُقبة بن أبي مُعيط، فجرى بينه وبينهم خطب طويل، وقال له الوليد: إنا لم نتخلف عنك رغبة عن بيعتك، ولكنا قوم وترنا الناس، وخفنا علي نفوسا، فعذرنا فيما نقول واضح، أما أنا فقتلت أبى صبراً، وضربتنى حداً، وقال سعيد بن العاص كلاماً كثيراً، وقال له الوليد: أما سعيد فقتلت أباه، وأهنت مثواه، وأما مروان فإنك شتمت أباه، وعبت عثمان فى ضمه إياه.

وقد ذكر أبو مخنف لوط بن يحيى أن حسان بن ثابت وكعب بن مالك والنعمان بن بشير - قبل نفوذه بالقميص - أتوا علياً فى آخرين من العثمانية فقال كعب بن مالك : ياأمير المؤمنين، ليس مسيئاً من عتب، وخير كفر ما محاهُ عذر، فى كلام كثير، ثم بايع وبايع من ذكرنا جميعا.

وقد كان عمرو بن العاص انحرف عن عثمان لانحرافه عنه وتوليته مصر غيره ، فنزل الشام، فلما اتصل به أمر عثمان وما كان من بيعة على، كتب إلى معاوية يهزه ويشير عليه بالمطالبة بدم عثمان، وكان فيما كتب به إليه : ما كنت صانعاً إذا قشرت من كل شيء تملكه فاصنع ما أنت صانع، فبعث إليه معاوية، فسار إليه، فقال له معاوية: بايعنى ، قال : لا ، والله لا أعطيك من دينى حتى أنال من دنياك، قال : سَلْ ، قال : مصر طُعمة، فأجابه إلى ذلك، وكتب له به كتاباً.

وأتى المغيرة بن شعبة علياً، فقال له : إن لك حق الطاعة والنصيحة، وإن الرأى اليوم تحوز به ما فى غده، وإن المضاع اليوم تضيع به ما فى غد، أقرر معاوية على عمله، وأقرر ابن عامر على عمله، وأقرر العمال على أعمالهم، حتى إذا أتتك طاعتهم وطاعة الجنود استبدلت أو تركت، قال : حتى أنظر، فخرج من عنده وعاد إليه من الغد، فقال : إنى أشرت عليك بالأمس برأى وتعقبه برأى، وإنما الرأى أن تعاجلهم بالنزع فتعرف السامع من غيره وتسقتبل أمرك، ثم خرج من عنده فتلقاه ابن عباس خارجاً وهو داخل ؛ فلما انتهى إلى على قال : رأيت المغيرة خارجا من عندك ففيم جاءك ؟ قال : جاءنى أمس بكيت وكيت، وجاءنى اليوم بذيت وذيت؛ فقال : أما أمس فقد نصحك؛ وأما اليوم فقد غشك؛ قال: فما الرأى؟ قال : كان الرأى أن تخرج حين قتل عثمان، أو قبل ذلك، فتأتى مكة فتدخل دارك فتغلق عليك بابك؛ فإن كانت العرب مائلة مضطرة فى أثرك لا تجد غيرك؛ فأما اليوم فإن بنى أمية سيحسنون الطلب بأن يلزموك شُعبة من هذا الأمر، ويشبهوا فيك على الناس، وقال المغيرة: نصحته فلم يقبل، فغششته، وذكر أنه قال : والله ما نصحته قبلها، ولا أنصحه بعدها.

قال المسعودى : ووجدت فى وجه آخر من الروايات أن ابن عباس قال . قدمت من مكة بعد مقتل عثمان بخمس ليال، فجئت علياً أدخل عليه، فقيل لى: عنده المغيرة بن شعبة، فجلست بالباب ساعة، فخرج المغيرة، فسلم علىَّ، وقال : متى قدمت ؟ قلت : الساعة، ودخلت على علىّ وسلمت عليه، فقال : أين لقيت الزبير وطلحة؟ قلت : بالنواصف، قال : ومن معهما؟ قلت : أبو سعيد بن الحارث بن هشام فى فتية من قريش، فقال على : أما إنهم لم يكن لهم بد أن يخرجوا يقولون نطلب بدم عثمان، والله يعلم أنهم قتلة عثمان، فقلت : أخبرنى عن شأن المغيرة، ولم خلا بك ؟ قال : جاءنى بعد مقتل عثمان بيومين، فقال : أخلنى ، ففعلت، فقال : إن النصح رخيص وأنت بقية الناس، وأنا لك ناصح، وأنا أشير عليك أن لا ترد عمال عثمان عامك هذا، فاكتب إليهم بإثباتهم على أعمالهم، فإذا بايعوا لك واطمأن أمرك عزلت من أحببت وأقررت من أحببت، فقلت له : والله لا أداهن فى دينى، ولا أعطى الرياء فى أمرى، قال : فإن كنت قد أبيت فانزع من شئت واترك معاوية فإن له جراءة وهو فى أهل الشام مسموع منه، ولك حجة فى إثباته فقد كان عمر ولاه الشام كلها،

فقلت له: لا والله لا أستعمل معاوية يومين أبداً، فخرج من عندى على ما أشار به، ثم عاد، فقال : إنى أشرت عليك بما أشرت به وأبيت على، فنظرت فى الأمر، وإذا أنت مصيب لا ينبغى أن تأخذ أمرك بخدعة، ولا يكون فيه داسة، قال ابن عباس: فقلت له : أما أول ما أشار به عليك فقد نصحك، وأما الآخر فقد غشك، وأنا أشير عليك أن تثبت معاوية فإن بايع لك فعلى أن أقلعه من منزله، قال : لا ، والله لا أعطيه إلا السيف.

فقلت : يا أمير المؤمنين، أنت رجل شجاع، أما سمعت رسول الله ﷺ يقول : "الحرب خُدعة" ؟ فقال على : بلى ، قلت : أما والله لئن أطعتنى لأصدرن بهم بعد ورود، ولأتركنهم ينظرون فى أدبار الأمور، ولا يدرون ما كان وجهها، من غير نقص لك، ولا إثم عليك، فقال لى : يا ابن عباس، لست من هنياتك ولا هنيات معاوية فى شىء تشير به على برأى، فإذا عصيتك فأطعنى، فقلت أنا : أفعل، فإن أيسر مالك عندى الطاعة، والله ولى التوفيق.

## الأخبار عن يوم الجمل

ودخل طلحة والزبير مكة، وقد كانا استأذنا علياً فى العمرة، فقال لهما: لعلكما تريدان البصرة أو الشام ، فاقسما أنهما لا يقصدان غير مكة، وقد كانت عائشة رضى الله عنها بمكة، وقد كان عبد الله بن عامر عامل عثمان على البصرة هرب عنها حين أخذ البيعة لعلى بها وعلى الناس حارثة بن قُدامة السعدى، ومسير عثمان بن حُنيف الأنصارى إليها على خراجها من قبل على رضى الله عنه! وانصرف عن اليمن عامل عثمان وهو يعلى بن منية، فأتى مكة وصادف بها عائشة وطلحة والزبير ومروان بن الحكم فى آخرين من بنى أمية، فكان ممن حرض على الطلب بدم عثمان، وأعطى عائشة وطلحة والزبير أربعمائة ألف درهم، وكراعاً وسلاحاً، وبعث إلى عائشة بالجمل المسمى عسكراً، وكان شراؤه عليه باليمن مائتى دينار، فأرادوا الشام، فصدهم ابن عامر، وقال : إن به معاوية، ولا ينقاد إليكم ولا يطيعكم، لكن هذه البصرة لى بها صنائع وعدد، فجهزهم بألف ألف درهم ومائة من الإبل وغير ذلك. وسار القوم نحو البصرة فى ستمائة راكب، فانتهوا فى الليل إلى ماء لبنى كلاب يعرف بالحوأب، عليه ناس من بنى كلاب، فعوت كلابهم على الركب، فقالت عائشة، ما اسم هذا الموضع؟

فقال لها السائق لجملها: الحوأب، فاسترجعت وذكرت ما قيل لها فى ذلك، فقالت : ردونى إلى حرم رسول الله ﷺ ، لا حاجة لى فى المسير، فقال الزبير: بالله ماهذا الحوأب، ولقد غلط فيما أخبرك به، وكان طلحة فى ساقة الناس، فلحقها فأقسم أن ذلك ليس بالحوأب، وشهد معهما خمسون رجلا ممن كان معهم، فكان ذلك أول شهادة زور أقيمت فى الإسلام ، فأتوا البصرة فخرج إليهم عثمان ابن حُنيف فمانعهم ، وجرى بينهم قتال، ثم إنهم اصطلحوا بعد ذلك على كف الحرب إلى قدوم على، فلما كان فى بعض الليالى بيتوا عثمان بن حُنيف وأسروه وضربوه ونتفوا لحيته، ثم إن القوم استرجعوا وخافوا على مخلفيهم بالمدينة من أخيه سهل بن حُنيف وغيره من الأنصار، فخلوا عنه، وأرادوا بيت المال فمانعهم الخزان والموكلون به وهم السبابجة، فقتل منهم سبعون رجلا غير من جرح، وخمسون من السبعين ضربت رقابهم صبرا من بعد الأسر، وهؤلاء أول من قُتل ظلماً فى الإسلام وصبرا، وقتلوا حكيم بن جبلة العبدى، وكان من سادات عبد القيس وزهاد ربيعة ونساكها، وتشاح طلحة والزبير فى الصلاة بالناس، ثم اتفقوا على أن يصلى بالناس عبد الله ابن الزبير يوماً، ومحمد بن طلحة يوماً، فى خطب طويل كان بين طلحة والزبير إلى أن اتفقا على ما وصفنا.

وسار على من المدينة بعد أربعة أشهر، وقيل غير ذلك، فى سبعمائة راكب منهم أربعمائة من المهاجرين والأنصار منهم سبعون بدريا وباقيهم من الصحابة، وقد كان استخلف على المدينة سهل بن حنيف الأنصارى، فانتهى إلى الربذة بين الكوفة ومكة من طريق الجادة، وفاته طلحة وأصحابه، وقد كان على أرادهم، فانصرف حين فاتوه إلى العراق فى طلبهم، ولحق بعلى من أهل المدينة جماعة من الأنصار فيهم خزيمة بن ثابت ذو الشهادتين ، وأتاه من طيئ ستمائة

راكب، وكاتب على من الربذة أبا موسى الأشعرى ليستنفر الناس، فثبطهم أبو موسى ، وقال . إنما هى فتنة ، فنمى ذلك إلى على ، فولى على الكوفة قرظة ابن كعب الأنصارى، وكتب إلى أبى موسى : اعتزل عملنا يا ابن الحائك مذموماً مدحوراً، فما هذا أول يومنا منك، وإن لك فينا لهنات وهنيات. وسار على بمن معه حتى نزل بذى قار، وبعث بابنه الحسن وعمار بن ياسر إلى الكوفة يستنفران الناس، فسارا عنها ومعهما من أهل الكوفة نحو من سبعة آلاف، وقيل: ستة آلاف وخمسمائة وستون رجلا منهم الأشتر فانتهى على إلى البصرة وراسل القوم وناشدهم الله، فأبوا إلا قتاله.

وذكر عن المنذر بن الجارود فيما حدث به أبو خليفة الفضل بن الحباب الجمحى عن ابن عائشة عن معن بن عيسى عن المنذر بن الجارود قال : لما قدم على رضى الله عنه البصرة دخل مما يلى الطف، فأتى الزاوية فخرجت أنظر إليه، فورد موكب فى نحو ألف فارس يتقدمهم فارس على فرس أشهب عليه قلنسوة وثياب بيض متقلد سيفاً ومعه راية، وإذا تيجان القوم الأغلب عليها البياض، والصفرة مدججين فى الحديد والسلاح، فقلت : من هذا؟ فقيل : هذا أبو أيوب الأنصارى صاحب رسول الله ﷺ وهؤلاء الأنصار وغيرهم، ثم تلاهم فارس آخر عليه عمامة صفراء وثياب بيض متقلد سيفاً متنكب قوساً معه راية على فرس أشقر فى نحو ألف فارس، فقلت : من هذا ؟ فقيل : هذا خزيمة بن ثابت الأنصارى ذو الشهادتين، ثم مر بنا فارس آخر على فرس كميت معتم بعمامة صفراء من تحتها قلنسوة بيضاء وعليه قباء أبيض مصقول متقلد سيفاً متنكب قوساً فى نحو ألف فارس من الناس ومعه راية،

فقلت : من هذا؟ فقيل لى أبو قتادة بن ربعى، ثم مر بنا فارس آخر على فرس أشهب عليه ثياب بيض وعمامة سوداء قد سدلها من بين يديه ومن خلفه شديد الأدمة عليه سكينة ووقار رافع صوته بقراءة القرآن متقلد سيفا متنكب قوساً معه راية بيضاء فى ألف من الناس مختلفى التيجان حوله مشيخة وكهول وشباب كأنما قد أوقفوا للحساب ، أثر السجود قد أثر فى جباههم ، فقلت : من هذا ؟ فقيل : عمار بن ياسر فى عدة من الصحابة من المهاجرين والأنصار وأبنائهم، ثم مر بنا فارس على فرس أشقر عليه ثياب بيض وقلنسوة بيضاء وعمامة صفراد متنكب قوساً متقلد سيفاً تخط رجلاه فى الأرض فى ألف من الناس الغالبُ على تيجانهم الصفرة والبياض معه راية صفراء ، قلت : من هذا؟ قيل : هذا قيس بن سعد بن عُبادة فى عدة من الأنصار وأبنائهم وغيرهم من قحطان، ثم مر بنا فارس على فرس أشهل ما رأينا أحسن منه، عليه ثياب بيض وعمامة سوداء قد سدلها من بين يديه بلواء ، قلت : من هذا ؟ قيل : هو عبد الله بن العباس فى وفده عدة من أصحاب رسول الله ﷺ ،

ثم تلاه موكب آخر فيه فارس أشبه الناس بالأولين ، قلت : من هذا ؟ قيل: عبيد الله بن العباس، ثم تلاه موكب آخر فيه فارس أشبه الناس بالأولين ، قلت: من هذا قيل: قثم بن العباس، أو معبد بن العباس ثم أقبلت المواكب والرايات يقدم بعضها بعضاً، واشتبكت الرماح ، ثم ورد موكب فيه خلق من الناس عليهم السلاح والحديد مختلفوا الرايات فى أوله راية كبيرة يقدمهم رجل كأنما كُسد وجُبر قال ابن عائشة: وهذه صفة رجل شديد الساعدين نظره إلى الأرض أكثر من نظره إلى فوق، وكذلك تخبر العرب فى وصفها إذا أخبرت عن الرجل أنه كسر وجبر كأنما على رؤسهم الطير، وعن يمينه شاب حسن الوجه،

وعن يساره شاب حسن الوجه وبين يديه شاب مثلهما قلت : من هؤلاء ؟ قيل : هذا على بن أبى طالب، وهذان الحسن والحسين عن يمينه وشماله ، وهذا محمد بن الحنفية بين يديه معه الراية العُظمى، وهذا الذى خلفه عبد الله بن جعفر بن أبى طالب، وهؤلاء ولد عقيل وغيرهم من فتيان بنى هاشم، وهؤلاء المشايخ هم أهل بدر من المهاجرين والأنصار.

فساروا حتى نزلوا الموضع المعروف بالزاوية، فصلى أربع ركعات ، وعفر خديه على التراب، وقد خالط ذلك دموعه، ثم رفع يديه يدعو: اللهم رب السموات وما أظلت، والأرضين وما أقلت، ورب العرش العظيم، هذه البصرة أسألك من خيرها، وأعوذ بك من شرها، اللهم أنزلنا فيها خير منزل وأنت خير المنزلين، اللهم إن هؤلاء القوم قد خلعوا طاعتى، وبغوا على ونكثوا بيعتى، اللهم احقن دماء المسلمين.

وبعث إليهم من يناشدهم الله فى الدماء، وقال : علام تقاتلوننى؟ فأبوا إلا الحرب، فبعث إليهم رجلا من أصحابه يقال له مسلم معه مصحف يدعوهم إلى الله، فرموه بسهم فقتلوه، فحمل إلى على.

وأمر على رضى الله عنه أن يصافوهم، ولا يبدأوهم بقتال، ولا يرموهم بسهم ولا يضربوهم بسيف ولا يطعنوهم برمح، حتى جاء عبد الله بن بديل بن ورقاء الخزاعى من الميمنة بأخ له مقتول، وجاء قوم من الميسرة برجل قد رمى بسهم فقتل، فقال على : اللهم اشهد، وأعذروا إلى القوم.

ثم قام عمار بن ياسر بين الصفين فقال : أيها الناس، ما أنصفتم نبيكم حين كففتم عقائلكم فى الخدور وأبرزتم عقيلته للسيوف، وعائشة على جمل فى

هودج من دفوف الخشب قد ألبسوه المسوح وجلود البقر، وجعلوا دونه اللبود، وقد غشى على ذلك بالدروع، فدنا عمار من موضعها، فنادى : إلى ماذا تدعين؟ قالت : إلى الطلب بدم عثمان، فقال : قاتل الله فى هذا اليوم الباغى والطالب بغير الحق، ثم قال : أيها الناس، إنكم لتعلمون أينا المالىء فى قتل عثمان؟.

وتواتر عليه الرمى واتصل ، فحرك فرسه، وزال عن موضعه وأتى علياً فقال : ماذا تنتظر يا أمير المؤمنين وليس لك عند القوم إلا الحرب ؟!

فقام على رضى الله عنه فى الناس خطيباً رافعاً صوته فقال : أيها الناس إذا هزمتموهم فلا تجهزوا على جريح، ولا تقتلوا أسيراً، ولا تتبعوا مولياً، ولا تطلبوا مدبراً، ولا تكشفوا عورة، ولا تمثلوا بقتيل، ولا تهتكوا ستر، ولا تقربوا شيئاً من أموالهم إلا ما تجدونه فى عسكرهم من سلاح أو كُراع أو عبد أو أمة، وما سوى ذلك فهو ميراث لورثتهم على كتاب الله.

وخرج على بنفسه حاسراً على بغلة رسول الله ﷺ فنادى : يازبير، اخرج إلى، فخرج إليه الزبير شاكا فى سلاحه، فقيل ذلك لعائشة، فقالت : واثكلك يا أسماء ، فقيل لها : إن علياً حاسر، فاطمأنت، واعتنق كل واحد منهم صاحبه، فقال له على : ويحك يازبير ! ما الذى أخرجك ؟ قال : دم عثمان ، قال: قتل الله أولانا بدم عثمان، أما تذكر يوم لقيت رسول الله ﷺ فى بنى بياضة وهو راكب حماره، فضحك إلى رسول الله ، وضحكت إليه، وأنت معه، فقلت أنت: يارسول الله. مايدع على زهوه، فقال لك "ليس به زهو: أتحبه يازبير" فقلت: إنى والله لأحبه، فقال لك "إنك والله ستقاتله وأنت له ظالم" فقال الزبير: أستغفر الله، والله لو ذكرتها ما خرجت، فقال له : يازبير ارجع، فقال : وكيف أرجع الآن

وقد التقت حلقتا البطان؟ هذا والله العار الذى لا يغسل ، فقال : يازبير ارجع بالعار قبل أن تجمع العار والنار فرجع الزبير.

فقال ابنه عبد الله : أين تذهب وتدعنا؟ فقال : يابنى أذكرنى أبو الحسن بأمر كنت قد أنسيته. فقال : لا والله ، ولكنك فررت من سيوف بنى عبد المطلب؛ فإنها طوال حداد، تحملها فتية أنجاد، قال : لا والله، ولكنى ذكرت ما أنسانيه الدهر، فاخترت العار على النار، أبالجبن تعيرنى لا أبالك؟ ثم أمال سنانه وشد فى الميمنة فقال على : أفرجوا له فقد هاجوه، ثم رجع فشد فى الميسرة، ثم رجع فشد فى القلب، ثم عاد إلى ابنه، فقال : أيفعل هذا جبان؟ ثم مضى منصرفا، حتى أتى وادى السباع والأحنف بن قيس معتزل فى قومه من بنى تميم، فأتاه آت فقال له: هذا الزبير مارا، فقال : ما أصنع بالزبير وقد جمع بين فئتين عظيمتين من الناس يقتل بعضهم بعضاً وهو مار إلى منزله سالماً ؟ ! فلحقه نفر من بنى تميم فسبقهم إليه عمرو بن جرموز، وقد نزل الزبير إلى الصلاة فقال : أتؤمنى أو أومك ؟! فأمه الزبير فقتله عمرو فى الصلاة، وقتل الزبير رضى الله عنه وله خمس وسبعون سنة، وقد رثته الشعراء وذكرت غدر عمرو بن جرموز، وممن رثاه زوجته عاتكة بنت زيد بن عمرو بن نفيل أخت سعيد بن زيد.

وأتى عمرو عليا بسيف الزبير وخاتمه ورأسه ، وقيل : إنه لم يأت برأسه، فقال على : سيف طالما جلا الكرب عن وجه رسول الله ﷺ ، لكنه الحين ومصارع السوء، وقاتل ابن صفية فى النار.

ثم نادى على رضى الله عنه طلحة حين رجع الزبير: يا أبا محمد، ما الذى أخرجك؟ قال : الطلب بدم عثمان، قال على : قتل الله أولانا بدم عثمان، أما سمعت رسول الله ﷺ يقول : " اللهم وال من والاه، وعاد من عاداه" وأنت أولُ

من بايعنى ثم نكثت، وقد قال الله عز وجل «ومن نكث فإنما ينكث على نفسه» فقال : أستغفر الله ، ثم رجع، فقال مروان بن الحكم: رجع الزبير ويرجع طلحة، ما أبالى رميت ههنا أم ههنا، فرماه فى أكحله فقتله، فمر به علىٌّ بعد الوقعة فى موضعه فى قنطرة قرة، فوقف عليه، فقال : إنا لله وإنا إليه راجعون، والله لقد كنت كارهاً لهذا. وهو يمسح عن جبينه الغُبار ويقول : وكان أمر الله قدرا مقدوراً .

## ترجمة طلحة :

وهو طلحة بن عبيد الله بن عثمان بن عبيد الله بن عمرو بن كعب بن سعد بن تيم بن مرة، وهو ابن عم أبى بكر الصديق، ويكنى أبا محمد، وأمه الصعبة، وكانت تحت أبى سفيان صخر بن حرب، كذلك ذكر الزبير بن بكار فى كتابه فى أنساب قريش، وقتل وهو ابن أربع وستين سنة، وقيل غير ذلك، ودفن بالبصرة ، وقبر الزبير بوادى السباع .

وقتل محمد بن طلحة مع أبيه فى ذلك اليوم ، ومر به علىٌّ فقال : هذا رجل قتله بره بأبيه وطاعته له وكان يدعى بالسجاد، وقد تنوزع فى كنيته، فقال الواقدى: كان يكنى بأبى سليمان، وقال الهيثم بن عدى: كان يكنى بأبى القاسم.

وقد كان أصحاب الجمل حملوا على ميمنة على وميسرته فكشفوها، فأتاه بعض ولد عقيل وعلىٌّ يخفق نعاساً على قربوس سرجه، فقال له : ياعم، قد بلغت ميمنتك وميسرتك حيث ترى، وأنت تخفق نعاساً؟ قال : اسكت يا ابن أخى ، فإن لعمك يوماً لا يعدوه، والله ما يبالى عمك وقع على الموت أو وقع الموت عليه، ثم بعث إلى ولده محمد بن الحنفية، وكان صاحب رايته: احمل على القوم فأبطأ

محمد بحملته، وكان بإزائه قوم من الرماة ينتظر نفاد سهامهم، فأتاه على فقال : هلا حملت، فقال : لا أجد متقدماً إلا على سهم أو سنان، وإنى منتظر نفاد سهامهم وأحمل، فقال له : احمل بين الأسنة، فإن للموت عليك جنة، فحمل محمد ، فشك بين الرماح والنشاب فوقف، فأتاه على فضربه بقائم سيفه وقال: أدركك عرق من أمك، وأخذ الراية وحمل ، وحمل الناس معه، فما كان اليوم إلا كرماد اشتدت به الريح فى يوم عاصف، وأطافت بنو حنبة بالجمل وأقبلوا يرتجزون .

وقطع على خطام الجمل سبعون يداً، من بنى حنبة منهم سعد بن سود القاضى متقلداً مصحفاً، كلما قطعت يد واحد منهم فصرع قام آخر فأخذ الخطام وقال : أنا الغلام الضبى، ورُمى الهودج بالنشاب والنبل حتى صار كأنه قنفذ، وعرقب الجمل وهو لا يقع وقد قطعت أعضاؤه وأخذته السيوف حتى سقط، ويقال : إن عبد الله بن الزبير قبض على خطام الجمل، فصرخت عائشة وكانت خالته ـ: واثكل أسماء ، خل الخطام، وناشدته، فخلى عنه،

ولما سقط الجمل ووقع الهودج جاء محمد بن أبى بكر، فأدخل يده فقالت: من أنت ؟ قال: أقرب الناس منك قرابة ، وأبغضهم إليك، أنا محمد أخوك، يقول لك أمير المؤمنين هل أصابك شيء؟ قالت : ما أصابنى إلا سهم لم يضرنى، فجاء علىٌّ حتى وقف عليها، فضرب الهودج بقضيب، وقال : ياحميراء، رسول الله أمرك بهذا؟ ألم يأمرك أن تقرى فى بيتك؟ والله ما أنصفك الذين أخرجوك إذ صانوا عقائلهم وأبرزوك، وأمر أخاها محمداً فأنزلها فى دار صفية بنت الحارث بن طلحة العبدى وهى أم طلحة الطلحات ووقع الهودج والناس مفترقون يقتتلون، والتقى الأشتر مالك بن الحارث النخعى وعبد الله بن الزبير فاعتركا وسقطا على

الأرض عن فرسيهما وطال اعتراكهما على وجه الأرض، فعلاه الأشتر ولم يجد سبيلا إلى قتله لشدة اضطرابه من تحته والناس حولهما يجولون. وابن الزبير ينادى اقتلونى ومالكا . واقتلى مالكا قبلى : فلا يسمعه أحد لشدة الجلاد ووقع الحديد على الحديد ولا يراهما رَاء لظلمة النقع (الغبار) ، وترادف العجاج (الأصوات العالية) ، وجاء ذو الشهادتين خزيمة بن ثابت إلى على فقال : يا أمير المؤمنين، لا تنكس اليوم رأس محمد، واردد إليه الراية، فدعا به ، ورد عليه الراية.

ثم استسقى، فأتى بعسل وماء ، فحسا منه حسوة، وقال : هذا الطائفى، وهو غريب بهذا البلد، فقال له عبد الله بن جعفر: أما شغلك ما نحن فيه عن علم هذا؟ قال : إنه والله يا بنى ما ملأ صدر عمك شىء قط من أمر الدنيا.

ثم دخل البصرة، وكانت الوقعة فى الموضع المعروف بالخريبة وذلك يوم الخميس لعشر خلون من جمادى الآخرة سنة ست وثلاثين، وخطب الناس بالبصرة خطبته الطويلة التى يقول فيها : يا أهل السبخة يا أهل المؤتفكة ائتفكت بأهلك من الدهر ثلاثاً، وعلى الله تمام الرابعة، يا جند المرأة، يا أتباع البهيمة، رغا فاجبتم، وعقر فانهزمتم، أخلاقكم رقاق، وأعمالكم نفاق، ودينكم زيغ وشقاق، وماؤكم أجاج وزُعاق ، وقد ذم على أهل البصرة بعد هذا الموقف مرارا كثيرة.

ويعث بعبد الله بن عباس إلى عائشة يأمرها بالخروج إلى المدينة، فدخل عليها بغير إذنها، واجتذب وسادة فجلس عليها، فقالت له يا ابن عباس أخطأت السنة المأمور بها ، دخلت إلينا بغير إذننا ، وجلست على رحلنا بغير أمرنا فقال

لها : لو كنت فى البيت الذى خلفك فيه رسول الله ﷺ ما دخلنا إلا بإذنك ، وما جلسنا على رحلك إلا بأمرك، وإن أمير المؤمنين يأمرك بسرعة الأوبة ، والأهب للخروج إلى المدينة، فقالت : أبيت ما قلت وخالفت ما وصفت، فمضى إلى على ، فخبره بامتناعها، فرده إليها، وقال : إن أمير المؤمنين يعزم عليك أن ترجعى، فأنعمت وأجابت إلى الخروج، وجهزها على وأتاها فى اليوم الثانى ودخل عليها ومعه الحسن والحسين وباقى أولاده وأولاد إخوته وفتيان أهله من بنى هاشم وغيرهم من شيعته من همدان، فلما بصرت به النسوان صحن فى وجهه وقلن: يا قاتل الأحبة، فقال : لو كنت قاتل الأحبة لقتلت من فى هذا البيت ، وأشار إلى بيت من تلك البيوت قد اختفى فيه مروان بن الحكم وعبد الله بن الزبير وعبد الله بن عامر وغيرهم، فضرب من كان معه بأيديهم إلى قوائم سيوفهم لما علموا من فى البيت مخافة أن يخرجوا منه فيغتالوه، فقالت له عائشة بعد خطب طويل كان بينهما: إنى أحب أن أقيم معك فأسير إلى قتال عدوك عند سيرك، فقال : بل ارجعى إلى البيت الذى تركك فيه رسول الله ﷺ ، فسألته أن يؤمن ابن أختها عبد الله بن الزبير، فأمنه، وتكلم الحسن والحسين فى مروان ، فأمنه، وأمن الوليد بن عقبة وولد عثمان وغيرهم من بن أمية، وأمن الناس جميعاً، وقد كان نادى يوم الوقعة: من ألقى سلاحه فهو آمن ، ومن دخل داره فهو آمن.

واشتد حزن علىٍّ على من قتل من ربيعة قبل وروده البصرة، وهم الذين قتلهم طلحة والزبير من عبد القيس وغيرهم من ربيعة، وجدد حزنه قتل زيد بن صوحان العبدى قتله فى ذلك اليوم عمرو بن سبرة، ثم قتل عمار بن ياسر عمرو بن سبرة فى ذلك اليوم أيضاً.

وخرجت امرأة من عبد القيس تطوف فى القتلى، فوجدت ابنين لها قد قتلا، وقد كان قُتل زوجها وأخوان لها فيمن قتل قبل مجىء على البصرة.

وقد ذكر المدائنى أنه رأى بالبصرة رجلا مصطلم الأذن، فسأله عن قصته، فذكر أنه خرج يوم الجمل ينظر إلى القتلى، فنظر إلى رجل منهم يخفض رأسه ويرفعه وهو يقول :

لقد أوردتنا حومة الموت أمنا فلم تنصرف إلا ونحن رواه

أطفنا بنى يتم لشقوة صبرنا وما تيم إلا أعبدٌ وإماء

فقلت : سبحان الله ! أتقول هذا عند الموت ؟ قل لا إله إلا الله، فقال : يا ابن اللخناء، إياى تأمر بالجزع عند الموت ؟ فوليت عنه متعجبا منه، فصاح بى ادن منى ولقنى الشهادة ، فصرت إليه ، فلما قربت منه استدنانى، ثم التقم أذنى فذهب بها، فجعلت ألعنه وأدعو عليه، فقال : إذا صرت إلى أمك فقالت من فعل هذا بك؟ فقل عمير بن الأهلب الضبى مخدوع المرأة التى أرادت أن تكون أمير المؤمنين.

وخرجت عائشة من البصرة، وقد بعث معها على أخاها عبد الرحمن بن أبى بكر وثلاثين رجلا وعشرين امرأة من ذوات الدين من عبد القيس وهمدان وغيرهما، ألبسهن العمائم وقلدهن السيوف، وقال لهن: لا تعلمن عائشة أنكن نسوة وتلثمن كأنكن رجال ، وكن اللاتى تلين خدمتها وحملها، فلما أتت المدينة قيل لها: كيف رأيت مسيرك؟ قالت : كنت بخير والله ، لقد أعطى على بن أبى طالب فأكثر ،

ولكنه بعث معى رجالا أنكرتهم فعرفها النسوة امرهن، فسجدت وقالت : ما ازددت والله يا ابن أبى طالب إلا كرما، ووددت أنى لم أخرج وإن أصابتنى كيت وكيت من أمور ذكرتها شاقة، وإنما قيل لى : تخرجين فتصلحين بين الناس ، فكان ما كان، والذى قتل من أصحاب على فى ذلك اليوم خمسة آلاف نفس ومن أصحاب الجمل وغيرهم من أهل البصرة وغيرهم ثلاثة عشر ألفاً، وقيل غير ذلك.

ووقف علىُّ على عبد الرحمن بن عتاب بن أسيد بن أبى العيص بن أمية وهو قتيل يوم الجمل فقال : لهفى عليك يعسوب قريش، قتلت الغطاريف (الشجعان) من بنى عبد مناف . شفيت نفسى وجدعت أنفى، فقال له الأشتر: ما أشد جزعك عليهم يا أمير المؤمنين وقد أرادوا بك ما نزل بهم ! فقال : إنه قامت عنى وعنهم نسوة لم يقمن عنك وقد كان قتله فى ذلك اليوم الأشتر النخعى وأصيب كف ابن عتاب بمنى وقيل باليمامة ألقتها عُقاب وفيها خاتم نقشه عبد الرحمن بن عتاب وكان اليوم الذى وجد فيه الكف بعد يوم الجمل بثلاثة أيام.

ودخل علىّ بيت مال البصرة فى جماعة من المهاجرين والأنصار، فنظر إلى ما فيه من العين (الذهب) والورق (الفضة) فجعل يقول : ياصفراء، غُرى غيرى ويا بيضاء، غرى غيرى وأدام النظر إلى المال مفكراً، ثم قال : اقسموه بين أصحابى ومن معى خمسمائة خمسمائة ، ففعلوا فما نقص درهم واحد، وعدد الرجال اثنا عشر ألفاً.

وقبض ما كان فى معسكرهم من سلاح ودابة ومتا ع وآلة وغير ذلك فباعه وقسمه بين أصحابه، وأخذ لنفسه كما أخذ لكل واحد ممن معه من أصحابه وأهله وولده خمسمائة درهم، فأتاه رجل من أصحابه فقال : يا أمير المؤمنين

إنى لم آخذ شيئاً، وخلفنى عن الحضور كذا، وأدلى بعذر، فأعطاه الخمسمائة التى كانت له.

وقيل لأبى لبيد الجهضمى من الأزد : أتحب علياً ؟ قال : وكيف أحب رجلا قتل من قومى فى بعض يوم ألفين وخمسمائة ، وقتل من الناس حتى لم يكن أحد يعزى أحداً، واشتغل أهل كل بيت بمن لهم؟

وولى علىّ على البصرة عبد الله بن عباس، وسار إلى الكوفة، فكان دخوله إليها لاثنتى عشرة ليلة مضت من رجب؛ وبعث إلى الأشعث بن قيس يعزله عن أذربيجان وأريمنية، وكان عاملا لعثمان عليها، وصرف عن همدان جرير بن عبد الله البجلى، وكان عاملا لعثمان، فكان فى نفس الأشعث على علىّ ما ذكرنا من العزل وما خاطبه به حين قدم عليه فيما اقتطع هنالك من الأموال.

ووجه بجرير بن عبد الله إلى معاوية وقد كان الأشتر حذره من ذلك، وخوفه من جرير، وقد كان جرير قال لعلى : ابعثنى إليه، فإنه لم يزل لى مستنصحا ووادا، فآتيه وأدعوه إلى أن يسلم لك هذا الأمر، وأدعو أهل الشام إلى طاعتك، فقال الأشتر: لا تبعثه ولا تصدقه، فوالله إنى لأظن هواه هواهم ونيته نيتهم، فقال على : دعه حتى ننظر ما يرجع به إلينا، فبعث به وكتب إلى معاوية معه يعلمه مبايعة المهاجرين والأنصار إياه واجتماعهما، ونكث الزبير وطلحة، وما أوقع الله بهما، ويأمره بالدخول فى طاعته، ويعلمه أنه من الطلقاء الذين لا تحل لهم الخلافة، فلما قدم عليه جرير دافعه وسأله أن ينتظره وكتب له عمرو بن العاص ، فقدم عليه فأعطاه مصر طُعمة، فأشار إليه عمرو بالبعث إلى وجوه الشام وأن يلزم علياً دم عثمان، ويقاتله بهم، فقدم جرير على على فأخبره خبرهم، واجتماع أهل الشام مع معاوية على قتاله، وأنهم يبكون على عثمان

ويقولون : إن علياً قتله، وآوى قتلته ومنع منهم، وإنهم لابد لهم من قتاله حتى يفنوه أو يفنيهم، فقال الأشتر: قد كنت أخبرتك يا أمير المؤمنين بعداوته وغشه، ولو بعثتنى لكنت خيراً من هذا الذى أرخى خناقه وأقام حتى لم يدع باباً نرجو روحه إلا فتحه، ولا باباً يخاف منه إلا أغلقه، فقال جرير: لو كنت ثم لقتلوك، والله لقد ذكروا أنك من قتلة عثمان، قال الأشتر: لو أتيتهم والله ياجرير لم يُعينى جوابهم، ولا ثقل على خطابهم، ولحملت معاوية على خطة أعجلته فيها عن الفكر، ولو أطاعنى أمير المؤمنين فيك لحبسك وأشباهك فى محبس فلا تخرجون منه حتى يستقيم هذا الأمر.

فخرج جرير عند ذلك إلى بلاد قرقيسيا والرحبة من شاطىء الفرات، وكتب إلى معاوية يعلمه بما نزل به، وأنه أحب مجاورته والمقام فى داره، فكتب إليه معاوية يأمره بالمسير إليه.

وبعث معاوية إلى المغيرة بن شُعبة الثقفى - عند مُنصرف على من الجمل، وقبل مسيره إلى صفين بكتاب يقول يه : لقد ظهر من رأى ابن أبى طالب ما كان تقدم من وعده لك فى طلحة والزبير، فما الذى بقى من رأيه فينا؟ وذلك أن المغيرة بن شعبة لما قتل عثمان وبايع الناس عليا دخل عليه المغيرة فقال : ياأمير المؤمنين، إن لك عندى نصيحة، فقال : وما هى ؟ قال : إن أردت أن يستقيم لك ما أنت فيه فاستعمل طلحة بن عبيد الله على الكوفة، والزبير بن العوام على البصرة، وابعث إلى معاوية بعهده على الشام حتى تلزمه طاعتك، فإذا استقر قرارها رأيت فيه رأيك، قال : أما طلحة والزبير فسأرى رأيى فيهما، وأما معاوية فلا والله لايرانى الله أستعين به مادام على حاله أبداً، ولكنى أدعوه إلى ما عرفته، فإن أجاب وإلا حاكمته إلى الله، فانصرف المغيرة مغضبا.

# معركة صفين

وكان سير على من الكوفة إلى صفين لخمس خلون من شوال سنة ست وثلاثين ، واستخلف على الكوفة أبا مسعود عُقبة بن عامر الأنصارى فاجتاز فى مسيره بالمدائن، ثم أتى الأنبار، وسار حتى نزل الرقة، فعُقدَ له هنالك جسر، فعبر إلى جانب الشام. وقد تنوزع فى مقدار ما كان معه من الجيش، فمكثر ومقل، والمتفق عليه من قول الجميع تسعون ألفاً .

وسار معاوية من الشام، وقد تنوزع فى مقدار من كان معه أيضاً فمكثر ومقل، والمتفق عيه من قول الجميع خمس وثمانون ألفاً، فسبق علياً إلى صفينَ، وعسكر فى موضع سهل أفيح اختاره قبل قدوم على ، على شريعة لم يكن على الفرات فى ذلك الموضع أسهل منها للوارد إلى الماء، وما عداها أخراق عالية، ومواضع إلى الماء وعرة، ووكل أبا الأعور السلمى بالشريعة مع أربعين ألفاً، وكان على مقدمته، وبات على وجيشه فى البر عطاشاً قد حيل بينهم وبين الورود إلى الماء، فقال عمرو بن العاص لمعاوية: إن عليا لا يموت عطشاً هو وتسعون ألفاً من أهل العراق وسيوفهم على عواتقهم، ولكن دعهم يشربون ونشرب، فقال معاوية: لا والله أو يموتوا عطشاً كما مات عثمان، وخرج على يدور فى عسكره بالليل.

وأتى الأشعث بن قيس علياً رضى الله عنه، فقال له : أخرج فى أربعة آلاف من الخيل حتى تهجم بهم فى وسط عسكر معاوية فتشرب وتستقى لأصحابكم أو تموتوا عن آخركم، وأنا مُسير الأشتر فى خيل ورجاله وراءك، فسار الأشعث فى أربعة آلاف من الخيل .

ثم دعا عليّ الأشتر فسرحه في أربعة آلاف من الخيل والرجالة، فصار يوم الأشعث وصاحب رايته وهو رجل من النخع .

ثم سار عليّ رضى الله عنه وراء الأشتر بباقى الجيش، ومضى الأشعث فما رد وجهه أحد حتى هجم على عسكر معاوية، فأزال أبا الأعور عن الشريعة، وغرق منهم بشراً وخيلا، وأورد خيله الفرات ، وذلك أن الأشعث داخلته الحمية فى هذا اليوم، وكان يقدم رمحه ثم يحث أصحابه فيقول : ازحموهم مقدار هذا الرمح، فيزيلوهم عن ذلك المكان، فبلغ ذلك من فعل الأشعث علياً، فقال هذا اليوم نصرنا فيه بالحمية.

وارتحل معاوية عن الموضع، وورد الأشتر، وقد كشف الأشعث القومَ عن الماء، وأزالهم عن مواضعهم ، وورد عليُّ فنزل فى الموضع الذى كان فيه معاوية فقال معاوية لعمرو بن العاص: يا أبا عبد الله، ماظنك بالرجل أتراه يمنعنا الماء لمنعنا إياه؟ وقد كان انحاز بأهل الشام إلي ناحية فى البر نائية عن الماء، فقال له عمرو: لا، إن الرجل جاء لغير هذا، وإنه لا يرضي حتى تدخل فى طاعته أو يقطع حبل عاتقك، فأرسل إليه معاوية يستأذنه فى ورود مشرعته، واستقاء الناس من طريقه ودخول رسله فى عسكره، فأباحه عليُّ كلَّ ما سأل وطلب منه.

ولما كان أول يوم من ذى الحجة بعد نزول عليّ على هذا الموضع بيومين بعث إلى معاوية يدعوه إلى اتحاد الكلمة والدخول فى جماعة المسلمين، وطالت المراسلة بينهما، فاتفقوا على الموادعة إلى آخر المحرم من سنة سبع وثلاثين، وامتنع المسلمون عن الغزو فى البحر والبر لشغلهم بالحروب، وقد كان معاوية صالح ملك الروم على مال يحمله إليه لشغله بعلي، ولم يتم بين على ومعاوية

صلح على غير ما اتفقا عليه من الموادعة فى المحرم، وعزم القوم على الحرب بعد انقضاء المحرم .

ولما كان فى اليوم الآخر من المحرم قبل غروب الشمس بعث على إلى أهل الشام : إنى قد احججت عليكم بكتاب الله، ودعوتكم إليه، وإنى قد نبذت إليكم على سواء، إن الله لايهدى كيد الخائنين، فلم يردوا عليه جوابا إلا "السيف بيننا وبينك أو يهلك الأعجز منا".

وأصبح على يوم الأربعاء -وكان أول يوم من صفر- فعبأ الجيش، وأخرج الأشتر أمام الناس، وأخرج إليه معاوية، وقد تصاف أهل الشام وأهل العراق حبيب بن مسلمة الفهرى ، وكان بينهم قتال شديد سائر يومهم، وأسفرت عن قتلى من الفريقين جميعاً، وانصرفوا.

فلما كان يوم الخميس - وهو اليوم الثانى - أخرج على هاشم بن عتبة بن أبى وقاص الزهرى المرْقَال ، وهو ابن أخى سعد بن أبى وقاص ، وإنما سمى المرقال لأنه كان يرقل فى الحرب، وكان أعور ذهبت عينه يوم اليرموك، وكان من شيعة على، فأخرج إليه معاوية أبا الأعور السلمى وهو سفيان بن عوف وكان من شيعة معاوية والمنحرفين عن على ، فكانت بينهم الحرب سجالاً، وانصرفوا فى آخر يومهم عن قتل كثير.

وأخرج على فى اليوم الثالث - وهو يوم الجمعة - أبا اليقظان عمار بن ياسر فى عدة من البدريين وغيرهم من المهاجرين والأنصار فيمن تسرع معهم من الناس، وأخرج إليه معاوية عمرو بن العاص فى تنوخ وبهراء وغيرهما من أهل الشام، فكانت بينهم سجالا إلى الظهر، ثم حمل عمار بن ياسر فيمن

ذكرنا، فأزال عمراً عن موضعه وألحقه بعسكر معاوية، وأسفرت عن قتلى كثيرة من أهل الشام ودونهم من أهل العراق.

وأخرج على فى اليوم الرابع - وهو يوم السبت- ابنه محمد بن الحنفية فى همدان وغيرها ممن خف معه من الناس، فأخرج إليه معاوية عبيد الله بن عمر ابن الخطاب فى حمير ولخم وجُذام، وقد كان عبيد الله بن عمر لحق بمعاوية خوفا من علىّ أن يقيده بالهرمزان - وذلك أن أبا لؤلؤة غلام المغيرة بن شعبة قاتل عمر، وكان فى أرض العجم غلاماً للهرمزان، فلما قُتل عمر شد عبيد الله على الهرمزان فقتله، وقال : لا أترك بالمدينة فارسياً ولا في غيرها إلا قتلته بأبى، وكان الهرمزان عليلا فى الوقت الذى قتل فيه عمر- فلما صارت الخلافة إلي علىّ أراد قتل عبيد الله بن عمر بالهرمزان لقتله إياه ظلماً من غير سبب استحقه فلجأ إلي معاوية، فاقتتلوا فى ذلك اليوم ، وكانت عَلَى أهل الشام، ونجا ابن عمر فى آخر النهار هرباً.

وأخرج علىّ فى اليوم الخامس - وهو يوم الأحد- عبد الله بن العباس فأخرج إليه معاوية الوليد بن عقبة بن أبى مُعيط، فاقتتلوا، وأكثر الوليد من سب بنى عبد المطلب بن هاشم، فقاتله ابن عباس قتالا شديداً، وناداه: أبرز إلى صوان، وكان لقب الوليد، وكانت الغلبة لابن عباس، وكان يوماً صعباً.

وأخرج على فى اليوم السادس - وهو يوم الاثنين - سعيد ابن قيس الهمدانى، وهو سيد همدان يومئذ، فأخرج إليه معاوية ذا الكلاع، وكانت بينهما إلى آخر النهار، وأسفرت عن قتلى، وانصرف الفريقان جميعاً.

وأخرج علىّ فى اليوم السابع - وهو يوم الثلاثاء - الأشتر فى النخع

وغيرهم، فأخرج إليه معاوية حبيب بن مسلمة الفهرى، فكانت الحرب بينهم سجالا، وصبر كلا الفريقين وتكافئوا وتواقفوا للموت ثم انصرف الفريقان وأسفرت عن قتلى منهما، والجراح فى أهل الشام أعم.

وخرج فى اليوم الثامن - وهو يوم الأربعاء - على رضى الله تعالى عنه بنفسه فى الصحابة من البدريين وغيرهم من المهاجرين والأنصار وربيعة وهمدان.

قال ابن عباس : رأيت فى هذا اليوم علياً وعليه عمامة بيضاء، وكأن عينيه سراج سليط، وهو يقف على طوائف الناس فى مراتبهم يحثهم ويحرضهم، حتى انتهى إلى وأنا فى كثيف من الناس، فقال: يا معشر المسلمين ، عموا الأصوات، وأكملوا اللأمة، واستشعروا الخشية ، وأقلقوا السيوف فى الأجفان قبل السلة، والحظو السرر، واطعنوا الهبر، ونافحوا بالظبا، وصلوا السيوف بالخطا والنبال بالرماح، وطيبوا عن أنفسكم أنفساً، فإنكم بعين الله، ومع ابن عم رسول الله، عاودوا الكر، واستقبحوا الفر، فإنه عار فى الأعقاب، ونار يوم الحساب ودونكم هذا السواد الأعظم، والرواق المطنب، فاضربوا نهجه، فإن الشيطان راكب صعيده، مفترش ذراعيه، قد قدم للوثبة يداً وأخر للنكوص رجلاً، فصبرا جميلا حتى تنجلى عن وجه الحق، وأنتم الأعلون والله معكم ولن يتركم (ينقصكم) أعمالكم.

وتقدم علىّ للحرب على بغلة رسول الله ﷺ الشهباء، وخرج مُعاوية فى عدد أهل الشام، فانصرفوا عند المساء وكل غير ظافر.

وخرج فى اليوم التاسع - وهو يوم الخميس - علىّ، وخرج معاوية، فاقتتلوا

إلى ضحوة من النهار، وبرز أمام الناس عبيد الله بن عمر بن الخطاب فى أربعة آلاف من الخضرية معممين بشقاق الحرير الأخضر متقدمين للموت يطلبون بدم عثمان، وابن عمر يقدمهم. فناداه على : ويحك يا ابن عمر، علام تقاتلنى؟ والله لو كان أبوك حياً ما قاتلنى، قال : أطالب بدم عثمان، قال : أنت تطلب بدم عثمان، والله يطلبك بدم الهرمزان، وأمر على الأشتر النخعى بالخروج إليه، فخرج الأشتر إليه. فانصرف عنه عبيد الله ولم يبارزه، وكثرت القتلى يومئذ.

وقال عمار بن ياسر: إنى لأرى وجوه قوم لا يزالون يقاتلون حتى يرتاب المبطلون، والله لو هزمونا حتى يبلغوا بنا سعفات هجر لكنا على الحق وكانوا على الباطل.

وتقدم عمار فقاتل ثم رجع إلي موضعه فاستسقى ، فأتته امرأة من نساء بنى شيبان من مصافهم بعُس فيه لبن، فدفعته إليه، فقال : الله أكبر الله أكبر، اليوم ألقى الأحبة تحت الأسنة، صدق الصادق، وبذلك أخبرنى الناطق ، وهو اليوم الذى وُعدت فيه، ثم قال : أيها الناس ، هل من رائح إلي الله تحت العوالى؟ والذي نفسى بيده لنقاتلنهم على تأويله كما قاتلناهم على تنزيله. فتوسط القوم ، واشتبكت عليه الأسنة ، فقتله أبو العادية العامى وابن جَون السكسكى ، واختلفا فى سلبه؛ فاحتكما إلى عبد الله بن عمرو بن العاص، فقال لهما: اخرجا عنى، فإنى سمعت رسول الله ﷺ يقول ، أو قال : قال رسول الله ﷺ وولعت قريش بعمار "ما لهم ولعمار؟ يدعوهم إلى الجنة ويدعونه إلى النار" وكان قتله عند المساء وله ثلاث وتسعون سنة، وقبره بصفين وصلى عليه علىّ عليه السلام ولم يغسله، وكان يغير شيبه. وقد تنوزع فى نسبه فمن الناس من ألحقه ببنى مخزوم، ومنهم من رأى أنه من حُلفائهم، ومنهم من رأى غير ذلك.

ولما صرع عمار تقدم سعيد بن قيس الهمدانى فى همدان، وتقدم قيس ابن سعد بن عُبادة الأنصارى فى الأنصار وربيعة، وعدى بن حاتم فى طيىء وسعيد بن قيس الهمدانى فى أول الناس، فخلطوا الجمع بالجمع، واشتد القتال وحطمت همدان أهل الشام حتى قذفتهم إلى معاوية، وقد كان معاوية صَمد فيمن كان معه لسعيد بن قيس ومن معه من همدان، وأمر علىّ الأشتر أن يتقدم باللواء إلى أهل حمص وغيرهم من أهل قنسرين، فأكثر القتل فى أهل حمص وقنسرين بمن معه من القراء، وأبلى المرقال يومئذ بمن معه فلا يقوم له شىء، وجعل يرقل كما يرقل الفحل فى قيده، وعلىٌّ وراءه يقول له : يا أعور، لا تكن جبانا، تقدم. ثم صمد هاشم بن عتبة المرقال لذى الكلاع وهو فى حمير، فحمل عليه صاحب لواء ذى الكلاع، وكان رجلا من عُذرة.

فاختلفا طعنتين، فطعنه هاشم المرقال فقتله، وقتل بعده تسعة عشر رجلا، وحمل هاشم المرقال وحمل ذو الكلاع ومع المرقال جماعة من أسلم قد آلوا أن لا يرجعوا أو يفتحوا أو يقتلوا، فاجتلد الناس، فقتل هاشم المرقال، وقتل ذو الكلاع جميعاً، فتناول ابن المرقال اللواء حين قتل أبوه فى وسط المعركة وكر في العجاج.

ووقف على رضى الله عنه عند مصرع المرقال ومن صرع حوله من الأسلميين وغيرهم، فدعا لهم وترحم عليهم.

واستشهد فى ذلك اليوم صفوان وسعد ابنا حذيفة بن اليمان، وقد كان حذيفة عليلا بالكوفة في سنة ست وثلاثين، فبلغه قتل عثمان وبيعة الناس لعلى فقال : أخرجونى وادعوا الصلاة جامعة، فوضع على المنبر، فحمد الله وأثنى عليه وصلى على النبى ﷺ وعلى آله، ثم قال : أيها الناس ، إن الناس قد بايعوا

علياً فعليكم بتقوى الله وانصروا علياً ووازروه؛ فوالله إنه لعلي الحق آخراً وأولا ، وإنه لخير من مضى بعد نبيكم ومن بقى إلى يوم القيامة، ثم أطبق يمينه على يساره ثم قال : اللهم اشهد، إنى قد بايعت علياً، وقال : الحمد لله الذى أبقانى إلى هذا اليوم، وقال لابنيه صفوان وسعد: احملانى وكوناً معه، فستكون له حروب كثيرة فيهلك فيها خلق من الناس، فاجتهدا أن تستشهدا معه، فإنه والله على الحق، ومن خالفه على الباطل، ومات حذيفة بعد هذا اليوم بسبعة أيام، وقيل: بأربعين يوماً واستشهد عبد الله بن الحارث النخعى أخو الأشتر واستشهد فيه عبد الله وعبد الرحمن ابنا بدَيل بن ورقاء الخزاعى فى خلق من خزاعة، وكان عبد الله فى ميسرة علَىَ.

فقتل ثم قتل عبد الرحمن أخوه بعده، فيمن ذكرنا من خزاعة.

ولما رأى معاوية القتل فى أهل الشام وكلب أهل العراق عليهم استدعى بالنعمان ابن جَبَلَة التنوخى - وكان صاحب راية قومه فى تنوخ وبهراء وقال له لقد هممت أن أولى قومك من هو خير منك مقدماً، وأنصح منك دينا، فقال له النعمان: إنا لو كنا ندعو قومنا إلى جيش مجموع لكان فى كسع الرجال بعض الأناة فكيف ونحن ندعوهم إلى سيوف قاطعة، ورُدَينية شاجرة، وقوم ذوى بصائر نافذة، والله لقد نصحتك على نفسى، وآثرت ملكك على دينى ، وتركت لهواك الرشد وأنا أعرفه،

وحدت عن الحق وأنا أبصره، وما وُفقت أرشد حين أقاتل على ملكك ابن عم رسول الله ﷺ وأول مؤمن به ومهاجر معه، ولو أعطيناه ما أعطيناك لكان أرأف بالرعية، وأجزل فى العطية، ولكن قد بذلنا لك الأمر ولابد من إتمامه كان

غيا أو رشداً، وحاشا أن يكون رشداً، وسنقاتل عن تين الغوطة وزيتونها إذ حرمنا أثمار الجنة وأنهارها، وخرج إلى قومه، وصمد إلى الحرب.

وكان عبيد الله بن عمر إذا خرج إلى القتال قام إليه نساؤه فشددن عليه سلاحه، ما خلا الشيبانية بنت هانىء بن قبيصة، فخرج فى هذا اليوم، وأقبل على الشيبانية، وقال لها : إنى قد عبأت اليوم لقومك، وايم الله إنى لأرجو أن أربط بكل طنب من أطناب فُسطاطى سيداً منهم، فقالت له : ما أبغض إلا أن تقاتلهم قال : ولم ؟ قالت : لأنه لم يتوجه إليهم صنديد في جاهلية ولا إسلام وفي رأسه صعر إلا أبادوه، وأخاف أن يقتلوك، وكأنى بك قتيلا.

وقد أتيتهم أسألهم أن يهبوا لى جيفتك، فرماها بقوس فشجها وقال لها : ستعلمين بمن آتيك من زعماء قومك، ثم توجه فحمل عليه حريث بن جابر الجعفى فطعنه فقتله، وقيل : إن الأشتر النخعى هو الذى قتله، وقيل : إن علياً ضربه ضربة فقطع ما عليه من الحديد حتى خالط سيفه حُشوة جوفه، وإن عليا قال حين هرب فطلبه ليقيد منه بالهرمزان: لئن فاتنى فى هذا اليوم لا يفوتنى فى غيره، وكلم نساؤه معاوية فى جيفته،

فأمر أن تأتين ربيعة فتبذلن في جيفته عشرة آلاف، ففعلن ذلك، فاستأمرت ربيعة علياً، فقال لهم: إنما جيفته جيفة كلب لا يحل بيعها، ولكن قد أجبتهم إلى ذلك ؛ فاجعلوا جيفته لبنت هانىء بن قبيصة الشيبانى زوجته،

فقالوا لنسوة عبيد الله : إن شئتن شددناه إلى ذنب بغل ثم ضربناه حتى يدخل إلى عسكر معاوية، فصرخن وقلن: هذا أشد علينا، وأخبرن معاوية بذلك، فقال لهن : أئتوا الشيبانية فسلوها أن تكلمهم فى جيفته، ففعلن ، وأتت القوم

وقالت : أنا بنت هانىء بن قبيصة وهذا زوجى القاطع الظالم وقد حذرته ما صار إليه فهبوا إلى جيفته، ففعلوا، وألقت إليهم بمطرف خز فأدرجوه فيه ودفعوه إليها فمضت به، وكان قد شد فى رجله إلى طنب فسطاط من فساطيطهم.

ولما قتل عمار ومن ذكرنا فى هذا اليوم حرض علىّ رضى الله عنه وقال لربيعة : أنتم درعى ورمحى، فانتدب له مابين عشرة آلاف إلى أكثر من ذلك من ربيعة وغيرهم، قد جادوا بأنفسهم لله عز وجل ، وعلىّ أمامهم على البغلة الشهباء.

وحمل وحملوا معه حملة رجل واحد، فلم يبق لأهل الشام صف إلا انتقض، وأهمدوا كل ما أتوا عليه، حتى أتوا إلى قبة معاوية، وعلىٌ لا يمر بفارس إلا قده.

ثم نادى على : يا معاوية، علام يقتل الناس بينى وبينك؟ هلم أحاكمك إلى الله فأينا قتل صاحبه استقامت له الأمور ، فقال له عمرو قد أنصفك الرجل، فقال له معاوية: ما أنصفت، وإنك لتعلم أنه لم يبارزه رجل قط إلا قتله أو أسره، فقال له عمرو: وما يجمل بك إلا مبارزته، فقال له معاوية: طمعت فيها بعدى، وحقدها عليه.

وقد قيل فى بعض الروايات : إن معاوية أقسم علي عمرو لما أشار عليه بهذا أن يبرز إلى علىّ، فلم يجد عمرو من ذلك بداً، فبرز، فلما التقيا عرفه علىّ وشال السيف ليضربه به ، فكشف عمرو عن عورته، وقال : مُكره أخوك لا بطل فحول علىٌ وجهه عنه، وقال : قبحت! ورجع عمرو إلى مصافه.

وقد ذكر هشام بن محمد الكلبى عن الشرق بن القطامى أن معاوية قال

لعمرو بعد انقضاء الحرب: هل غششتنى منذ نصحتنى ؟ قال : لا، قال : بلى والله يوم أشرت على بمبارزة على وأنت تعلم ماهو، قال : دعاك إلى المبارزة فكنت من مبارزته على إحدى الحسنيين: إما أن تقتله فتكون قد قتلت قاتل الأقران وتزداد شرفاً إلى شرفك ، وإما أن يقتلك فتكون قد استعجلت مرافقة الشهداء والصالحين وحسنَ أولئك رفيقاً، فقال معاوية ياعمرو، الثانية أشد من الأولى.

وكان فى هذا اليوم من القتال ما لم يكن قبل، فمن أخبار صفين أن هاشما المرقال لما وقع إلى الأرض وهو يجود بنفسه رفع رأسه فإذا عبيد الله بن عمر مطروحا إلى قربه جريحا، فحبا حتى دنا منه، فلم يزل يعض على ثدييه حتى ثبتت فيه أسنانه لعدم السلاح والقوة لأنه أصيب فوقه ميتاً هو ورجل من بكر بن وائل ، قد زحفا إلى عبيد الله جميعا فنهشاه، وانصرف القوم إلى مواضعهم، وخرج كل فريق منهم يحملون ما أمكن من قتلاهم.

ومر معاوية فى خواص من أصحابه فى الموضع الذى كان ميمنته فيه، فنظر إلى عبد الله بن بديل بن ورقاء الخزاعى مُعَفراً بدمائه، وقد كان على ميسرة على، فحمل على ميمنة معاوية فأصيب، فأراد معاوية أن يمثل به فقال له عبد الله بن عامر وكان صديقا لابن بديل: والله لاتركتك وإياه، فوهبه له، فغطاه بعمامته وحمله فواراه، فقال له معاوية : قد والله واريت كبشا من كباش القوم وسيداً من سادات خزاعة غير مُدافع، والله لو ظفرت بنا خزاعة لأكلونا، ولو أنا من جندل، دون هذا الكبش.

ونظر على إلى غسان في مصافهم لايزولون ، فحرض أصحابه عليهم ،

وقال : إن هؤلاء لن يزولوا عن موقفهم دون طعن يخرج منه النسيم، وضرب بفلق الهام ويصبح العظام، وتسقط منه المعاصم والأكف، وحتى تشدخ جباههم بعُمُد الحديد، وتنتثر لمهم على الصدور والأذقان، أين أهل الصبر وطلاب الأجر؟ فثاب إليه عصابة من المسلمين من سائر الناس، فدعا ابنه محمداً، فدفع إليه الراية وقال : امش بها نحو هذه الراية مشياً رويداً، حتى إذا أشرعت فى صدورهم الرماح، فأمسك حتى يأتيك أمرى، ففعل، وأتاه علىٌّ ومعه الحسن والحسين وشيوخ بدر وغيرهم من الصحابة، وقد كردس الخيل، فحملوا على غسان ومن يليها فقتلوا منها بشراً كثيرا، وعادت الحرب في آخر النهار كحالها فى أوله، وحملت ميمنة معاوية وفيها عشرة آلاف من مذحج وعشرون ألفاً مقنعون فى الحديد على ميسرة على، فاقتطعوا ألف فارس، فانتدب من أصحاب على عبد العزيز بن الحارث الجعفى، وقال لعلى: مرنى بأمرك، فقال : شد الله ركنك! سر حتى تنتهى إلى إخواننا المحاط بهم، وقل لهم: يقول لكم على : كبروا ثم احملوا ونحمل حتى نلتقى، فحمل الجعفى، فطعن فى عرضهم حتى انتهى إليهم، فأخبرهم بمقالة على، فكبروا، ثم شدوا حتى التقوا بعلى، وشدخوا سبعمائة من أهل الشام، وقتل حوشب ذو ظليم، وهو كبش من كباش اليمن من أهل الشام، وكان على راية ذُهْل بن شيبان وغيرها من ربيعة الحضين بن المنذر بن الحارث بن وعلة الذهلى.

فأمره بالتقدم واختلط الناس ، وبطل النبل، واستعملت السيوف، وجنهم الليل، وتنادوا بالشعار، وتقصفت الرماح، وتكادم القوم، وكان يعتنق الفارس الفارس ويقعان جميعاً إلى الأرض عن فرسيهما، وكانت ليلة الجمعة - وهى ليلة الهرير- فكان جملة من قتل علىٌّ بكفه في يومه وليلته خمسمائة وثلاثة وعشرين

رجلا أكثرهم فى اليوم، وذلك أنه كان إذا قتل رجلا كبر إذا ضرب، ولم يكن يضرب إلا قتل، ذكر ذلك عنه من كان يليه فى حربه ولا يفارقه من ولده وغيرهم.

وأصبح القوم علي قتالهم، وكسفت الشمس، وارتفع القتال، وتقطعت الألوية والرايات ولم يعرفوا مواقيت الصلاة.

وكان الأشتر فى هذا اليوم - وهو يوم الجمعة - على ميمنة علي ، وقد أشرف على الفتح ، ونادت مشيخة أهل الشام: "يامعشر العرب" الله الله فى الحرمات والنساء والبنات، وقال معاوية: هلم مخبآنك يا ابن العاص فقد هلكنا، وتذكر ولاية مصر، فقال عمرو: أيها الناس، مَنْ كان معه مصحف فليرفعه على رمحه، فكثر فى الجيش رفع المصاحف، وارتفعت الضجة ونادوا: كتاب الله بيننا وبينكم، من لثغور الشام بعد أهل الشام ؟ ومن لثغور العراق بعد أهل العراق؟ ومن لجهاد الروم؟ ومن للترك؟ ومن للكفار؟ ورفع فى عسكر معاوية نحو من خمسمائة مصحف.

فلما رأى كثير من أهل العراق ذلك قالوا: نجيب إلى كتاب الله ونُنيب إليه، وأحب القوم الموادعة، وقيل لعلى : قد أعطاك معاوية الحق، ودعاك إلي كتاب الله فاقبل منه، وكان أشدهم فى ذلك اليوم الأشعث بن قيس، فقال على : أيها الناس، إنه لم يزل من أمركم ما أحب حتى قرحتكم الحرب، وقد والله أخذت منكم وتركت، وإنى كنت بالأمس أميراً فأصبحت اليوم مأموراً، وقد أحببتم البقاء، فقال الأشتر: إن معاوية لا خلف له من رجاله، ولك بحمد الله الخلف، ولو كان له مثل رجالك لما كان له مثل صبرك ولا نصرك، فاقرع الحديد بالحديد واستعن بالله، وتكلم رؤساء أصحاب علىّ بنحو من كلام الأشتر، فقال الأشعث بن قيس: إنا لك اليوم على ما كنا عليه أمس، ولسنا ندرى ما يكون غداً، وقد

والله فُل الحديد، وكلت البصائر، وتكلم معه غيره بكلام كثير، فقال على : ويحكم إنهم ما رفعوها لأنكم تعلمونها ولا يعلمون بها، وما رفعوها لكم إلا خديعة ودهاء ومكيدة، فقالوا له: إنه ما يسعنا أن نُدعى إلي كتاب الله فنأبى أن نقبله، فقال : ويحكم إنما قاتلتهم ليدينوا بحكم الكتاب، فقد عصوا الله فيما أمرهم به ، ونبذوا كتابه، فامضوا على حقكم وقصدكم، وخذوا فى قتال عدوكم؛ فإن معاوية وابن العاص وابن أبى مُعيط وحبيب بن مسلمة وابن النابغة وعدوا غير هؤلاء ليسوا بأصحاب دين ولا قرآن، وأنا أعرف بهم منكم؛ صحبتهم أطفالا ورجالا، فهم شر أطفال ورجال، وجرى له مع القوم خطب طويل، وتهددوه أن يصنع به ما صنع بعثمان،

وقال الأشعث : إن شئت أتيت معاوية فسألته ما يريد، قال : ذلك إليك فاته إن شئت، فأتاه الأشعث فسأله، فقال له معاوية: نرجع نحن وأنتم إلى كتاب الله وإلى ما أمر به فى كتابه: تبعثون منكم رجلا ترضونه وتختارونه، ونبعث برجل ، ونأخذ عليهما العهد والميثاق أن يعملا بما فى كتاب الله ولا يخرجا عنه، وننقاد جميعاً إلى ما اتفقا عليه من حكم الله، فصوب الأشعث قوله، وانصرف إلى على، فأخبره ذلك، فقال أكثر الناس: رضينا وقبلنا وسمعنا وأطعنا ، فاختار أهل الشام عمرو بن العاص، وقال الأشعث ومن ارتد بعد ذلك إلى رأى الخوارج: رضينا نحن بأبى موس الأشعرى، فقال على : قد عصيتمونى فى أول هذا الأمر فلا تعصونى الآن، إنى لا أرى أن أوليَ أبا موسى الأشعرى،

فقال الأشعث ومن معه : لا نرضى إلا بأبى موسى الأشعرى، قال : ويحكم ! هو ليس بثقة : قد فارقنى وخذل الناس منى وفعل كذا وكذا، وذكر أشياء فعلها أبو موسى، ثم إنه هرب شهوراً حتى أمنته، لكن هذا عبد الله بن

عباس أوليه ذلك، فقال الأشعث وأصحابه: والله لا يحكم فينا مُضريان، قال عليّ: فالأشتر : قالوا: وهل هاج هذا الأمر إلا الأشتر، قال : فاصنعوا الآن ما أردتم، وافعلوا ما بدا لكم أن تفعلوه، فبعثوا إلى أبى موسى وكتبوا له القصة، وقيل لأبى موسى : إن الناس قد اصطلحوا، فقال : الحمد لله، قيل : وقد جعلوك حكما، قال : إنا لله وإنا إليه راجعون.

## التحكيم

كان أبو موسى الأشعرى يحدث قبل وقعة صفين ويقول : إن الفتن لم تزل فى بنى إسرائيل ترفعهم وتخفضهم حتى بعثوا الحكمين يحكمان بحكم لايرضى به من ابتعهما وإن هذه الأمة لا تزال بها الفتن ترفعها وتخفضها حتى يبعثوا حكمين يحكمان بما لا يرضى به من اتبعثهما، فقال له سويد بن غفلة: إياك إن أدركت ذلك الزمان أن تكون أحد الحكمين ، قال : أنا ؟ قال : نعم أنت، قال : فكان يخلع قميصه ويقول : لا جعل الله لى إذا فى السماء مصعداً، ولا في الأرض مقعداً، فلقيه سويد بن غفلة بعد ذلك فقال : يا أبا موسى، أتذكر مقالتك؟ قال : سل ربك العافية.

وكان فيما كتب فى الصحيفة أن يحيى الحكمان ما أحيا القرآن! ويميتا ما أمات القرآن، ولا يتبعان الهوى، ولا يُداهنان فى شىء من ذلك فإن فعلا فلا حكم لهما، والمسلمون من حكمهما براء، وقال على للحكمين حين أكره علي أمرهما ورد الأشتر وكان قد أشرف في ذلك اليوم على الفتح فأخبره مخبر بما قالوا فى على وأنه إن لم يرده سلُم إلى معاوية يفعل به ما فعل بابن عفان ، فانصرف الأشتر خوفاً على عليّ فقال لهما عليُّ: على أن تحكما بما فى كتاب

الله، وكتاب الله كله لى، فإن لم تحكما بما فى كتاب الله فلا حكم لكما، وصبروا الأجل إلى شهر رمضان على اجتماع الحكمين فى موضع بين الكوفة والشام، وكان الوقت الذى كتبت فيه الصحيفة لأيام بقين من صفر سنة سبع وثلاثين، وقيل : بعد هذا الشهر منها، ومر الأشعث بالصحيفة يقرؤها على الناس فرحاً مسروراً ، حتى انتهى إلى مجلس لبنى تميم، فيه جماعة من زعمائهم، منهم عروة بن أدية التميمى، وهو أخو بلال الخارجى، فقرأها عليهم، فجرى بين الأشعث وبين أناس منهم خطب طويل، وإن الأشعث كان بدء هذا الأمر والمانع لهم من قتال عدوهم حتى يفيئوا إلى أمر الله، وقال له عروة بن أدية: أتحكمون فى دين الله وأمره ونهيه الرجال ؟ لا حكم إلا لله، فكان أول من قالها وحكم بها، وقد تنوزع فى ذلك ، وشد بسيفه على الأشعث فضم فرصه عن الضربة فوقعت فى عجز الفرس ونجا الأشعث، وكادت العصبية أن تقع بين النزارية واليمانية، لولا اختلاف كلمتهم فى الديانة والتحكيم.

وقد تنوزع فى مقدار من قتل من أهل الشام والعراق بصفين : فذكر أحمد ابن الدورقى عن يحيى بن معين أن عدة من قتل بها من الفريقين فى مائة يوم وعشرة أيام مائة ألف وعشرة آلاف من الناس: من أهل الشام تسعون ألفاً، ومن أهل العراق عشرون ألفا، وكان عدد من حضر الحرب من أهل الشام بصفين أكثر مما قيل فى هذا الباب، وهو خمسون ومائة ألف مقاتل، سوى الخدم والأتباع، وعلى هذا يجب أن يكون مقدار القوم جميعاً من قاتل منهم ومن لم يقاتل من الخدم وغيرهم ثلثمائة ألف، بل أكثر من ذلك؛ لأن أقل من فيهم معه واحد يخدمه، وفيهم من معه الخمسة والعشرة من الخدم والأتباع وأكثر من ذلك، وأهل العراق كانوا فى عشرين ومائة ألف مقاتل دون الأتباع والخدم.

وأما الهيثم بن عدى الطائى وغيره مثل الشرقى بن القطاعى وأبى مخنف لوط ابن يحيى فذكروا أن جملة من قتل من الفريقين جميعاً سبعون ألفا: من أهل الشام خمسة وأربعون ألفاً ، ومن أهل العراق خمسة وعشرون ألفا، فيهم خمسة وعشرون بدريا، وأن العدد كان يقع بالتقصى والإحصاء للقتلي فى كل وقعة، وتحصيل هذا يتفاوت ؛ لأن فى قتلى الفريقين من يُعرف ومن لا يعرف، وفيهم من غرق، وفيهم من قتل في البر؛ فأكلته السباع فلم يدركهم الإحصاء.

ولما وقع التحكيم تباغض القوم جميعا وأقبل بعضهم يتبرأ من بعض: يتبرأ الأخ من أخيه، والاب من أبيه، وأمر علىٌّ بالرحيل، لعله باختلاف الكلمة، وتفاوت الرأى، وعدم النظام لأمورهم، وما لحقه من الخلاف منهم، وكثر التحكيم فى جيش أهل العراق، وتضارب القوم بالمقارع والنعال والسيوف، وتسابوا ، ولام كل فريق منهم الآخر فى رأيه، وسار علىٌّ يؤم الكوفة، ولحق معاوية بدمشق من أرض الشام، وفرق عساكره فلحق كل جند منهم ببلده.

ولما دخل علىّ رضى الله عنه الكوفة انحاز عنه اثنا عشر ألفاً من القراء وغيرهم فلحقوا بحروراء قرية من قرى الكوفة ـ وجعلوا عليهم شبيب بن ربعى التميمى، وعلى صلاتهم عبد الله بن الكواء اليشكرى من بكر بن وائل، فخرج علىّ إليهم وكانت له معهم مناظرات، فدخلوا جميعا الكوفة، وإنما سُموا الحرورية لاجتماعهم فى هذه القرية، وانحيازهم إليها.

وقد ذكر يحيى بن معين قال : حدثنا وهب بن جابر بن حازم، عن الصلت ابن بهرام ، قال : لما قدم علىّ الكوفة جعلت الحرورية تناديه وهو على المنبر: جزعت من البلية، ورضيت بالقضية، وقبلت الدنية، لا حكم إلا لله ، فيقول : حُكم الله أنتظر فيكم، فيقولون «ولقد أوحى إليك وإلى الذين من قبلك لئن أشركت

ليحبطن عملك ولتكونن من الخاسرين» فيقول على : «فاصبر إن وعد الله حق، ولا يستخفنك الذين لا يوقنون».

وفى سنة ثمان وثلاثين كان التقاء الحكمين بدومة الجندل، وقيل : بغيرها، وبعث علىّ بعبد الله بن العباس وشريح ابن هانىء الهمدانى فى أربعمائة رجل فيهم أبو موسى الأشعرى، وبعث معاوية بعمرو بن العاص ومعه شرحبيل بن السمط فى أربعمائة، فلما تَدَانى القوم من الموضع الذى كان فيه الاجتماع قال ابن عباس لأبى موسى: إن علياً لم يرض بك حكما لفضل عندك والمتقدمون عليك كثير، وإن الناس أبوا غيرك، وإنى لأظن ذلك لشر يُراد بهم، وقد ضم داهية العرب معك، إن نسيت فلا تنس أن علياً بايعه الذين بايعوا أبا بكر وعمر وعثمان، وليس فيه خصلة تباعده من الخلافة، وليس فى معاوية خصلة تقربه من الخلافة، ووصى معاوية عمراً حين فارقه وهو يريد الاجتماع بأبى موسى، فقال: يا أبا عبد الله، إن أهل العراق قد أكرهوا علياً على أبى موسى، وأنا وأهل الشام راضون بك، وقد ضم إليك رجل طويل اللسان قصير الرأى، فأخذ الجد ، وطبق المفصل، ولا تلقه برأيك كله، ووافاهم سعد بن أبى وقاص وعبد الله بن عمرو وعبد الرحمن بن عوف الزهرى والمغيرة ابن شعبة الثقفى وغيرهم،

وهؤلاء ممن قعد عن بيعة على، فى آخرين من الناس، وذلك فى شهر رمضان من سنة ثمان وثلاثين، فلما التقى أبو موسى وعمرو قال عمرو لأبى موسى: تكلم وقل خيراً ، فقال أبو موسى : بل تكلم أنت يا عمرو فقال عمرو: ما كنت لأفعل وأقدم نفسى قبلك، ولك حقوق كلها واجبة لسنك وصحبتك رسول الله ﷺ ، وأنت ضيف، فحمد الله أبو موسى وأثنى عليه، وذكر الحدث الذى حل بالإسلام، والخلاف الواقع بأهله، ثم قال : يا عمرو، هلم إلى أمر يجمع الله به

الألفة، ويلم الشعث، ويصلح ذات البين؟ فجزاه عمرو خيراً ، وقال : إن للكلام أولا وآخراً، ومتى تنازعنا الكلام خطباً لم نبلغ آخره حتى ننسى أوله، فاجعل ما كان من كلام بيننا فى كتاب يصير إليه أمرنا، قال : فاكتب ، فدعا عمرو بصحيفة وكاتب، وكان الكاتب غلاماً لعمرو، فتقدم إليه ليبدأ به أولا دون أبى موسى ؛ لما أراد من المكر به، ثم قال له بحضرة الجماعة: اكتب فإنك شاهد علينا، ولا تكتب شيئا يأمرك به أحدنا حتى تستأمر الآخر فيه، فإذا أمرك فاكتب، وإذا نهاك فانته حتى يجتمع رأينا، اكتب: بسم الله الرحمن الرحيم، هذا ما تقاضى عليه فلان وفلان فكتب، وبدأ بعمرو، فقال له عمرو: لا أم لك ! أتقدمنى قبله كأنك جاهل بحقه؟ فبدأ باسم عبد الله بن قيس، وكتب : تقاضيا على أنهما يشهدان أن لا إله إلا الله وحده لاشريك له ، وأن محمدا عبده ورسوله، أرسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون، ثم قال عمرو: ونشهد أن أبا بكر خليفة رسول الله ﷺ عمل بكتاب الله وسنة رسول الله حتى قبضه الله إليه، وقد أدى الحق الذى عليه،

قال أبو موسى : اكتب ، ثم قال فى عمر مثل ذلك، فقال أبو موسى : أكتب، ثم قال عمرو: واكتب "وأن عثمان ولى هذا الأمر بعد عمر على إجماع من المسلمين وشورى من أصحاب رسول الله ﷺ ورضاً منهم، وأنه كان مؤمنا، فقال أبو موسى الأشعرى : ليس هذا مما قعدنا له، قال عمرو: والله لابد من أن يكون مؤمناً أو كافراً فقال أبو موسى : كان مؤمنا، قال عمرو : فمره يكتب : قال أبو موسى : أكتب، قال عمرو: فظالما قتل عثمان أو مظلوما، قال أبو موسى: بل قتل مظلوما ،

قال عمرو : أفليس قد جعل الله لولى المظلوم سلطانا يطلب بدمه؟ قال أبو

موسى : نعم، قال عمرو: فهل تعلم لعثمان وليا أولى من معاوية ؟ قال أبو موسى : لا ، قال عمرو: أفليس لمعاوية أن يطلب قاتله حيثما كان حتى يقتله أو يعجز عنه؟ قال أبو موسى : بلى، قال عمرو للكاتب : أكتب ، وأمره أبو موسى فكتب، قال عمرو: فإنا نقيم البينة أن عليا قتل عثمان، قال أبو موسى : هذا أمر قد حدث فى الإسلام، وإنما اجتمعنا لغيره، فهلم إلى أمر يصلح الله به أمر أمة محمد، قال عمرو: وما هو؟

قال أبو موسى: قد علمت أن أهل العراق لا يحبون معاوية أبداً، وأن أهل الشام لا يحبون عليا أبداً؛ فهلم نخلعهما جميعا ونستخلف عبد الله بن عمر؟ وكان عبد الله بن عمر على بنت أبى موسى، قال عمرو: أيفعل ذلك عبد الله بن عمر؟ قال أبو موسى : نعم إذا حمله الناس على ذلك فعل، فعمد عمرو إلى كل ما مال إليه أبو موسى فصوبه، وقال له : هل لك فى سعد ؟

قال له أبو موسى : لا، فعدد له عمرو جماعة وأبو موسى يأبى ذلك إلا ابن عمر فاخذ عمرو الصحيفة وطواها وجعلها تحت قدمه بعد أن ختماها جميعا، وقال عمرو: أرأيت إن رضى أهل العراق بعبد الله بن عمر وأباه أهل الشام أتقاتل أهل الشام؟ قال أبو موسى : لا، قال عمرو: فإن رضى أهل الشام وأبي أهل العراق أتقاتل أهل العراق ؟ قال أبو موسى : لا ، قال عمرو: أما إذا رأيت الصلاح فى هذا الأمر والخير للمسلمين فقم فاخطب الناس، واخلع صاحبينا معا وتكلم باسم هذا الرجل الذي تستخلفه، فقال أبو موسى : بل أنت قم فاخطب فأنت أحق بذلك، قال عمرو: ما أحب أن أتقدمك، وما قولى وقولك للناس إلا قول واحد، فقم راشداً.

فقام أبو موسى فحمد الله وأثنى عليه، وصلى على نبيه ﷺ ، ثم قال : أيها الناس، إنا قد نظرنا فى أمرنا ، فرأينا أقرب ما يحضرنا من الأمن والصلاح ولم الشعث وحقن الدماء وجمع الألفة خلعنا علياً ومعاوية، وقد خلعت عليا كما خلعت عمامتى هذه، ثم أهوى إلى عمامته فخلعها، واستخلفنا رجلا قد صحب رسول الله ﷺ بنفسه، وصحب أبوه النبى ﷺ ، فبرز فى سابقته، وهو عبد الله بن عمر، وأطراه ورغب الناس فيه، ثم نزل.

فقام عمرو فحمد الله وأثنى عيه، وصلى على رسوله ﷺ ، ثم قال : أيها الناس، إن أبا موسى عبد الله بن قيس قد خلع عليا وأخرجه من هذا الأمر الذى يطلب، وهو أعلم به، ألا وإنى قد خلعت علياً معه، وأثبت معاوية علىّ وعليكم، وإن أبا موسى قد كتب فى الصحيفة أن عثمان قد قتل مظلوما شهيداً وأن لوليه سلطانا أن يطلب بدمه حيث كان، وقد صحب معاوية رسول الله ﷺ بنفسه، وصحب أبوه النبى ﷺ ، وأطراه، ورغب الناس فيه، وقال : هو الخليفة علينا، وله طاعتنا وبيعتنا على الطلب بدم عثمان، فقال أبو موسي : كذب عمرو، لم نستخلف معاوية، ولكنا خلعنا معاوية وعلياً معا، فقال عمرو : بل كذب عبد الله بن قيس، قد خلع علياً ولم أخلع معاوية.

قال المسعودى رحمه الله : ووجدت فى وجه آخر من الروايات أنهما اتفقا على خلع على ومعاوية، وأن يجعلا الأمر بعد ذلك شورى : يختار الناس رجلا يصلح لهم، فقدم عمرو أبا موسى، فقال أبو موسى : إنى قد خلعت علياً ومعاوية ، فاستقبلوا أمركم، وتنحى، وقام عمرو مكانه فقال : إن هذا قد خلع صاحبه وأنا أخلع صاحبه كما خلعه، وأثبت صاحبى معاوية، فقال أبو موسي : مالك لا وفقك الله غدرت وفجرت ؟

إنما مثلك كمثل الحمار يحمل أسفاراً، فقال له عمرو: بل إياك يلعن الله، كذبت وغدرت، إنما مثلك مثل الكلب إن تحمل عليه يلهث أو تتركه يلهث، ثم وكز أبا موسى فألقاه لجنبه، فلما رأى ذلك شريح بن هانى قنع عمراً بالسوط، وانخزل أبو موسى، فاستوى على راحلته ولحق بمكة، ولم يعد إلي الكوفة، وقد كانت خطته وأهله وولده بها، وآلى أن لا ينظر إلي وجه على مابقى، ومضى ابن عمر وسعد إلى بيت المقدس فأحرما.

وقيل : إنه لم يكن بينهما غير ما كتباه فى الصحيفة وإقرار أبى موسى بأن عثمان قتل مظلوماً وغير ذلك مما قدمنا، وإنهما لم يخطبا، وذلك أن عمراً قال لأبى موسى: سم من شئت حتى أنظر معك، فسمى أبو موسى ابن عمر وغيره ثم قال لعمرو: قد سميت أنا فسم أنت ، قال : نعم، أسمى لك أقوى هذه الأمة عليها، وأسدها رأيا، وأعلمها بالسياسة، معاوية بن أبي سفيان، قال : لا والله ما هو لذلك بأهل ، قال : فآتيك بآخر ليس هو بدونه، قال : من هو ؟ قال : أبو عبد الله عمرو بن العاص، فلما قالها علم أبو موسى أنه يلعب به ، فقال : فعلتها لعنك الله، فتسابا، فلحق أبو موسى بمكة.

فلما انصرف أبو موسى انصرف عمرو بن العاص إلي منزله، ولم يأت إلى معاوية، فأرسل إليه معاوية يدعوه، فقال : إنما كنت أجيئك إذ كانت لى إليك حاجة، فأما إذا كانت الحاجة إلينا فأنت أحق أن تأتينا، فعلم معاوية ما قد دفع إليه، فخمر الرأى وأعمل الحيلة، وأمر معاوية بطعام كثير فصنع، ثم دعا بخاصته ومواليه وأهله، فقال : إنى سأغدو إلى عمرو، فإذا دعوت بالطعام فدعوا مواليه وأهله فليجليسوا قبلكم، فإذا شبع رجل منهم وقام فليجلس رجل منكم مكانه، فإذا خرجوا ولم يبق فى البيت أحد منهم فأغلقوا باب البيت، واحذروا أن

يدخل أحد منهم إلا أن آمركم.

وغدا إليه معاوية وعمرو جالس على فراشه، فلم يقم له عنها، ولا دعاه فجاء مُعاوية وجلس على الأرض، واتكأ على ناحية الفراش، وذلك أن عمراً كان يحدث نفسه أنه قد ملك الأمر وإليه العقد، يضعها فيمن يرى، ويندب للخلافة من يشاء، فجرى بينهما كلام كثير، وكانْ مما قاله له عمرو: هذا الكتاب الذى بينى وبينه عليه خاتمى وخاتمه، وقد أقر بأن عثمان قتل مظلوماً، وأخرج علياً من هذا الأمر، وعرض علىّ رجالا لم أرهم أهلا لها، وهذا الأمر إلى أن أستخلف من شئت، وقد أعطانى أهل الشام عهودهم ومواثيقهم.،، فحادثه معاوية ساعة وأخرجه عما كانوا عليه، وضاحكه وداعبه، ثم قال : يا أبا عبد الله، هل من غداء؟ قال : أماً شيء يشبع من ترى فلا والله، فقال معاوية : هلم يا غلامى غداءك، فجيء بالطعام المستعد، فوضع ، فقال : يا أبا عبد الله، ادع مواليك وأهلك ، فدعاهم، ثم قال له عمرو : وادع أنت أصحابك، قال : نعم يأكل أصحابك أولا ثم يجلس هؤلاء بعدُ، فجعلوا كلما قام رجل من حاشية عمرو قعد موضعه رجل من حاشية معاوية، حتى خرج أصحاب عمرو، وبقى أصحاب معاوية، فقام الذى وكله بغلق الباب، فأغلق الباب، فقال له عمرو: فعلتها، فقال : إى والله بينى وبينك أمران فاختر أيهما شئت : البيعة لى ، أو أقتلك، ليس والله غيرهما، قال عمرو: فأذن لغلامى وردان حتى أشاوره وأنظر رأيه،

قال : لا تراه والله ولا يراك إلا قتيلا أو على ما قلت لك، قال : فالوفاء إذن بطعمة مصر، قال: هى لك ما عشت ، فاستوثق كل واحد منهما من صاحبه، وأحضر معاوية الخواص من أهل الشام، ومنع أن يدخل معهم أحد من حاشية عمرو، فقال لهم عمرو: قد رأيت أن أبايع معاوية، فلم أر أحدا أقوى على هذا

الأمر منه، فبايعه أهل الشام، وانصرف معاوية إلى منزله خليفة.

ولما بلغ علياً ما كان من أمر أبي موسى وعمرو قال : إنى كنت تقدمت إليكم فى هذه الحكومة ونهيتكم عنها، فأبيتم إلا عصيانى، فكيف رأيتم عاقبة أمركم إذ أبيتم على؟ والله إنى لأعرف من حملكم على خلافى والترك لأمرى ، ولو أشاء أخذه لفلعت، ولكن الله من ورائه، يريد بذلك الأشعث بن قيس .

وقال من دعا إلى هذه الحكومة فاقتلوه قتله الله ولو كان تحت عمامتى هذه، ألا إن هذين الرجلين الخاطئين اللذين اخترتموهما حكمين قد تركا حكم الله، وحكما بهوى أنفسهما بغير حجة ولا حق معروف، فأماتا ما أحيا القرآن، وأحييا ما أماته، واختلف فى حكمهما كلامهما ، ولم يرشدهما الله ولم يوفقهما، فبرىء الله منهما ورسوله وصالح المؤمنين ، فتأهبوا للجهاد واستعدوا للمسير، وأصبحوا فى عساكركم إن شاء الله تعالى.

قال المسعودى : وقد اختلفت الفرق من أهل ملتنا فى الحكمين، وقالوا فى ذلك أقاويل كثيرة، وقد أتينا على ما ذهبوا إليه فى ذلك وما قاله كل فريق منهم ، ومن أيد قوله من الخوارج والمعتزلة والشيعة وغيرهم من فرق هذه الأمة ، وذكرنا قول على فى مواقفه وخطبه، وما قاله فى ذلك، وما أكره عليه، وتأنيبه لهم بعد الحكومة ، وما تقدم الحكومة من تحذيره إياهم منها حين ألحوا فى تحكيم أبى موسى الأشعرى وعمرو، حيث قال : ألا إن القوم قد اختاروا لأنفسهم أقرب الناس مما يحبون، واخترتم لأنفسكم أقرب الناس مما تكرهون، إنما عهدكم بعبد الله بن قيس بالأمس وهو يقول ألا إنها فتنة، فقطعوا فيها أوتاركم وكسروا قسيكم، فإن يك صادقاً فقد أخطأ فى مسيره غير مستكره عليه، وإن

بك كاذباً فقد لزمته التهمة، وهذا كلام أبى موسى فى تخذيله الناس. وتحريضهم على الجلوس وتثبيطهم عن أمير المؤمنين علىّ فى حروبه ومسيره إلى الجمل وغيره، ثم ما قاله فى بعض مقاماته فى معاتبته لقريش، وقد بلغه عن أناس منهم ممن قعد عن بيعته ونافق فى خلافته كلام كثير، فقال : وقد زعمت قريش أن ابن أبى طالب شجاع ولكن لا علم له بالحروب، تربت أيديهم! وهل فيهم أشد مراساً لها منى ؟ لقد نهضت فيها وما بلغت العشرين، وها أنا ذا قد أربيت على نيف وستين، ولكن لا رأى لمن لا يطاع.

## موقعة النهروان

واجتمعت الخوارج فى أربعة آلاف، فبايعوا عبد الله بن وهب الراسبى، ولحقوا بالمدائن، وقتلوا عبد الله بن حباب عامل على عليها : ذبحوه ذبحاً، وبقروا بطن امرأته وكانت حاملا، وقتلوا غيرها من النساء، وقد كان على انفصل عن الكوفة فى خمسة وثلاثين ألفاً، وأتاه من البصرة، من قبل ابن عباس - وكان عامله عليها- عشرة آلاف فيهم الأحنفُ بن قيس وحارثة بن قدامة السعدى، وذلك فى سنة ثمان وثلاثين، فنزل على الأنبار، والتأمت إليه العساكر، فخطب الناس وحرضهم على الجهاد، وقال: سيروا إلى قتلة المهاجرين والأنصار قُدُمًا، فإنهم طالما سعوا فى إطفاء نور الله، وحرضوا على قتال رسول الله ﷺ ومن معه، ألا إن رسول الله ﷺ أمرنى بقتال القاسطين وهم هؤلاء الذين سرنا إليهم، والناكثين وهم هؤلاء الذين فرغنا منهم، والمارقين ولم نلقهم بعد، فسيروا إلي القاسطين، فهم أهم علينا من الخوارج، سيروا إلى قوم يقاتلونكم كيما يكونوا جبارين يتخذهم الناس أرباباً، ويتخذون عباد الله خولا ومالهم دُولا، فأبوا إلا أن يبدأوا بالخوارج، فسار علىّ إليهم، حتى أتى النهروان، فبعث إليهم بالحارث بن

مرة العبدى رسولا يدعوهم إلى الرجوع ، فقتلوه، وبعثوا إلى على: إن تبت من حكومتك وشهدت على نفسك بالكفر بايعناك، وإن أبيت فاعتزلنا حتى نختار لأنفسنا إماما فإنا منك بَرَاء، فبعث إليهم على : أن ابعثوا إلى بقتلة إخوانى فاقتلوهم ثم أتارككم إلى أن أفرغ من قتال أهل المغرب، ولعل الله يُقلب قلوبكم، فبعثوا إليه : كلنا قتلة أصحابك، وكلنا مستحل لدمائهم، مشتركون فى قتلهم، وأخبره الرسول - وكان من يهود السواد - أن القوم قد عبروا نهر طبرستان، وهذا النهر عليه قنطرة، تعرف بقنطرة طبرستان، بين حلوان وبغداد، من بلاد خراسان، فقال على : والله ما عبروه ولا يقطعونه، حتى نقتلهم بالرميلة دونه، ثم تواترت عليه الأخبار بقطعهم لهذا النهر، وعبورهم هذا الجسر، وهو يأبى ذلك، ويحلف أنهم لم يعبروه، وأن مصارعهم دونه. ثم قال : سيروا إلى القوم، فوالله لا يفلت منهم إلا عشرة ، ولا يقتل منكم إلا عشرة، فسار على ، فأشرف عليهم ، وقد عسكروا بالموضع المعروف بالرميلة على حسب ما قال لأصحابه، فلما أشرف عليهم قال : الله أكبر، صدق الله وصدق رسوله ﷺ ، فتصاف القوم، ووقف عليهم بنفسه، فدعاهم إلى الرجوع والتوبة، فأبوا ورموا أصحابه ، فقيل له: قد رمونا، فقال : كفوا، فكرروا القول عليه ثلاثاً وهو يأمرهم بالكف، حتى أتى برجل قتيل متشحط بدمه، فقال على : الله أكبر، الآن حل قتالهم، احملوا على القوم، فحمل رجل من الخوارج على أصحاب على فجرح فيهم ، وجعل يغشى كل ناحية.

وحمل عليه على وشكه بالرمح، وترك الرمح فيه، فانصرف على وهو يقول: لقد رأيت أبا حسن فرأيت ما تكره.

وحمل أبو أيوبْ الأنصارى على زيد بن حصن فقتله، وقتل عبد الله بن

وهب الراسبى، قتله هانىء بن حاطب الأزدى، وزياد بن حفصة، وقتل حرقوص بن زهير السعدى، وكان جملة من قتل من أصحاب على تسعة، ولم يفلت من الخوارج إلا عشرة، وأتى علىٌّ على القوم ، وهم أربعة آلاف، فيهم المخدج ذو الثدية إلا من ذكرنا من هؤلاء العشرة، وأمر على بطلب المخدج، فطلبوه، فلم يقدروا عليه، فقام علىٌّ وعليه أثر الحزن لفقد المخدج، فانتهى إلى قتلى بعضهم فوق بعض، فقال : أفرجوا، ففرجوا يميناً وشمالا واستخرجوه،، فقال على رضى الله عنه : الله أكبر، ما كذب على محمد، وإنه لناقص اليد ليس فيها عظم، طرفها حلمة مثل ثدى المرأة، عليها خمس شعرات أو سبع، رؤوسها معقفة، ثم قال : ائتونى به، فنظر إلى عضده، فإذا لحم مجتمع على منكبه كثدى المرأة عليه شعرات سود إذا مدت اللحمة امتدت حتى تحاذى بطن يده الأخرى، ثم تُترك فتعود إلى منكبه، فثنى رجله ونزل، وخر لله ساجداً.

ثم ركب ومر بهم وهم صرعى ، فقال : لقد صرعكم من غركم، قيل : ومن غرهم؟ قال : الشيطان وأنفس السوء، فقال أصحابه: قد قطع الله دابرهم إلي آخر الدهر، فقال : كلا والذى نفسى بيده، وإنهم لفى أصلاب الرجال وأرحام النساء ، لاتخرج خارجة إلا خرجت بعدها مثلها حتى تخرج خارجة بين الفرات ودجلة مع رجل يقال له الأشمط يخرج إليه رجل منا أهل البيت فيقتله، ولا تخرج بعدها خارج إلى يوم القيامة.

وجمع علىٌّ ما كان فى عسكر الخوارج، فقسم السلاح والدواب بين المسلمين، ورد المتاع والعبيد والإماء إلى أهليهم، ثم خطب الناس، فقال : إن الله قد أحسن إليكم وأعز نصركم ، فتوجهوا من فوركم هذا إلى عدوكم، فقالوا: يا أمير المؤمنين قد كلت سيوفنا، ونفدت نبالنا، ونصلت أسنة رماحنا، فدعنا نستعد

بأحسن عُدتنا، وكان الذى كلمه بهذا الأشعث بن قيس، فعسكر عليٌّ بالنخيلة.

## تفرق أصحاب على :

فجعل أصحابه يتسللون ويلحقون بأوطانهم ، فلم يبق معه إلا نفر يسير، ومضى الحارث بن راشد الناجى فى ثلاثمائة من الناس فارتدوا إلى دين النصرانية، وهم من ولد سامة بن لؤى بن غالب، من ولد إسماعيل عند أنفسهم، وقد أتى ذلك كثير من الناس، وذكروا أن سامة بن لؤى ما أعقب.

ولست تكاد ترى سامياً إلا منحرفاً عن على : من ذلك ما ظهر من على بن الجهم الشاعر السامى من النصب والانحراف، ولقد بلغ من انحرافه ونصبه العداوة لعلى رضى الله عنه أنه كان يلعن أباه، فسئل عن ذلك، وبم استحق اللعن منه؟ فقال: بتسميته إياى عليا.

فسرح إليهم عليٌّ معقل بن قيس الرياحى، فقتل الحارث ومن معه من الخوارج بسيف البحر، وسبى عيالهم وذراريهم، وذلك بساحل البحرين، فنزل معقل بن قيس بعض كور الأهواز بسبى القوم، وكان هناك مصقلة بن هبيرة الشيبانى عاملا لعلى، فصاح به النسوة: أمنن علينا، فاشتراهم بثلثمائة ألف درهم وأعتقهم، وأدى من المال مائتى ألف وهرب إلى معاوية، فقال على : قبح الله مصقلة، فعل فعل السيد وفر فرار العبد، لو أقام أخذنا ما قدرنا على أخذه، فإن أعسر أنظرناه، وإن عجز لم نأخذه بشىء، وأنفذ العتق .

## عمرو بن العاص ومحمد بن أبى بكر فى مصر :

وفى سنة ثمان وثلاثين وجه معاوية عمرو بن العاص إلى مصر فى أربعة آلاف، ومعه معاوية بن خديج، وأبو الأعور السلمى، واستعمل عمراً عليها حياته،

ووفى له بما تقدم من ضمانه، فالتقوا هم ومحمد بن أبى بكر - وكان عامل على عليها - بالموضع المعروف بالمسناة، فاقتتلوا ، فانهزم محمد لإسلام أصحابه إياه وتركهم له، وصار إلى موضع بمصر، فاختفى فيه، فأحيط بالدار، فخرج إليهم محمد ومن معه من أصحابه، فقاتلهم حتى قتل، فأخذه معاوية بن خديج وعمرو بن العاص وغيرهما، فجعلوه فى جلد حمار وأضرموه بالنار، وذلك بموضع فى مصر، يقال له : كوم شريك، وقيل : إنه فعل به ذلك ، وبه شىء من الحياة وبلغ معاوية قتل محمد وأصحابه، فأظهر الفرح والسرور. وبلغ عليا قتل محمد وسرور معاوية، فقال : جزعنا عليه قدر سرورهم، فما جزعتُ على هالك منذ دخلت هذه الحروب جزعى عليه، كان لى ربيبًا ، وكنت أعده ولداً ، وكان ابن أخى، فعلى مثل هذا نحزن، وعند الله نحتسبه.

## ولاية الأشتر ومصرعه:

وولى على الأشتر مصر وأنفذه إليها فى جيش، فلما بلغ ذلك معاوية دس إلى دهقان كان بالعريش، فأرغبه، وقال : أترك خراجك عشرين سنة واحتل للأشتر بالسم فى طعامه، فلما نزل الأشتر العريش سأل الدهقانُ: أى الطعام والشراب أحب إليه؟ قيل له : العسل، فأهدى له عسلا، وقال : إن من أمره وشأنه كذا وكذا، ووصفه للأشتر، وكان الأشتر صائما ، فتناول منه شربة، فما استقرت فى جوفه حتى تلف، وأتى مَن كان معه على الدهقان ومن كان معه، وقيل : كان ذلك بالقلزم (السويس) ، والأول أثبت، فبلغ ذلك علياً، فقال : لليدين والفم، وبلغ ذلك معاوية، فقال : إن لله جنداً من العسل.

وقبض أصحابه عن على فى هذه السنة ثلاثة أرزاق على حسب ما كان

يحمل إليه من المال من أعماله، ثم ورد عليه مال من أصبهان، فخطب الناس، وقال : اغدوا إلى عطاء رابع، فوالله ما أنا لكم بخازن، وكان فى عطائه أسوة للناس يأخذ كما يأخذ الواحد منهم.

ولم يكن بين على ومعاوية من الحرب إلا ما وصفنا بصفين، وكان معاوية فى بقية أيام على يبعث سرايا تُغيرُ، وكذلك على كان يبعث من يمنع سرايا معاوية من أذية الناس.

قال المسعودى رحمه الله: وقد تكلم طوائف من الناس ممن سلف وخلف من أهل الآراء من الخوارج وغيرهم فى فعل علىّ يوم الجمل، وصفين، وتباين حكمه فيهما، من قتله من أهل صفين، مقبلين ومدبرين، وإجهازه على جرحاهم، ويوم الجمل لم يتبع مُوليًا ، ولا أجهز على جريح، ومن ألقى سلاحه أو دخل داره كان آمنًا، وما أجابهم به شيعة على فى تباين حكم على فى هذين اليومين لاختلاف حكمهما، وهو أن أصحاب الجمل لما انكشفوا لم يكن لهم فئة يرجعون إليها، وإنما رجع القوم إلى منازلهم، غير محاربين ولا منابذين، ولا لأمره مخالفين، فرضوا بالكف عنهم، وكان الحكم فيهم رفع السيف إذا لم يطلبوا عليه أعوانًا، وأهل صفين كانوا يرجعون إلى فئة مستعدة ، وإمام منتصب، يجمع لهم السلاح ، ويُسنى لهم الأعطية، ويقسم لهم الأموال، ويجبر كسيرهم، ويحمل راجلهم، ويردهم، فيرجعون إلي الحرب، وهم إلى إمامته منقادون، ولرأيه متبعون، ولغيره مخالفون، ولإمامته تاركون ، ولحقه جاحدون، وبأنه يطلب ما ليس له، فاختلف الحكم لما وصفنا، وتباين حكماهما لما ذكرنا.

## مقتل أمير المؤمنين على بن أبى طالب

## رضى الله عنه !

وفى سنة أربعين اجتمع بمكة جماعة من الخوارج، فتذاكروا الناس، وماهم فيه من الحرب والفتنة، وتعاهد ثلاثة منهم على قتل علىّ، ومعاوية وعمرو بن العاص، وتواعدوا، واتفقوا على أن لا ينكص رجل منهم عن صاحبه الذى يتوجه إليه، حتى يقتله أو يُقتل دونه، وهم : عبد الرحمن ابن مُلجم، لعنه الله ! وكان من تُجيب، وكان عدادهم فى مُراد، فنسب إليهم، وحجاج بن عبد الله الصريمى، ولقبه: البُرك، وزادويه : مولى بنى العنبر، فقال ابن مُلجَم ـ لعنه الله ! ـ أنا أقتل عليّا، وقال البرك : أنا أقتل معاوية، وقال زادويه: أنا أقتل عمرو بن العاص، واتعدوا أن يكون ذلك ليلة سبع عشرة من شهر رمضان، وقيل : ليلة إحدى وعشرين.

فخرج عبد الرحمن بن مُلجم المرادي إلى علىّ، فلما قدم الكوفة أتى قطام بنت عمه، وكان علىٌّ قد قتل أباها وأخاها يوم النهروان، وكانت أجمل أهل زمانها، فخطبها، فقالت: لا أتزوج حتى تسمى لى، قال : لا تسألينى شيئًا إلا أعطيته، فقالت : ثلاثة آلاف وعبداً وقينة، وقتل علىّ، فقال : ما سألت هو لك مهر إلا قتل على ، فلا أراك تدركينه، قالت : فالتمس غرته، فإن أصبته شفيت نفسى ونفعك العيش معى، وإن هلكت فما عند الله خير لك من الدنيا، فقال : والله ماجاء بى إلى هذا المصر، وقد كنت هاربًا منه إلا ذلك، وقد أعطيتك ما سألت ، وخرج من عندها.

فلقيه رجل من أشجع يقال له شبيب بن نجدة من الخوارج، فقال له : هل

لك فى شرف الدنيا والآخرة؟ فقال : وما ذاك ؟ قال : تساعدني علي قتل عليّ، قال : ثكلتك أمك! لقد جئت شيئًا إدا، قد عرفت غناءه فى الإسلام، وسابقته مع النبى ﷺ، فقال ابن مُلجم: ويحك! أما تعلم أنه قد حكم الرجال في كتاب الله، وقتل إخواننا المصلين؟ فنقتله ببعض إخواننا، فاقبل معه حتى دخل على قطام، وهى فى المسجد الأعظم، معتكفة يوم الجمعة لثلاث عشرة ليلة مضت من شهر رمضان، فأعلمتهما أن مجاشع بن وردان بن علقمة قد انتدب لقتله معهما، فدعت لهما بحرير فعصبتهما وأخذوا أسيافهم وقعدوا مقابلين لباب السدة التى يخرج منها على للمسجد، وكان على يخرج كل غداة أول الأذان يوقظ الناس للصلاة، وقد كان ابن مُلجم مر بالأشعث وهو فى المسجد، فقال له: فضحك الصبح، فسمعها حُجر بن عدى، فقال : قتلته يا أعور قتلك الله، وخرج على رضى الله عنه ينادى : أيها الناس، الصلاة ، فشد عليه ابن مُلجم وأصحابه وهم يقولون : الحكم لله، لا لك ، وضربه ابن مُلجم على رأسه بالسيف فى قرنه، وأما شبيب فوقعت ضربته بعضادة الباب، وأما مجاشع بن وردان فهرب، وقال على: لا يفوتنكم الرجل، وشد الناس على ابن مُلجم يرمونه بالحصباء، ويتناولونه ويصيحون ، فضرب ساقه رجل من همدان برجله، وضرب المغيرة بن نوفل بن الحارث بن عبد المطلب وجهه فصرعه، وأقبل به إلى الحسن، ودخل ابن وردان بين الناس، فنجا بنفسه، وهرب شبيب حتى أتى رحله، فدخل إليه عبد الله بن نجدة - وهو أحد بنى أبيه فرآه ينزع الحرير عن صدره ، فسأله عن ذلك، فخبره خبره فانصرف عبد الله إلى رحله، وأقبل إليه بسيفه فضربه حتى قتله.

وقيل : إن عليًا لم ينم تلك الليلة، وإنه لم يزل يمشى بين الباب والحجرة، وهو يقول : والله ما كذبت ولا كُذبت، وإنها لليلة التى وعدت فيها فلما خرج

صاح بط كان للصبيان، فصاح بهن بعض من فى الدار، فقال على : ويحك! دعهن فإنهن نوائح.

وقد ذكرت طائفة من الناس أن عليًا رضى الله عنه أوصى إلى ابنيه الحسن والحسين ؛ لأنهما شريكاه فى آية التطهير، وهذا قول كثير ممن ذهب إلى القول بالنص ، قلت : وهذا من قول الشيعة ولا دليل عليه .

ودخل عليه الناس يسألونه، فقالوا : يا أمير المؤمنين، أرأيت إن فقدناك، ولا نفقدك، أنبايع الحسن ؟ قال : لا آمركم ولا أنهاكم، وأنتم أبصرُ، ثم دعا الحسن والحسين ، فقال لهما : أوصيكما بتقوى الله وحده، ولا تبغيا الدنيا وإن بغتكما ولا تأسفا علي شيء منها، قولا الحق، وارحما اليتيم، وأعينا الضعيف، وكونا للظالم خصما وللمظلوم عونا، ولا تأخذكما فى الله لومة لائم؛ ثم نظر إلي ابن الحنفية فقال : هل سمعت ما أوصيت به أخويك؟ قال : نعم، قال : أوصيك بمثله، وأوصيك بتوقير أخويك، وتزيين أمرهما، ولا تقطعن أمراً دونهما، ثم قال لهما : أوصيكما به، فإنه سيفكما وابن أبيكما، فأكرماه واعرفا حقه.

فقال له رجل من القوم : ألا تعهد يا أمير المؤمنين ؟ قال : لا، ولكنى أتركهم كما تركهم رسول الله ﷺ ، قال : فماذا تقول لربك إذا أتيته؟ قال : أقول: اللهم إنك أبقيتنى فيهم ما شئت أن تبقينى، ثم قبضتنى وتركتك فيهم فإن شئت أفسدتهم، وإن شئت أصلحتهم، ثم قال : أما والله إنها الليلة التى ضرب فيها يُوشع بن نون ليلة سبع عشرة، وقبض ليلة إحدى وعشرين.

وبقى على الجمعة والسبت، وقبض ليلة الأحد، ودفن بالرحبة عند مسجد الكوفة.

وقبض وقد أتى عليه اثنتان وسبعون سنة ، وقيل : اثنتان وستون، وقد تنازع الناس فى مقدار سنه، وكان كما قال الحسن: والله لقد قبض فيكم الليلة رجل ما سبقه الأولون إلا بفضل النبوة، ولا يدركه الآخرون ، وإن رسول الله ﷺ كان يبعثه المبعث فيكتنفه جبريل عن يمينه وميكائيل عن يساره فلا يرجع حتى يفتح الله عليه.

وكان الذى صلى عليه الحسن ابنه، وكبر عليه سبعًا، وقيل غير ذلك.

ولم يترك صفرا، ولا بيضاء، إلا سبعمائة درهم بقيت من عطائه، أراد أن يشترى بها خادماً لأهله، وقال بعضهم: ترك لأهله مائتين وخمسين درهما ومصحفه وسيفه.

ولما أرادوا قتل ابن مُلجم لعنه الله قال عبد الله بن جعفر: دعونى حتى أشفى نفسى منه، فقطع يديه ورجليه وأحمى له مسماراً حتى إذا صار جمرة كحله به، فقال : سبحان الذى خلق الإنسان، إنك لتكحل عمك بملمول الرصاص، ثم إن الناس أخذوه وأدرجوه فى بوارى ثم طلوها بالنفط وأشعلوا فيها النار فاحترق .

وكان آخر من خرج من الخوارج ربيعة المعروف بغيرون، فأدخل على المقتدر بالله، بعث به ابن حمدان من كفرتوثا، وقد كان خرج فى أيامه أيضًا المعروف بأبى شعيب.

وقد رثى الناس أمير المؤمنين عليًا رضى الله عنه فى ذلك الوقت وإلى هذه الغاية، وذكروا مقتله، ومن رثاه فى ذلك الوقت أبو الأسود الدؤلى

## البرك ومعاوية:

وانطلق البركُ الصريمى إلى معاوية فطعنه بخنجر في أليته وهو يصلى فأخذ وأوقف بين يديه، فقال له : ويلك ! وما أنت ؟ وما خبرك؟ قال : لا تقتلنى وأخبره، قال : إنا تبايعنا فى هذه الليلة عليك وعلى علىّ وعلى عمرو؛ فإن أردت فاحبسنى عندك، فإن كانا قتلا وإلا خليت سبيلى فطلبت قتل علىّ، ولك علي أن أقتله وأن آتيك حتى أضع يدى فى يدك، فقال بعض الناس : قتله يومئذ، وقال بعضهم: حبسه حتى جاءه خبر قتل على فأطلقه.

وانطلق زادويه - وقيل : إنه عمرو بن بكر التميمى - إلى عمرو بن العاص، فوجد خارجة قاضى مصر جالساً على السرير يطعم الناس فى مجلس عمرو ، وقيل : بل صلى خارجة بالناس الغداة ذلك اليوم، وتخلف عمرو عن الصلاة لعارض، فضربه بالسيف، فدخل عليه عمرو وبه رمق، فقال له خارجة : والله ما أراد غيرك، فقال عمرو: ولكن الله أراد خارجة، وأوقف الرجل بين يدى عمرو، فسأله عن خبره؛ فقص عليه القصة وأخبره أن علياً ومعاوية قد قتلا فى هذه الليلة، فقال : إن قتلا أو لم يقتلا فلابد من قتلك، فبكى، فقيل له : أجزعاً من الموت مع هذا الإقدام؟ ! قال : لا والله، ولكن غما أن يفوز صاحباى بقتل على ومعاوية ولا أفوز أنا بقتل عمرو، فضربت عنقه وصلب.

وسمعا منه في الوقت الذى قتل فيه، فإنه قد خرج إلى المسجد، وقد عسر عليه فتح باب داره، وكان من جذوع النخل، فاقتلعه وجعله ناحية، وانحل إزاره، فشده وجعل ينشد.

وقد كان معاوية دس أناساً من أصحابه إلى الكوفة يشيعون موته، وأكثر

الناس القول فى ذلك حتى بلغ عليا، فقال فى مجلسه: قد أكثرتم من نعى معاوية، والله ما مات ولا يموت حتى يملك ما تحت قدمى، وإنما أراد ابن آكلة الأكباد أن يعلم ذلك منى، فبعث من يشيع ذلك فيكم ليعلم ويتيقن ما عندى فيه، وما يكون من أمره فى المستقبل من الزمان، ومر فى كلام كثير يذكر فيه أيام معاوية ومن تلاه من يزيد ومروان وبنيه وذكر الحجاج وما يسومهم من العذاب، فارتفع الضجيج، وكثر البكاء والشهيق، فقام قائم من الناس فقال : يا أمير المؤمنين، ولقد وصفت أموراً عظيمة، آلله إن ذلك كائن؟ قال على: والله إن ذلك لكائن، ما كذبت ولا كذبت، فقال آخرون: متى يكون ذلك يا أمير المؤمنين؟ قال : إذا خُضبت هذه من هذه، ووضع إحدى يديه على لحيته والأخرى على رأسه، فأكثر الناسُ من البكاء، فقال : لا تبكوا فى وقتكم هذا فستبكون بعدى طويلا، فكاتب أكثر أهل الكوفة معاوية سراً فى أمورهم، واتخذوا عنده الأيادى، فوالله ما مضت إلا أيام قلائل حتى كان ذلك (1).

## من أخبار على وزهده

لم يلبس (رضى الله عنه) فى أيامه ثوبا جديداً، ولا اقتنى ضيعة ولا رَبْعاً، إلا شيئاً كان له بينبع مما تصدق به وحبسه.

والذى حفظ الناس عنه من خطبه فى سائر مقاماته أربعمائة خطبة ونيف وثمانون خطبة يوردها على البديهة؛ وتداول الناس ذلك عنه قولا وعملا.

وقيل له: مَن خيار العباد؟ قال : الذين إذا أحسنوا استبشروا، وإذا أساؤا

(1) لعل ما أخبر به على (رضى الله عنه) أخبره به النبى ﷺ ، قال تعالى : عالم الغيب فلا يظهر على غيبة أحداً إلا من ارتضى من رسول ... الآية .

استغفروا وإذا أعطوا شكروا وإذا ابتلوا صبروا، وإذا أغضبوا غفروا.

وكان يقول : الدنيا دار صدق لمن صدقها، ودار عافية لمن فهم عنها، ودار غنى لمن تزود منها، الدنيا مسجد أحباء الله، ومصلى ملائكة الله، ومهبط وحيه، ومتجر أوليائه، اكتسبوا فيها الرحمة، وربحوا فيها الجنة، ومن ذا يذمها وقد آذنت ببينها، ونادت بفراقها، ونعت نفسها وأهلها، ومثلت لهم ببلائها البلاء، وشوقت بسرورها إلى السرور، وراحت بفجيعة، وابتكرت بعافية؛ تحذيراً وترغيباً وتخويفًا، فذمها رجال غب الندامة، وحمدها آخرون غب المكافأة، ذكرتهم فذكروا تصاريفها، وصدقتهم فصدقوا حديثها، فيأيها الذامُ للدنيا المغتر بغرورها، متى استدامت لك الدنيا؟ بل متي غرتك من نفسها؟ أبمضاجع آبائك من البلى؟ أم بمصارع أمهاتك من الثرى؟ كم قد عللت بكفك ومرضت بيدك من تبغى له الشفاء وتستوصف له الدواء من الأطباء! لم تنفعه بشفائك، ولم تسعف له بطلبتك، وقد مثلت لك به الدنيا نفسك، وبمصرعه مصرعك: غداً لا ينفعك بكاؤك، ولا يغنى عنك أحساؤك ـ ولا تسمع فى مدح الدنيا أحسن من هذا.

ومما حفظ من كلامه فى بعض مقاماته في صفة الدنيا أنه قال : ألا إن الدنيا قد ارتحلت مُدبرة، وإن الآخرة قد دنت مُقبلة، ولهذه أبناء. ولهذه أبناء ، فكونوا من أبناء الآخرة ولا تكونوا من أبناء الدنيا، ألا وكونوا من الزاهدين فى الدنيا، والراغبين فى الآخرة، إن الزاهدين فى الدنيا اتخذوا الأرض بساطًا والتراب فراشًا والماء طيبًا، وقوضُوا الدنيا تقويضًا، ألا ومن اشتاق إلي الجنة سَلاَ عن الشهوات، ومن أشفق من النار رجع عن المحرمات، ومن زهد فى الدنيا هانت عليه المصيبات، ومن راقب الآخرة سارع في الخيرات، ألا وإن لله عباداً كأنهم يرون أهل الجنة فى الجنة منعمين مخلدين، ويرون أهل النار فى النار

معذبين قلوبهم محزونة، وشرورهم مأمونة، أنفسهم عفيفة، وحاجتهم خفيفة صبروا أياماً قليلة فصارت لهم العقبى، راحة طويلة، أما الليل فصافوا أقدامهم، تجرى دموعهم على خدودهم، يجأرون إلى ربهم، ويسعون فى فكاك رقابهم، وأما النهار فعلماء حكماء بررة أتقياء، كأنهم القداح براهم الخوف والعبادة ينظر إليهم الناظر فيقول : مرضى، وما بالقوم من مرض، إن خولطوا فقد خالطهم أمر عظيم من ذكر النار ومن فيها.

وقال لابنه الحسن: يا بنى، استغن عمن شئت تكن نظيرهُ، وسل من شئت تكن حقيره، وأعط من شئت تكن أميره.

ودخل عليه رجل من أصحابه فقال : كيف أصبحت يا أمير المؤمنين؟ قال: أصبحت ضعيفاً مُذنباً، آكل رزقى، وأنتظر أجلى، قال : وما تقول فى الدنيا؟ قال: وما أقول فى دار أولها غم، وآخرها موت، من استغنى فيها فتن، ومن افتقر فيها حزن، حلالها حساب، وحرامها عقاب، قال : فأى الخلق أنعم؟ قال : أجساد تحت التراب، قد أمنت من العقاب، وهى تنتظر الثواب.

ودخل ضرار بن ضمرة - وكان من خواص على - على معاوية وافداً، فقال له: صف لى علياً، قال : أعفنى يا أمير امؤمنين، قال معاوية: لابد من ذلك، فقال: أما إذا كان لابد من ذلك فإنه كان والله بعيد المدى، شديد القوى، يقول فَصْلا، ويحكم عدلا، يتفجر العلم من جوانبه، وتنطق الحكمة من نواحيه، يعجبه من الطعام ماخشن، ومن اللباس ماقصر وكان والله يجيبنا إذا دعوناه، ويعطينا إذا سألناه، وكنا والله - على تقريبه لنا وقربه منا - لا نكلمه هيبة له، ولا نبتدئه لعظمه فى نفوسنا، يبسم عن ثغر كاللؤلؤ المنظوم، يعظم أهل الدين، ويرحم المساكين ، ويطعم فى المسغبة يتيما ذا مقربة أو مسكيناً ذا متربة، يكسو العُريان، وينصر

اللهفان، ويستوحش من الدنيا وزهرها، ويأنس بالليل وظلمته، وكأنى به وقد أرخى الليل سُدوله، وغارت نجومه ، وهو فى محرابه قابض على لحيته يتململ تململ السليم، ويبكى بكاء الحزين، ويقول : يا دنيا غُرى غيرى، ألى تعرضت أم إلى تشوفت ؟ هيهات هيهات !! لا حان حينك، قد أبنتك ثلاثًا لا رجعة لى فيك، عمرك قصير، وعيشك حقير، وخطرك يسير، آه من قلة الزاد وبعد السفر ووحشة الطريق.

فقال له معاوية : زدنى شيئًا من كلامه، فقال ضرار : كان يقول : أعجب ما فى الإنسان قلبه، وله مواد من الحكمة، وأضداد من خلافها، فإن سنح له الرجاء أماله الطمع، وإن مال به الطمع أهلكه الحرص، وإن ملكه القنوط قتله الأسف، وإن عرض له الغضب اشتد به الغيظ، وإن أسعده الرضا فى التحفظ، وإن ناله الخوف فضحه الجزع ، وإن أفاد مالاً أطغاه الغنى، وإن عضته فاقة فضحه الفقر، وإن أجهده الجوع أقعده الضعف، وإن أفرط به الشبع كظته البطنة، فكل تقصير به مضر، وكل إفراط له مفسد.

فقال له معاوية: زدنى كلما وعيته من كلامه، قال : هيهات أن آتى على جميع ما سمعته منه، ثم قال : سمعته يوصى كميل بن زياد ذات يوم فقال له : يا كميل ذُبَّ عن المؤمن فإن ظهره حمى الله، ونفسه كريمة على الله وظالمه خصم الله، وأحذركم من ليس له ناصر إلا الله.

قال : وسمعته يقول ذات يوم: إن هذه الدنيا إذا أقبلت على قوم أعارتهم محاسن غيرهم، وإذا أدبرت عنهم سلبتهم محاسن أنفسهم.

قال : وسمعته يقول : بطر الغنى يمنع من عز الصبر.

قال : وسمعته يقول : ينبغي للمؤمن أن يكون نظره عبرة، وسكوته فكرة، وكلامه حكمة. وكان رسول الله ﷺ - بعد أن قتل جعفر بن أبى طالب الطيار بمؤتة من أرض الشام لا يبعث بعلى فى وجه من الوجوه إلا يقول : رب لا تذرنى فرداً ، وأنت خير الوارثين.

وحمل علىٌ يوم أحد على كردوس من المشركين خشن فكشفهم، فقال جبريل : يا محمد، إن هذه لهى المواساة، فقال النبى ﷺ : يا جبريل إن علياً منى" قال جبريل : وأنا منكم، كذلك ذكره إسحاق عن ابن إسرائيل وغيره.

ووقف على على سائل، فقال للحسن : قل لأمك تدفع إليه درهما، فقال : إنما عندنا ستة دراهم للدقيق، فقال على : لا يكون المؤمن مؤمنًا حتى يكون بما فى يد الله أوثق منه بما فى يده، ثم أمر للسائل بالستة الدراهم كلها، فما برح على رضى الله عنه حتى مر به رجل يقود بعيراً، فاشتراه منه بمائة وأربعين درهما، وأنسأ أجله ثمانية أيام، فلم يحل أجله حتى مر به رجل والبعير معقول فقال : بكم هذا؟ فقال: بمائتى درهم، فقال : قد أخذته، فوزن له الثمن، فدفع على منه مائة وأربعين درهما للذى ابتاعه منه، ودخل بالستين الباقية على فاطمة عليها السلام، فسألته : من أين هى ؟ فقال: هذه تصديقٌ لما جاء به أبوك ﷺ: «من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها».

ومر ابن عباس بقوم ينالون من على ويسبونه، فقال لقائده: أدننى منهم، فأدناه، فقال : أيكم الساب الله ؟ قالوا: نعوذ بالله أن نسب الله ، فقال : أيكم الساب رسول الله ﷺ ؟ فقالوا : نعوذ بالله أن نسب رسول اله ﷺ ، فقال : أيكم الساب على بن أبى طالب؟ قالوا: أما هذه فنعم، قال : أشهد لقد سمعت رسول الله ﷺ يقول : "من سبنى فقد سب الله، ومن سب علياً فقد سبنى"

فاطرقوا. قال زدني فداك أبي وأمي، قال: ما عندي مزيد.

وقد ذكر جماعة من أهل النقل عن أبي عبد الله جعفر بن محمد عن أبيه محمد ابن علي بن الحسين بن علي أن عليا قال في صبيحة الليلة التي ضربه فيها عبد الرحمن ابن مُلجم، بعد حمد الله والثناء عليه والصلاة على رسوله ﷺ: كل امرىء ملاقيه ما يفر منه، والأجل تساق النفس إليه، والهرب منه موافاته، كم أطردت الأيام أتحينها عن مكنون هذا الأمر فأبي الله عز وجل إلا إخفاءه، هيهات علم مكنون، أما وصيتي فالله لا تشركوا به شيئًا، ومحمداً لا تضيعوا سنته، أقيموا هذين العمودين، حمل كل امرىء منكم مجهوده، وخفف عن الحملة رب رحيم، ودين قويم، وإمام عليم، كنا في إعصار ذي رياح تحت ظل غمامة اضمحل راكدها فمحطها من الأرض حيا، وبقي من بعدي جثة جأواء، ساكنة بعد حركة، كاظمة بعد نُطق، ليعظكم هدوئي وخُفُوت أطرافي، إنه أوعظ لكم من نطق البليغ، ودعتكم وداع امرىء مرصد لتلاق، وغدا ترون ويكشف عن ساق، عليكم السلام إلى يوم المرام، كنت بالأمس صاحبكم واليوم عظة لكم وغداً أفارقكم، إن أفق فأنا ولي دمي، وإن أمت فالقيامة ميعادي، والعفو أقرب للتقوى، ألا تحبون أن يغفر الله لكم والله غفور رحيم.

ومن خطبه قبل هذا وتزهيده في هذه الدنيا قوله في بعض مقاماته وخطبه: إن الدنيا قد أدبرت وآذنت بوداع، وإن الآخرة قد أشرفت وأقبلت باطلاع، وإن المضمار اليوم والسباق غدا، ألا إنكم في أيام أمل من ورائه أجل، فمن أخلص في أيام أمله قبل حضور أجله فقد حسن عمله، وما قصر أجله، ومن قصر في أيام أجله خسر أجله، ألا فاعملوا لله في الرغبة، كما تعملون في الرهبة، ألا وإني لم أر كالجنة نام طالبها، ولا كالنار نام هاربها، ألا وإنه من لم

ينفعه الحق يضره الباطل، ومن لا يستقيم له الهدى يخزيه الضلال وقد أمرتم بالظعن ودللتم على الزاد، وإن أخوف ما أخاف عليكم اتباع الهوى وطول الأمل. وفضائل على ومقاماته ومناقبه ووصف زهده ونسكه أكثر من أن يأتى عليه كتاب .

قال المسعودى : والأشياء التى استحق بها أصحاب رسول الله ﷺ الفضل هى : السبق إلى الإيمان ، والهجرة ، والنصرة لرسول الله ﷺ ، والقربى منه والقناعة وبذل النفس له، والعلم بالكتاب والتنزيل، والجهاد فى سبيل الله، والورع، والزهد ، والقضاء، والحكم ، والفقه والعلم وكل ذلك لعلى عليه السلام منه النصيب الأوفر، والحظ الأكبر، إلى ما ينفرد به من قول رسول الله ﷺ حين آخى بين أصحابه " أنت أخى" وهو ﷺ لا ضد له، ولا ند، وقوله صلوات الله عليه: "أنت منى بمنزلة هرون من موسى، إلا أنه لا نبى بعدى" وقوله عليه الصلاة والسلام: "من كنت مولاه فعلى مولاه، اللهم والى من والاه، وعاد من عاداه" ثم دعاؤه عليه السلام وقد قدم إليه أنس الطائر: اللهم أدخل إلى أحب خلقك إليك يأكل معى من هذا الطائر، فدخل عليه على، إلى آخر الحديث، فهذا وغيره من فضائله وما اجتمع فيه من الخصال مما تفرق فى غيره، ولكل فضائل ممن تقدم وتأخر، وقبض النبى ﷺ وهو راضٍ عنهم، مُخبر عن بواطنهم بموافقتها لظواهرهم بالإيمان، وبذلك نزل التنزيل، وتولى بعضهم بعضاً، فلما قبض رسول الله ﷺ وارتفع الوحى حدثت أمور تنازع الناس فى صحتها منهم، وذلك غير يقين، ولا يُقطع عليهم بها، واليقين من أمورهم ما تقدم، وما روى مما كان فى أحداثهم بعد نبيهم ﷺ فغير متيقن، بل هو ممكن، ونحن نعتقد فيهم ما تقدم، والله أعلم بما حدث، والله ولى التوفيق.

# خلافة الحسن بن على

# رضى الله عنه

لما قتل عثمان رضى الله عنه ، نشب الخلاف بين على (رضى الله عنه) أمير المؤمنين وبين معاوية بن أبى سفيان أمير الشام وقامت بينهما الحروب حتى كان التحكيم وفيه خلع أبو موسى الأشعرى على بن أبى طالب (رضى الله عنه) وثبت عمرو بن العاص معاوية، ثم ما لبث على أن قتل على يد الخارجى عبد الرحمن بن ملجم وبايع أهل المدينة الحسن بن على بن أبى طالب خليفة للمسلمين.

وقد كان الناس قد اجتمعوا حول على وهو فى جراحه وقالوا له : استخلف يا أمير المؤمنين فقال لا ولكن أدعكم كما ترككم رسول الله ﷺ يعنى بغير استخلاف– فإن يرد الله بكم خيرا يجمعكم على خيركم كما جمعكم على خيركم بعد رسول الله ﷺ ، فلما توفى وصلى عليه ابنه الحسن– لأنه أكبر بنيه رضى الله عنهم – ودفن بدار الإمارة، فلما فرغ من شأنه كان أول من تقدم إلى الحسن بن على قيس بن سعد بن عبادة فقال له : ابسط يدك أبايعك على كتاب الله وسنة نبيه، فسكت الحسن فبايعه ثم بايعه الناس بعده وكان ذلك يوم مات على،

وكان موته يوم ضرب وهو يوم الجمعة السابع عشر من رمضان سنة أربعين، وقيل إنما مات بعد الطعنة بيومين، وقيل مات فى العشر الأخير من رمضان، والأشهر أنه مات فى السابع عشر من رمضان، ومن يومئذ ولى الحسن بن على ، وكان قيس بن سعد على إمرة أذربيجان تحت يده أربعون

ألف مقاتل، قد بايعوا عليا على الموت، فلما مات على ألح قيس بن سعد على الحسن فى النفير لقتال أهل الشام، فعزل قيسا عن إمرة أذربيجان، وولى عبد الله بن عباس عليها، ولم يكن فى نية الحسن أن يقاتل أحدا، ولكن غلبوه على رأيه، فاجتمعوا اجتماعا عظيما لم يسمع بمثله ، فأمر الحسن بن على قيس بن سعد على المقدمة فى أثنى عشر ألفا بين يديه، وسار هو بالجيوش فى أثره قاصدا بلاد الشام، ليقاتل معاوية وأهل الشام فلما اجتاز بالمدائن نزلها وقدم المقدمة بين يديه، فبينما هو فى المدائن معسكرا بظاهرها، إذ صرخ فى الناس صارخ: ألا إن قيس بن سعد بن عبادة قد قتل، فثار الناس فانتهبوا أمتعة بعضهم بعضا حتى انتهبوا سرادق الحسن، حتى نازعوه بساطا كان جالسا عليه، وطعنه بعضهم حين ركب طعنة أثبتوه ، فكرههم الحسن كراهية شديدة ، وركب فدخل القصر الأبيض من المدائن فنزله وهو جريح.

وكان عامله على المدائن سعد بن مسعود بن سعود الثقفى أخو عبيد صاحب يوم الجسر فلما استقر الجيش بالقصر قال المختار بن أبى عبيد الثقفى لعمه سعد بن مسعود- هل لك فى الشرف والغنى؟ قال : ماذا؟ قال : تأخذ الحسن بن على فتقيده وتبعه إلى معاوية، فقال له عمه: قبحكم الله وقبح ما جئت به ، أغدر بابن بنت رسول الله ﷺ؟

ولما رأى الحسن بن على تفرق جيشه عليه مقتهم وكتب عند ذلك إلي معاوية بن أبى سفيان- وكان قد ركب فى أهل الشام فنزل مسكن يراوده على الصلح بينهما، فبعث إليه معاوية عبد الله بن عامر وعبد الرحمن بن سمرة، فقدما عليه الكوفة فبذلا له ما أراد من الأموال ، فاشترط أن يأخذ من بيت مال الكوفة خمسة آلاف ألف درهم، وأن لا يُسب على وهو يسمع فإذا فعل ذلك نزل

عن الإمرة لمعاوية، ويحقن الدماء بين المسلمين فاصطلحوا على ذلك واجتمعت الكلمة على معاوية.

وقد لام الحسين أخاه الحسن على هذا الرأى فلم يقبل منه، وبعث الحسن إلى أمير المقدمة قيس بن سعد أن يسمع ويطيع، فأبى قيس بن سعد من قبول ذلك، وخرج عن طاعتهما جميعا واعتزل عن الطاعة ثم راجع الأمر فبايع معاوية عن قريب. وكانت مبايعة الحسن لمعاوية سنة إحدى وأربعين والذى سمى عام الجماعة لاجتماع الكلمة فيه على معاوية.

وحج بالناس فى هذه السنة المغيرة بن شعبة.

وقد فرط أهل العراق فى خلافة الحسن وهو ابن بنت رسول الله ﷺ وسيد المسلمين، وأحد علماء الصحابة وحلمائهم وذوى آرائهم وأحد الخلفاء الراشدين وقد روى سفينة مولى رسول الله ﷺ أن رسول الله ﷺ قال:

"الخلافة بعدى ثلاثون سنة ثم تكون ملكا، وإنما كملت الثلاثون بخلافة الحسن بن على، فإنه نزل عن الخلافة لمعاوية في ربيع الأول من سنة إحدى وأربعين،وذلك كمال الثلاثين من موت رسول الله ﷺ فإنه توفى فى ربيع الأول سنة إحدى عشرة من الهجرة، وهذا من دلائل النبوة وفى حديث أبى بكرة الثقفى أن رسول الله ﷺ صعد المنبر يوما وجلس الحسن بن على إلى جانبه، فجعل ينظر إلى الناس مرة وإليه أخرى ثم قال : أيها الناس إن ابنى هذا سيد، وسيصلح الله به بين فئتين عظيمتين من المسلمين، رواه البخارى.

فمدحه رسول الله ﷺ على صنيعه هذا وهو تركه الدنيا الفانية، ورغبته فى الآخرة الباقية، وحقنه دماء هذه الأمة، وجمع كلمة المسلمين على أمير واحد.

# دخول معاوية الكوفة

دخل معاوية إلى الكوفة فخطب الناس بها بعد البيعة، وأشار عليه عمرو بن العاص أن يأمر الحسن بن على أن يخطب الناس ويعلمهم بنزوله عن الأمر لمعاوية، فأمر معاوية الحسن فقام فى الناس خطيبا فقال فى خطبته بعد حمد الله والثناء عليه والصلاة على رسول الله ﷺ أما بعد أيها الناس ، فإن الله هداكم بأولنا وحقن دماءكم بآخرنا ، وإن لهذا الأمر مدة، والدنيا دول، وإن الله تعالى قال لنبيه ﷺ : ﴿وَإِنْ أَدْرِي لَعَلَّهُ فِتْنَةٌ لَّكُمْ وَمَتَاعٌ إِلَىٰ حِينٍ ﴿١١١﴾﴾ [الأنبياء]. فلما قالها غضب معاوية وأمره بالجلوس، وعتب على عمرو بن العاص فى إشارته بذلك ، ولم يزل فى نفسه لذلك.

روى الحافظ أبو بكر الخطيب البغدادي بسنده إلى أبي العريف قال : كنا فى مقدمة الحسن بن على على إثنا عشر ألفا بمسكن مستميتين من الجد على قتال أهل الشام، وعلينا أبو الغمرطة فلما جاءنا بصلح الحسن بن على كأنما كسرت ظهورنا من الغيظ ، فلما قدم الحسن بن على على الكوفة قال له رجل منا يقال له أبو عامر سعيد بن النتل : السلام عليك يامذل المؤمنين فقال : لا تقل هذا ياعامر لست بمذل المؤمنين ولكنى كرهت أن أقتلهم على الملك.

ولما تسلم معاوية البلاد ودخل الكوفة وخطب بها، واجتمعت عليه الكلمة فى سائر الأقاليم، والآفاق، ورجع إليه قيس بن سعد بن عبادة أحد دهاة العرب. وقد كان عزم على الشقاق- وترجل الحسن بن على ومعه أخوه الحسين وبقية إخوانهم وابن عمهم عبد الله بن جعفر من أرض العراق إلى أرض المدينة، وجعل كلما مر بحى من شيعتهم بيكونه على ما صنع من نزوله عن الأمر لمعاوية وهو راض مستبشر بما فعل، وإن كان قد ساء هذا خلقا من ذوية وأهله وشيعتهم.

## ملك معاوية

هو أول ملوك الإسلام وخيارهم. روى الطبراني بسنده إلى معاذ بن جبل وأبى عبيدة قالوا: قال رسول الله ﷺ : "إن هذا الأمر بدا رحمة ونبوة، ثم يكون رحمة وخلافة، ثم كائن مُلكا عضوضا، ثم كائن عتوا وجبرية وفسادا في الأرض، يستحلون الحرير والفروج والخمور ويرزقون على ذلك وينصرون حتى يلقوا الله عز وجل . إسناده جيد.

وفى حديث وارد عن طريق إسماعيل بن إبراهيم بن مهاجر وفيه ضعف عن عبد الملك بن عمر قال : قال معاوية : والله ما حملنى على الخلافة إلا قول رسول الله ﷺ لى:" يا معاوية إن ملكت فأحسن" رواه البيهقى وقال : وله شواهد من وجوه آخر ومنها حديث عمرو بن يحيى بن سعيد ابن العاص عن جده سعيد أن معاوية أخذ الإداوة فتبع رسول الله ﷺ فنظر إليه فقال له : يامعاوية إن وليت أمرا فاتق الله واعدل، قال معاوية فما زلت أظن أنى مبتلي بعمل لقول رسول الله ﷺ . ومنها حديث راشد بن سعد عن معاوية قال : قال رسول الله ﷺ : "إنك إن اتبعت عورات الناس أفسدتهم، قال أبو الدرداء: كلمة سمعها معاوية من رسول الله ﷺ فنفعه الله بها.

## فضل معاوية بن أبى سفيان

هو معاوية بن أبى سفيان صخر بن حرب بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف بن قصى أبو عبد الرحمن القرشى الأموى، خال المؤمنين (أخو أم حبيبة أم المؤمنين رملة بنت أبى سفيان)، وكاتب الوحى، أسلم هو وأبوه وأمه هند بنت عتبة بن ربيعة بن عبد شمس يوم الفتح، وقد روى عن معاوية أنه قال : أسلمت

يوم عمرة القضاء ولكنى كتمت إسلامى من أبي إلى يوم الفتح، وقد كان أبوه من سادات قريش فى الجاهلية، وآلت إليه رياسة قريش بعد يوم بدر، فكان هو أمير الحروب من ذلك الجانب ، وكان رئيسا مطاعا ذا مال جزيل، ولما أسلم قال: يارسول الله مرنى حتى أقاتل الكفار كما كنت أقاتل المسلمين. قال :"نعم قال ومعاوية تجعله كاتبا بين يديك، قال : نعم، ثم سأل أن يزوج رسول الله ﷺ بابنته وهى عزة واستعان على ذلك بأختها أم حبيبة، فلم يقع ذلك، وبين رسول الله ﷺ أن ذلك لا يحل له.

ولما فتحت الشام ولاه عمر نيابة دمشق بعد أخيه يزيد، وأقره على ذلك عثمان بن عفان وزاده بلادا أخرى، وهو الذى بنى القبة الخضراء بدمشق وسكنها أربعين سنة.

ولما ولى على بن أبى طالب الخلافة أشار عليه كثير من أمرائه ممن باشر قتل عثمان أن يعزل معاوية عن الشام ويولى عليها سهل بن حنيف فعزله فلم ينتظم عزله والتف عليه جماعة من أهل الشام ومانع عليا عنها وقد قال : لا أبايعه حتى يسلمنى قتلة عثمان فإنه قتل مظلوما، وقد قال الله تعالى : ﴿ وَمَن قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَلِيِّهِ سُلْطَانًا ﴿٣٣﴾ ﴾ [الإسراء].

فلما امتنع معاوية من البيعة لعلى حتى يسلمه القتلة، كانت موقعة صفين ثم آل الأمر إلى التحكيم، واستفحل أمر معاوية، ولم يزل أمر على فى اختلاف مع أصحابه حتى قتله ابن ملجم، فعند ذلك بايع أهل العراق الحسن بن على ، وبايع أهل الشام لمعاوية، ثم ركب الحسن فى جنود العراق عن غير إرادة منه، وركب معاوية فى أهل الشام، فلما تواجه الجيشان وتقابل الفريقان سعى الناس بينهما فى الصلح فانتهى الحال إلى أن خلع الحسن نفسه من الخلافة وسلم

الملك إلى معاوية، ودخل معاوية إلى الكوفة وخطب الناس خطبة بليغة بعدما بايعه الناس- واستوثقت له الممالك شرقا وغربا، وبعدا وقربا، فولى معاوية قضاء الشام لفضالة بن عبيد، ثم بعده لأبى إدريس الخولانى، وكان على شرطته قيس بن حمزة، وكان كاتبه وصاحب أمره سرجون ابن منصور الرومى وهو أول من اتخذ الحرس وأول من حزم الكتب.

## معاوية والخوارج

خرجت على معاوية طائفة من الخوارج وكان سبب ذلك أن معاوية لما دخل الكوفة وخرج الحسن وأهله منها قاصدين إلى الحجاز، قالت فرقة من الخوارج -نحو خمسمائة- جاء مالا يشك فيه فسيروا إلى معاوية فجاهدوه، فساروا حتى قربوا من الكوفة وعليهم فروة بن نوفل، فبعث إليهم معاوية خيلا من أهل الشام فطردوا الشاميين، فقال معاوية : لا أمان لكم عندى حتى تكفوا بوائقكم (شروركم)، فخرجوا إلى الخوارج فقالت لهم الخوارج : ويلكم ما تبغون؟ أليس معاوية عدوكم وعدونا؟ فدعونا حتى نقاتله فإن أصبناه كنا قد كفينا كمده، وإن أصابنا كنتم قد كفيتمونا. فقالوا : لا والله حتى نقاتلكم، فقالت الخوارج: يرحم الله إخواننا من أهل النهروان كانوا أعلم بكم يا أهل الكوفة، فاقتتلوا فهزمهم أهل الكوفة وطردوهم.

وأراد معاوية أن يستخلف على الكوفة عبد الله بن عمرو بن العاص فقال له المغيرة بن شعبة: توليه الكوفة وأباه مصر وتبقي أنت بين لحى الأسد؟ فثناه عن ذلك وولى عليها المغيرة من شعبة ، فاجتمع عمرو بن العاص بمعاوية فقال : أتجعل المغيرة على الخراج؟ هلا وليت الخراج رجلا آخر؟

فعزله عن الخراج وولاه على الصلاة ، فقال المغيرة لعمرو فى ذلك، فقال له: ألست المشير على أمير المؤمنين فى عبد الله بن عمرو؟ قال : بلى : قال : فهذه بتلك.

وفى هذه السنة وثب حمران بن ابان على البصرة فأخذها وتغلب عليها ، فبعث معاوية جيشا ليقاتلوه ومن معه، فجاء أبو بكرة الثقفى إلى معاوية فسأله فى الصفح والعفو، فعفى عنهم وأطلقهم وولى على البصرة بسر بن أبى أرطاة فتسلط على أولاد زياد يريد قتلهم، وذلك أن معاوية كتب إلى أبيهم ليحضر إليه فلبث، فكتب إليه بسر: لئن لم تسرع إلي أمير المؤمنين وإلا قتلت بنيك، فبعث أبو بكرة إلى معاوية فى ذلك. وقد قال معاوية لأبى بكرة: هل من عهد تعهده إلينا؟ قال : نعم : أعهد إلى يا أمير المؤمنين أن تنظر لنفسك ورعيتك وتعمل صالحا فإنك قد تقلدت عظيمة، خلافة الله فى خلقه، فاتق الله فإن لك غاية لا تعدوها، ومن ورائك طالب حثيث وأوشك أن يبلغ المدى فيلحق الطالب فتصير إلى من يسألك عما كنت فيه وهو أعلم به منك، وإنما محاسبة وتوقيف، فلا تؤثرن على رضا الله شيئا.

وفى آخر هذه السنة ولى معاوية البصرة لعبد الله بن عامر، وذلك أن معاوية أراد أن يوليها لعتبة بن أبى سفيان فقال له ابن عامر: إن لى بها أموالا وودائع، وإن لم تولينها هلكت ، فولاها إياه وأجابه إلى سؤاله فى ذلك.

وحج بالناس فى هذه السنة عتبة بن أبى سفيان وقيل عنبسة بن أبى سفيان كما قال الواقدى.

وتوفى فى هذا العام (٤١هـ) رفاعة بن رافع بن مالك وركانة بن عبد

العزيز وصفوان بن أمية وعثمان بن طلحة وعمرو بن الأسود السكونى وعاتكة بنت زيد.

## قدوم زياد بن أبيه على معاوية:

وفى سنة اثنتين وأربعين للهجرة قدم زياد بن أبيه على معاوية وذلك أن زيادا كان قد امتنع على معاوية قريبا من سنة فى قلعة زياد- فكتب إليه معاوية: ما يحملك على أن تهلك نفسك؟ أقدم على فأخبرنى بما صار إليك من أموال فارس وما صرفت منها وما بقى عندك فائتنى به وأنت آمن ، فإن شئت أن تقيم عندنا فعلت وإلا ذهبت حيث ماشئت من الأرض فأنت آمن ، فعند ذلك أزمع زياد السير إلى معاوية، فأكرم معاوية زيادا وقبض ما كان معه من الأموال وصدقه فيما صرفه.

وفى نفس العام غزا المسلمون العراق والروم وانتصروا وغنموا، وولى معاوية مروان بن الحكم نيابة المدينة، وعلى مكة خالد بن العاص بن هشام، وعلى الكوفة المغيرة بن شعبة، وعلى قضائها شريح القاضى، وعلى البصرة عبد الله بن عامر، وعلى خراسان قيس بن الهيثم من قبيل عبد الله بن عامر.

## تحرك الخوارج :

وفى نفس العام تحركت الخوارج الذين كانوا قد عفى عنهم على يوم النهروان، وقد عوفى جرحاهم وثابت إليهم قواهم، فلما بلغهم مقتل على ترحموا على قاتله ابن ملجم وقال قائلهم: لاقطع الله يدا علت قذال (مؤخر الرأس) علىّ بالسيف، وجعلوا يحمدون الله على قتل على (رضى الله عنه) ، ثم عزموا على الخروج على الناس وتوافقوا على الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر فيما زعموا.

فدخلت سنة ثلاث وأربعين وقد اجتمعوا في قريب من ثلثمائة عليهم المستورد بن علقمة ، فجهز المغيرة بن شعبة جندا عليهم معقل بن قيس فى ثلاثة آلاف. فصار إليهم وقدم بين يديه أبا الرواع فى طليعة هى ثلثمائة، فلقيهم أبو الرواع بمكان يقال له المذار: فاقتتلوا معهم فهزمهم الخوارج ثم كروا عليهم فهزمتهم الخوارج.، ولكن لم يقتل أحد منهم فلزموا مكانهم في مقاتلتهم ينتظرون قدوم أمير الجيش معقل بن قيس عليهم، فما قدم عليهم إلا فى آخر نهار غربت فيه الشمس،

فنزل وصلى بأصحابه، ثم شرع فى مدح أبى الرواع ، فقال له : أيها الأمير إن لهم شدات منكرة، فكن أنت ردء الناس ، ومر الفرسان فليقاتلوا بين يديك ، فقال معقل بن قيس : نعم ما رأيت ، فما كان إلا ريثما قال له ذلك حتى حملت الخوارج على معقل وأصحابه، فانجفل عنه عامة أصحابه، فترجل عند ذلك معقل وقال : يا معشر المسلمين الأرض الأرض، فترجل معه جماعة من الفرسان والشجعان قريب من مائتى فارس، منهم أبو الرواع الشاكرى، فحمل عليهم المستورد بن علقمة بأصحابه فاستقبلوهم بالرماح والسيوف، ولحق بقية الجيش بعض الفرسان فعيرهم وأنبهم فرجع الناس إلي معقل وهو يقاتل الخوارج بمن معه من الأنصار قتالا شديدا، والناس يتراجعون فى أثناء الليل، فصفهم معقل بن قيس ميمنة وميسرة ورتبهم

وقال: لا تبرحوا على مصافكم حتى نصبح فنحمل عليهم، فما أصبحوا حتى هزمت الخوارج فرجعوا من حيث أتوا، فسار معقل فى طلبهم وقدم بين يديه أبا الرواع فى ستمائة فالتقوا بهم عند طلوع الشمس فثار إليهم الخوارج فتبارزوا ساعة، ثم حملوا حملة رجل واحد فصبر لهم أبو الرواع بمن معه ، وجعل يحثهم على الصبر فصبروا وصدقوا فى الثبات حتى ردوا الخوارج إلي

أماكنهم، فلما رأت الخوارج ذلك خافوا من هجوم معقل عليهم فما يكون دون قتلهم شئ فهربوا بين أيديهم حتى قطعوا دجلة ووقعوا فى أرض نهر شير، وتبعهم أبو الرواع ولحقه معقل بن قيس، ووصلت الخوارج إلى المدينة العتيقة فركب إليهم شريك بن عبيد - نائب المدائن- ولحقهم أبو الرواع بمن معه من المقدمة.

وفى هذه السنة غزا بسر بن أبى أرطأة بلاد الروم فتوغل فيها حتى بلغ مدينة قسطنينية وفيها مات عمرو بن العاص ومحمد بن مسلمة وولى معاوية عبد الله بن عمرو ولاية مصر فعمل عليها سنتين.

## ترجمة عمرو بن العاص :

هو عمرو بن العاص بن وائل بن هشام بن سعد بن سهم بن عمرو بن هصيص بن كعب بن لؤى بن غالب القرشى السهمى، أبو عبد الله ، ويقال أبو محمد، أحد رؤساء قريش فى الجاهلية، وهو الذى أرسلوه إلى النجاشى ليرد عليهم من هاجر من المسلمين إلى بلاده فلم يجبهم إلى ذلك لعدله، ووعظ عمرو بن العاص فى ذلك، فيقال إنه أسلم على يديه والصحيح أنه إنما أسلم قبل الفتح بستة أشهر هو وخالد بن الوليد، وعثمان بن طلحة العبدرى، وكان أحد أمراء الإسلام، وهو أمير ذات السلاسل ، وأمده رسول الله ﷺ بمدد عليهم أبو عبيدة والصديق وعمر الفاروق ، واستعمله رسول الله ﷺ على عثمان فلم يزل عليها مدة حياة رسول الله ﷺ وأقره عليها الصديق.

روى الترمذى بسنده إلى عقبة بن عامر، قال : قال رسول الله ﷺ : "أسلم الناس وآمن عمرو بن العاص، وروى أيضا بسنده إلى طلحة بن عبيد الله: سمعت رسول الله ﷺ يقول: "إن عمرو بن العاص من صالحى قريش.

وفى الحديث الآخر: ابنا العاص مؤمنان وفى حديث آخر: نعم أهل البيت عبد الله وأبو عبد الله وأم عبد الله.

وبعثه الصديق فى جملة من بعث من أمراء الجيش إلي الشام فكان ممن شهد تلك الحروب، وكانت له الآراء السديدة، والمواقف الحميدة، والأحوال السعيدة. ثم بعثه عمر إلى مصر فافتتحها واستنابه عليها وأقره فيها عثمان بن عفان أربع سنين ثم عزله وولى عليها عبد الله بن سعد بن أبى سرح، فاعتزل عمرو بفلسطين وبقى فى نفسه من عثمان (رضى الله عنه) فلما قتل سار إلي معاوية فشهد مواقفه كلها بصفين وغيرها، وكان هو أحد الحكمين.

ولما استرجع معاوية مصر وانتزعها من يد محمد بن أبى بكر ، استعمل عمرو بن العاص عليها فلم يزل نائبها إلي أن مات فى هذه السنة. وقيل إنه توفى سنة سبع وأربعين. وقيل ثمان وأربعين وقيل إحدى وخمسين.

وكان عمرو بن العاص معدودا من دهاة العرب وشجعانهم وذوى آرائهم، وله أمثال حسنة وأشعار جيدة.

## عمرو يبكى عند الاحتضار:

روى الإمام أحمد بسنده إلى عبد الرحمن بن شماسة قال : لما حضرت عمرو بن العاص الوفاة بكى فقال له ابنه عبد الله : لم تبكى؟ أجزعا على الموت؟ فقال : لا والله ولكن مما بعد الموت فقال له: قد كنت على خير، فجعل يذكره صحبة رسول الله وفتوحه الشام، فقال عمرو: تركت أفضل من ذلك كله شهادة أن لا إله إلا الله، إنى كنت على ثلاثة أطباق ليس فيها طبق إلا عرفت نفسى فيه، كنت أول قريش كافرا، وكنت أشد الناس على رسول الله ﷺ فلو مت

حينئذ وجبت لى النار، فلما بايعت رسول الله ﷺ كنت أشد الناس حياء منه، فما ملأت عينى من رسول الله ﷺ ولا راجعته فيما أريد حتى لحق بالله حياء، فلو مت يومئذ قال الناس : هنيئا لعمرو أسلم وكان على خير فمات عليه نرجو له الجنة. ثم تلبست بعد ذلك بالسلطان وأشياء فلا أدرى على أم لى، فإذا مت فلا تبكين على باكية، ولا يتبعنى مادح ولا نار، وشدوا إزارى فإنى مخاصم، وشنوا على التراب شنا، فإن جنبى الأيمن ليس أحق بالتراب من جنبى الأيسر، ولا تجعلن فى قبرى خشبة ولا حجرا، وإذا واريتمونى فاقعدوا عندى قدر نحر جزور أستأنس بكم.

وقد روى مسلم هذا الحديث فى صحيحه من حديث يزيد بن أبى حبيب بإسناده نحوه وفيه زيادات على هذا السياق، فمنها قوله : كى أستأنس بكم لأنظر ماذا أراجع رسل ربى عز وجل.

وفى رواية أنه بعد هذا حول وجهه إلى الجدار وجعل يقول : اللهم أمرتنا فعصينا، ونهيتنا فما انتهيا ولا يسعنا إلا عفوك.

وفى رواية أنه وضع يده على موضع الغل من عنقه ورفع رأسه إلي السماء وقال : اللهم لا قوى فانتصر، ولا برئ فأعتذر، ولا مستنكر بل مستغفر، لا إلا إلا أنت ، فلم يزل يرددها حتى مات رضى الله عنه.

## بين معاوية وعبد الله بن عامر

عزل معاوية عبد الله بن عامر عن البصرة فى سنة أربع وأربعين وذلك أنه ظهر فيها الفساد وكان لين العريكة سهلا، يقال إنه كان لا يقطع لصا ويريد أن يتألف الناس، فذهب عبد الله بن أبى أوفى المعروف بابن الكوا فشكاه إلى

معاوية، فعزله معاوية وبعث إلى البصرة الحرث بن عبد الله الأزدى، ويقال إن معاوية استدعاه ليزوره فقدم ابن عامر على معاوية دمشق فاكرمه ورده على عمله، فلما هم بوداعه قال له معاوية: ثلاث أسألكهن فقل هى لك وأنا ابن أم حكيم، ترد على عملى ولا تغضب (أى تعزل):

قال ابن عامر : قد فعلت.

قال معاوية: وتهب لى مالك بعرفة.

قال : قد فعلت.

قال معاوية: وتهب لى دورك (منزلك) بمكة.

قال : قد فعلت.

قال معاوية: وصلتك رحم.

قال ابن عامر: يا أمير المؤمنين وإنى سائلك ثلاثا فقل هى لك وأنا ابن هنة:

قال : ترد على مالى بعرفة.

قال معاوية: قد فعلت.

قال ابن عامر: ولا تحاسب لى عاملا ولا أميرا.

قال معاوية: قد فعلت.

قال معاوية: قد فعلت.

قال ابن عامر: وتنكحنى ابنتك هندا.

قال معاوية : قد فعلت.

ويقال إن معاوية خيره بين هذه الثلاث وبين الولاية على البصرة فاختار هذه الثلاث.

وفى هذه السنة غزا عبد الرحمن بن خالد بن الوليد بلاد الروم ومعه المسلمون وشتوا هنالك، وفيها غزا بسر بن أبى أرطأة فى البحر، وفيها استلحق معاوية زياد ابن أبيه فالحقه بأبى سفيان (نسبه إليه). وذلك أن رجلا شهد على إقرار أبى سفيان أنه عاهر بسمية أم زياد فى الجاهلية، وأنها حملت بزياد هذا منه، فلما استلحقه معاوية قيل له زياد بن أبى سفيان، وقد كان الحسن البصرى ينكر هذا الاستلحاق ويقول : قال رسول الله ﷺ : الولد للفراش وللعاهر الحجر (أى أن ماء الزنا هدر لا يثبت به نسب).

وروى أحمد بسنده إلى سعد بن أبى وقاص قال : سمعت أذنى رسول الله ﷺ يقول: " من ادعى أبا فى الإسلام غير أبيه وهو يعلم أنه غير أبيه فالجنة عليه حرام.

فقال أبو بكرة: وأنا سمعته من رسول الله ﷺ. أ.هـ

ومن المعروف لدى الفقهاء أن الزنا لايثبت به نسب.

وحج بالناس فى هذه السنة معاوية، وفيها عمل المقصورة بالشام، وحمل مروان بن الحكم مثلها بالمدينة.

وفى هذه السنة توفيت أم حبيبة رملة بنت أبى سفيان أم المؤمنين (رضى الله عنها).

# معاوية يولى زيادا البصرة

فى سنة خمس وأربعين ولى معاوية البصرة للحارث بن عبد الله الأزدى، ثم عزله بعد أربعة أشهر ، وولى زيادا فقدم الكوفة وعليها المغيرة فأقام بها ليأتيه رسول معاوية بولاية البصرة، فظن المغيرة أنه قد جاء على إمرة الكوفة فبعث إليه وائل بن حجر ليعلم خبره فاجتمع به فلم يقدر منه على شئ، فجاء البريد إلى زياد أن يسير إلى البصرة فى مستهل جمادى الأول فقام فى أول خطبة خطبها- وقد وجد الفسق ظاهرا- فقال فيها :

أيها الناس كأنكم لم تسعموا ما أعد الله من الثواب لأهل الطاعة، والعذاب لأهل المعصية تكونون كمن طرقت جبينه الدنيا وأفسدت مسامعه الشهوات، فاختار الفانية على الباقية. ثم مازال يقيم أمر السلطان ويجرد السيف حتى خافه الناس خوفا عظيما، وتركوا ما كانوا فيه من المعاصى الظاهرة، واستعان بجماعة من الصحابة، وولى عمران ابن حصين القضاء بالبصرة، وولى الحكم بن عمرو الغفارى نيابة خراسان (أفغانستان) وولى سمرة بن جندب وعبد الرحمن بن سمرة وأنس بن مالك.

وكان زياد حازم الرأى ذا هيبة داهية، وكان مفوها فصيحا بليغا.

قال الشعبى : ما سمعت متكلما قط تكلم فأحسن إلا أحببت أن يسكت خوفا من أن يسئ إلا زيادا فإنه كان كلما أكثر كان أجود كلاما. وقد كانت له وجاهة عند عمر بن الخطاب.

وفى هذه السنة غزا الحكم بن عمرو نائب زياد على خراسان جبل الأسل عن أمر زياد فقتل منهم خلقا كثيرا وغنم أموالا جمة، فكتب إليه زياد: إن أمير

المؤمنين قد جاء كتابه أن يصطفى له كل صفراء وبيضاء. يعنى الذهب والفضة – يجمع كله من هذه الغنيمة لبيت المال. فكتب الحكم بن عمرو: إن كتاب الله مقدم على كتاب أمير المؤمنين، وأنه والله لو كانت السموات والأرض على عبد فاتقى الله يجعل له مخرجا، ثم نادى فى الناس : أن أغدوا على قسم غنيمتكم، فقسمها بينهم وخالف زيادا فيما كتب إليه عن معاوية وعزل الخمس كما أمر الله ورسوله، (وبيان ذلك فى سورة الأنفال) ثم قال الحكم يارب إن كان لي عندك خير فاقبضنى إليك ، فمات بمرو من خراسان (رضى الله عنه).

قال ابن جرير: وحج بالناس فى هذه السنة مروان بن الحكم وكان نائب المدينة.

وفى هذه السنة توفى زيد بن ثابت الأنصارى أحد كتاب الوحى، وسلمة بن سلامة بن وقش عن سبعين وهو بدرى شهد بدرا وما بعدها ولا عقب له، وعاصم بن عدى، وكان رسول الله ﷺ قد استخلفه على قباء وأهل العالية حين خرج إلي بدر وشهد أحدا وما بعدها وتوفى عن خمس وعشرين ومائة وقد بعثه رسول الله ﷺ هو ومالك بن الدخشم إلى مسجد الضرار فخرقاه.

وفيها توفيت حفصة بنت عمر بن الخطاب أم المؤمنين عن ستين سنة رضى الله عنها.

وفى سنة ست وأربعين غزا المسلمون بلاد الروم، وحج بالناس عتبة بن أبى سفيان أخو معاوية.

وتوفى فى هذا العام سالم بن عمير أحد البكائين شهد بدرا وما بعدها، وسراقة بن كعب، وعبد الرحمن بن خالد بن الوليد.

وفى سنة سبعة وأربعين غزا المسلمون بلاد الروم، وعزل معاوية عبد الله بن عمرو بن العاص عن ديار مصر وولى معاوية بن خديج، وحج بالناس عتبة بن أبى سفيان وتوفى قيس بن عاصم المنقرى وكان من سادات الناس في الجاهلية والإسلام وحرم الخمر في الجاهلية والإسلام.

وفى سنة ثمان وأربعين غزا المسلمون بلاد انطاكية بقيادة أبو عبد الرحمن القتبى وغزا عقبة بن عامر بأهل مصر البحر، وحج بالناس مروان بن الحكم.

وفى سنة تسع وأربعين غزا يزيد بن معاوية بلاد الروم حتى بلغ قسطنينية ومعه جماعات من سادات الصحابة منهم ابن عمرو وابن عباس وابن الزبير وأبو أيوب الأنصارى. وقد ثبت فى صحيح البخارى أن رسول الله ﷺ قال: "أول جيش يغزون مدينة قيصر مغفور لهم" فكان أول من غزاها، وما وصلوا إليها حتى بلغوا الجهد. وفيها توفى أبو أيوب خالد بن زيد الأنصارى. وفيها عزل معاوية مروان عن المدينة وولى عليها سعيد بن العاص، وفيها شتى مالك بن هبيرة الفزارى بأرض الروم. وفيها كانت غزوة فضالة بن عبيد وشتى هنالك، ففتح البلد وغنم شيئا كثيرا. وفيها كانت صائفة عبد الله ابن كرز ووقع الطاعون بالكوفة فخرج منها المغيرة فارا، وجمع معاوية لزياد بين الكوفة والبصرة، فكان أول من جُمع له بينهما، فكان يقيم فى هذه ستة أشهر وهذه ستة أشهر، وكان يستخلف على البصرة سمرة بن جندب. وحج فى هذه السنة بالناس سعيد بن العاص.

وتوفى فى هذه السنة الحسن بن على رضى الله عنه.

# ترجمة الحسن بن على بن أبى طالب

# رضى الله عنه

هو أبو محمد القرشى الهاشمى، سبط رسول الله ﷺ ابن ابنته فاطمة الزهراء، وريحانته وأشبه خلق الله به في وجهه، ولد للنصف من رمضان سنة ثلاث من الهجرة،و فحنكه رسول الله ﷺ بريقه وسماه حسنا، وهو أكبر ولد أبويه، وقد كان رسول الله ﷺ يحبه حبا شديدا حتى كان يقبل ذبيبته وهو صغير، وربما مص لسانه واعتنقه وداعبه، وربما جاء ورسول الله ﷺ ساجد فى الصلاة فيركب على ظهره فيقره على ذلك ويطيل السجود من أجله، وربما صعد معه إلى المنبر، وقد ثبت فى الحديث أنه عليه السلام بينما هو يخطب إذ رأى الحسن والحسين مقبلين فنزل إليهما فاحتضنهما وأخذهما معه إلى المنبر وقال : "صدق الله: ﴿ إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ وَاللَّهُ عِندَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿١٥﴾ ﴾ [التغابن]، إنى رأيت هذين يمشيان ويعثران فلم أملك أن نزلت إليهما، ثم قال " إنكم لمن روح الله وإنكم لتبجلون وتحببون".

وقد ثبت فى صحيح البخارى أن أبا بكر صلى بهم العصر بعد وفاة رسول الله ﷺ بليال ثم خرج هو وعلى يمشيان ، فرأى الحسن يلعب مع الغلمان فاحتمله على عنقه وجعل يقول : يا بأبى شبه النبى ليس شبيها بعلى، قال : وعلى ضحك.

وروى سفيان الثورى وغير واحد قالوا: ثنا وكيع إسماعيل بن أبى خالد سمعت أبا حنيفة يقول :"رأيت النبى ﷺ وكان الحسن بن على يشبهه، ورواه البخارى ومسلم.

وعن البراء بن عازب قال : رأيت النبى ﷺ والحسن بن على علي عاتقه وهو يقول : " اللهم إنى أحبه فأحبه، وأخرجاه من حديث شعبة.

وقال سفيان الثورى وغيره عن سالم بن أبى حفصة عن أبي حازم عن أبى هريرة. قال : قال رسول الله ﷺ " من أحب الحسن والحسين فقد أحبنى، ومن أبغضهما فقد أبغضنى" غريب من هذا الوجه.

وقد ورد عن عائشة وأم سلمة أمى المؤمنين أن رسول الله ﷺ اشتمل علي الحسن والحسين وأمهما وأبيهما فقال :" اللهم هؤلاء أهل بيتى فأذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا".

وروى محمد بن سعد بسنده إلى جابر بن عبد الله قال : قال رسول الله ﷺ من سره أن ينظر إلى سيد شباب أهل الجنة فلينظر إلى الحسن بن على".

وفى حديث عبد الله بن شداد عن أبيه أن رسول الله ﷺ صلى بهم إحدى صلاتى العشى فسجد سجدة أطال فيها السجود، فلما سلم قال الناس له فى ذلك، قال : إن ابنى هذا- يعنى الحسن- ارتحلنى فكرهت أن أعجله حتى يقضى حاجته".

وروى أحمد عن جابر بن عبد الله أن رسول الله ﷺ قال : "أن ابنى هذا سيد ولعل الله أن يصلح به بين فئتين عظيمتين من المسلمين".

وكان على يكرم الحسن إكراما زائدا، ويعظمه ويبجله وقد قال له يوما : يابنى ألا تخطب حتى أسمعك؟ فقال :إنى أستحى أن أخطب وأنا أراك، فذهب على فجلس حيث لايراه الحسن ثم قام الحسن فى الناس خطيبا وعلى يسمع، فأدى خطبة بليغة فصيحة فلما انصرف جعل يقول: ﴿ ذُرِّيَّةً بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ

وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٣٤﴾ [آل عمران].

وقد كان ابن عباس يأخذ الركاب للحسن والحسين إذا ركبا ويرى هذا من النعم عليه وكان إذا طافا بالبيت يكاد الناس يحطمونهما مما يزدحمون عليهما للسلام عليهما، رضى الله عنهما وأرضاهما.

وقيل كان الحسن إذا صلى الغداة فى مسجد رسول الله ﷺ يجلس فى مصلاه يذكر الله حتى ترتفع الشمس ، ويجلس إليه من يجلس من سادات الناس يتحدثون عنده، ثم يقوم فيدخل على أمهات المؤمنين فيسلم عليهن وربما أتحفنه [1] ثم ينصرف إلى منزله.

ولما نزل لمعاوية عن الخلافة من ورعه صيانة لدماء المسلمين، كان له على معاوية فى كل عام جائزة، وكان يفد إليه، فربما أجازه بأربعمائة ألف درهم، وراتبه فى كل سنة مائة ألف، فانقطع سنة عن الذهاب وجاء وقت الجائزة فاحتاج الحسن إليها- وكان من أكرم الناس- فأراد أن يكتب إلى معاوية ليبعث بها إليه، فلما نام تلك الليلة رأى رسول الله فى المنام فقال له : يابنى أتكتب إلى مخلوق بحاجتك؟ وعلمه دعاء يدعو به فترك الحسن ماكان هم به من الكتابة، فذكره معاوية وافتقده، وقال : ابعثوا إليه بمائتى ألف فلعل له ضرورة فى تركه القدوم علينا، فحملت إليه من غير سؤال.

وقاسم الله ماله ثلاث مرات ، وخرج من ماله مرتين ، وحج خمسا وعشرين مرة ماشيا وإن الجنائب لتقاد بين يديه .

---

(١) التحفة هنا : فاكهة أو حلوى تقدم للضيف .

قال محمد بن سيرين: ربما أجاز الحسن بن على الرجل الواحد بمائة ألف. وقال سعيد بن عبد العزيز: سمع الحسن رجلا إلى جانبه يدعو الله أن يملكه عشرة آلاف درهم، فقام إلى منزله فبعث بها إليه.

وذكروا أن الحسن رأى غلاما أسود يأكل من رغيف لقمة ويطعم كلبا هناك لقمة، فقال له : ما حملك على هذا؟ فقال : إنى أستحى منه أن آكل ولا أطعمه، فقال له الحسن: لا تبرح من مكانك حتى آتيك، فذهب إلى سيده فاشتراه واشترى الحائط الذى هو فيه، فأعتقه وملكه الحائط، فقال الغلام: يا مولاى قد وهبت الحائط للذى وهبتنى له.

قالوا: وكان كثير التزوج، وكان لا يفارقه أربع حرائر، وكان مطلاقا مصداقا، يقال إنه أحصن سبعين امرأة وذكروا أنه طلق امرأتين فى يوم واحد واحدة من بنى أسد وأخرى من بنى فزارة وبعث إلى كل واحدة منهما بعشرة آلاف وبزقاق عسل، وقال للغلام اسمع ما تقول كل واحدة منهما ، فأما الفزارية فقالت : جزاه الله خيرا، ودعت له، وأما الأسدية فقالت : متاع قليل من حبيب مفارق. فرجع الغلام إليه بذلك ، فارتجع الأسدية وترك الفزارية.

وقد كان على يقول لأهل الكوفة: لا تزوجوه فإنه مطلاق، فيقولون والله يا أمير المؤمنين لو خطب إلينا كل يوم لزوجناه منا من شاء ابتغاء فى صهر رسول الله ﷺ .

وروى الإمام أحمد بسنده إلى محمد بن أبان قال : قال الحسن بن على لبنيه وبنى أخيه، تعلموا فإنكم صغار قوم اليوم وتكونوا كبارهم غدا، فمن لم يحفظ منكم فليكتب، (رواه البيهقى عن الحاكم عن عبد الله بن أحمد عن أبيه).

وروى محمد بن سعد بسنده إلى عمرو الأصم قال : قلت للحسن بن على: إن هذه الشيعة تزعم أن عليا مبعوث قبل يوم القيامة، قال : كذبوا والله ما هؤلاء بالشيعة ، لو علمنا أنه مبعوث مازوجنا نساءه ولا اقتسمنا ماله.

وقال صالح بن أحمد بن حنبل : سمعت أبى يقول : بايع الحسن تسعون ألفا فزهد فى الخلافة وصالح معاوية ولم يسل فى أيامه محجمة من دم.

وقال ابن أبى خيثمة: وحدثنا أبى ثنا وهب بن جرير قال : قال أبى : فلما قتل على بايع أهل الكوفة الحسن ابن على وأطاعوه وأحبوه أشد من حبهم لأبيه. وعن أم بكر بنت المسور قالت : الحسن سقى مرارا كل ذلك يفلت منه، حتى كانت المرة الآخرة التى مات فيها فإنه كان يختلف كبده، فلما مات أقام نساء بنى هاشم عليه النوح شهرا.

## الحسين يسأل عن قاتل الحسن:

قال الحسين (رضى الله عنه) يا أبا محمد أخبرنى من سقاك؟ قال : ولم يا أخى ؟ قال : أقتله والله قبل أن أدفنك ولا أقدر عليه أن يكون بأرض أتكلف الشخوص إليه. فقال : يا أخى إنما هذه الدنيا ليال فانية، دعه حتى ألتقى أنا وهو عند الله وأبى أن يسميه.

وروى محمد بن سعد بسنده إلى أم موسى أن جفرة بنت الأشعث بن قيس سقت الحسن السم فاشتكى منه شكاة ، قال : فكان يوضع تحته طست ويرفع آخر نحو من أربعين يوما.

ويرى العلامة ابن كثير أن معاوية برئ من قتل الحسن وأن الأخبار التى نقلت فى ذلك غير صحيحة.

# احتضار الحسن بن على

وقال أبو نعيم : لما اشتد بالحسن بن على الوجع جزع فدخل عليه رجل فقال له: يا أبا حمد ما هذا الجزع؟ ما هو إلا أن تفارق روحك جسدك فتقدم على أبويك على وفاطمة، وعلى جديك النبى ﷺ وخديجة ، وعلى أعمامك حمزة وجعفر، وعلى أخوالك القاسم الطيب ومطهر وإبراهيم ، وعلى خالاتك رقية وأم كلثوم وزينب، قال : فسرى عنه. وفى رواية أن القائل له ذلك الحسين، وأن الحسن قال له : يا أخى إنى أدخل فى أمر من أمر الله لم أدخل فى مثله، وأرى خلقا من خلق الله لم أر مثله قط. قال : فبكى الحسين.

## أين دفن :

وروى الواقدى بسنده إلى جابر بن عبد الله يقول : شهدنا حسن بن على يوم مات وكادت الفتنة تقع بين الحسين بن على ومروان بن الحكم، وكان الحسن قد عهد إلى أخيه أن يدفن مع رسول الله ﷺ ، فإن خاف أن يكون فى ذلك قتال أو شئ فليدفن بالبقيع، فأبى مروان أن يدعه – ومروان يومئذ معزول يريد أن يرضى معاوية– ولم يزل مروان عدوا لبنى هاشم حتى مات ، قال جابر: فكلمت يومئذ حسين بن على فقلت : يا أبا عبد الله اتق الله ولا تثر فتنة فإن أخاك كان لا يحب ما ترى؟ فادفنه فى البقيع مع أمه ففعل.

وفى رواية أن الحسن بعث يستأذن عائشة فى ذلك فأذنت له، فلما مات لبس الحسين السلاح وتسلح بنو أمية وقالوا: لا ندعه يدفن مع رسول الله ﷺ أيدفن عثمان بالبقيع ويدفن الحسن بن على فى الحجرة؟ فلما خاف الناس وقوع الفتنة أشار سعد بن أبى وقاص وأبو هريرة وجابر وابن عمر على الحسين أن

لا يقاتل فامتثل ودفن أخاه قريبا من قبر أمه بالبقيع، رضى الله عنه.

وقال سفيان الثورى عن سالم بن أبى حفصه عن أبى حازم قال : رأيت الحسين بن على قدم يومئذ سعيد بن العاص (والى المدينة) فصلى على الحسن وقال : لولا أنها سُنة ما قدمته.

وروى محمد بن إسحاق قال : حدثنى مساور مولى بنى سعد بن بكر قال: رأيت أبا هريرة قائما على مسجد رسول الله يوم مات الحسن بن على وهو ينادى بأعلى صوته: يا أيها الناس مات اليوم حِب رسول الله ﷺ فابكوا.

وقد اجتمع الناس لجنازته حتى ما كان البقيع يسع أحدا من الزحام. وقد بكاه الرجال والنساء سبعا، واستمر نساء بنى هاشم تنحن عليه شهرا، وحدت عليه نساء بنى هاشم سنة.

## الفرزدق يعرض بمعاوية :

وفى سنة خمسين أنشد الفرزدق قصيدة يعرض فيها بمعاوية فتطلبه ابن زياد أشد الطلب ففر منه إلى المدينة ، فاستجار بسعيد بن العاص.

وكان معاوية قد عزم على تحويل المنبر النبوى من المدينة إلى دمشق وأن يأخذ العصاة التى كان النبى ﷺ يمسكها فى يده إذا خطب فيقف على المنبر وهو يمسكها، حتى قال أبو هريرة وجابر بن عبد الله : يا أمير المؤمنين نذكرك الله أن تفعل هذا، فإن هذا لا يصلح أن يخرج المنبر من موضع وضعه فيه رسول الله ﷺ ، وأن يخرج عصاه من المدينة. فترك ذلك معاوية ولكن زاد فى المنبر ست درجات واعتذر إلى الناس.

وفى هذه السنة عزل معاوية عن مصر معاوية بن خديج وولى عليها من إفريقية مسلمة بن مخلد، وفيها افتتح عقبة بن نافع الفهرى عن أمر معاوية بلاد إفريقية، واختط القيروان - وكان غيضة تأوى إليها السباع والوحوش والحيات العظام، فدعا الله تعالى فلم يبق فيها شىء من ذلك حتى أن السباع صارت تخرج منها تحمل أولادها، والحيات يخرجن من أحجارهن هوارب فأسلم خلق كثير من البربر فبنى فى مكانها القيروان. وغزا بسر بن أبى أرطأة وسفيان بن عوف أرض الروم ، وفيها غزا فضالة بن عبيد البحر.

وفى هذه السنة توفى مدلاج بن عمرو السلمى وصفية بنت حيى بن أخطب وأم شريك الأنصارية وعمرو بن أمية الضمرى وجبير بن مطعم وحسان بن ثابت والحكم بن عمرو بن مجدع الغفارى ودحية بن خليفة الكلبى الذى كان جبريل عليه السلام يأتى فى صورته، وعقيل بن أبى طالب وكعب بن مالك الأنصارى والمغيرة بن شعبة وجويرية بنت الحارث الخزاعية المصطلقية.

## مقتل حجر بن عدى

فى سنة إحدى وخمسين كان مقتل حجر بن عدى بن ربيعة بن معاوية الأكبر بن الحارث بن معاوية بن ثور بن بزيغ بن كذرى الكوفى، وهو من كندة من رؤساء أهل الكوفة: قال ابن عساكر: وفد إلى النبى ﷺ وسمع عليا وعمارا وشراحيل بن مرة، وروى عنه أبو ليلى مولاه، وعبد الرحمن بن عباس، وأبو البخترى الطائى.

وغزا الشام فى الجيش الذى افتتح عذراد، وشهد صفين مع على أميرا، وقد ذكره محمد بن سعد فى الطبقة الرابعة من الصحابة، وكان ثقة معروفا،

ويقال إنه تابع وشهد موقعة الجمل بين على وعائشة رضى الله عنهما.

وكان حجر من عباد الناس ، وزهادهم، وكان بارا بأمه، وكان كثير الصلاة ، والصيام، قال أبو معشر: ما أحدث قط إلا توضأ، ولا توضأ إلا صلى ركعتين.

وكان حجر شديد الحب والتشيع لعلى بن أبى طالب (رضى الله عنه) وكان يتحرش بالمغيرة بن شعبة. وكان شباب ثقيف يغرون المغيرة بقتله وهو يعفو ويصبر عليه.

كتب معاوية للمغيرة يطلب مددا من بيت المال، فبعث عيرا تحمل مالا فاعترض لها حجر، فأمسك بزمام أولها وقال : لا والله حتى يوفى كل ذى حق حقه.

فقال شباب ثقيف للمغيرة: ألا نأتيك برأسه؟ فقال : ما كنت لأفعلن ذلك بحجر، فتركه.

ولما تولى زياد الكوفة والبصرة بعد وفاة المغيرة وجد حجرا وقد التف حوله جماعات من شيعة على يقولون بقوله ويشدون على يده، ويسبون معاوية ويتبرءون منه، فلما كان أول خطبة خطبها زياد بالكوفة . ذكر فى آخرها فضل عثمان وذم من قتله أو أعان على قتله. فقام حجر كما كان يقوم فى أيام المغيرة، وتكلم بنحو مما قال للمغيرة، فلم يعرض له زياد، ثم ركب زياد إلى البصرة، وأراد أن يأخذ حجرا معه إلى البصرة لئلا يحدث حدثا، فقال : إنى مريض، فقال : والله إنك لمريض الدين والقلب والعقل، والله لئن أحدثت شيئا لأسعين فى قتلك، ثم سار زياد إلى البصرة فبلغه أن حجرا وأصحابه أنكروا على نائبه

بالكوفة - وهو عمرو بن حريث وحصبوه ورموه بالحصباء، وهو على المنبر يوم الجمعة ، فركب زياد إلى الكوفة فنزل فى القصر ثم خرج إلى المنبر وعليه قباء سندس، ومطرف خز أحمر، وقد فرق شعره، وحجر جالس وحوله أصحابه أكثر ما كانوا يومئذ، وكان من لبس من أصحابه يومئذ نحو من ثلاث آلاف، وجلسوا حوله فى المسجد فى الحديد والسلاح، فخطب زياد فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: أما بعد فإن غب البغى والغى وخيم وإن هؤلاء أمنونى فاجترأوا على، وأيم الله لئن لم تستقيموا لأداوينكم بدوائكم، ثم قال : ما أنا بشىء إن لم أمنع ساحة الكوفة من حجر وأصحابه وأدعه نكالا لمن بعده، ويل أمك يا حجر، سقط بك العشاء على سرحان (ذئب) .

وجعل زياد يقول فى خطبته : إن من حق أمير المؤمنين - يعنى كذا وكذا - فأخذ حجر كفا من حصباء فحصبه وقال : كذبت ! عليك لعنه الله، فانحدر زياد فصلى، ثم دخل القصر واستحضر حجرا، ويقال إن زيادا طول الخطبة حتى كاد يخرج وقت الصلاة.

وكتب زياد إلى معاوية فى أمره وكثر عيه، فكتب إليه معاوية:

أن شُده فى الحديد وأحمله إلى، فبعث إليه زياد وإلى الشرطة وهو شداد بن الهيثم ومعه أعوانه فقال له : إن الأمير يطلبك ، فامتنع من الحضور إلى زياد، وقام دونه أصحابه ، فرجع زياد إلى الوالى فأعلمه، فاستنهض زياد جماعات من القبائل فركبوا مع الوالى إلى حجر وأصحابه فكان بينهم قتال بالحجارة والعصى، فعجزوا عنه ، فندب محمد بن الأشعث وأمهله ثلاثا وجهز معه جيشا، فركبوا فى طلبه ولم يزالوا حتى أحضروه إلى زياد، وما أغنى عنه

قومه ولا من كان يظن أن ينصره فعند ذلك قيده زياد وسجنه عشرة أيام وبعث به إلى معاوية، وبعث معه جماعة يشهدون عليه أنه سب الخليفة، وأنه حارب الأمير، وأنه يقول إن هذا الأمر لا يصلح إلا فى آل على بن أبى طالب، وكان من جملة الشهود عليه أبو بردة بن أبى موسى، ووائل بن حجر، وعمر بن سعد بن أبى وقاص، وإسحاق، وإسماعيل وموسى بنو طلحة بن عبد الله، والمنذر بن الزبير، وكثير بن شهاب ، وثابت بن ربعى، فى سبعين ، ويقال إنه كتب شهادة شريح القاضى فيهم.

وكان من جملة أصحاب حجر أربعة عشر رجلا ساقوهم معه إلى الشام، وقتلوه وقتلوا معه عددا من الرجال من أصحابه وقبل أن يقتل طلب أن يتوضأ ويصلى ركعتين، ثم حضروا له قبرا ونشروا الأكفان وصلت السيف على رقبته فجزع فقالوا له : إنك قلت لست بجازع، فقال : وما لى لا أجزع وأنا أرى قبرا محفورا وكفنا منشورا وسيفا مشهورا.

ولما وفد معاوية على عائشة (رضى الله عنها) ، عاتبته فى قتل حجر وقالت له : أين ذهب حلمك يا معاوية حين قتلت حجرا فقال لها : إنما قتله من شهد عليه، ثم قال لها: فكيف برى بك يا أمه؟ فقالت : إنك بى لبار، فقال : يكفينى هذا عند الله، وغدا لى ولحجر موقف بين يدى الله عز وجل.

ويروى أن حجرا لما أخذ فى قيوده سائرا من الكوفة إلى الشام تلقته بناته فى الطريق وهن يبكين ، فمال نحوهن، فقال : إن الذى يطعمكم ويكسوكم هو الله وهو باق لكنّ بعدى، فعليكن بتقوى الله وعبادته وإنى : ما أن أقتل فى وجهى وهى شهادة، أو أن أرجع إليكن مكرما، والله خليفتى عليكن.

وأوصى أن يدفن فى قيوده ففعل ذلك به.

وفى هذه السنة توفى جرير بن عبد الله البجلى، وجعفر بن أبى سفيان بن عبد المطلب، وحارثة بن النعمان الأنصارى وسعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل، وعبد الله بن أنيس وأبو بكرة نفيع بن الحارث وميمونة بنت الحارث الهلالية أم المؤمنين رضى الله عنها.

وفى عام اثنين وخمسين قامت غزاة على بلاد الروم وحج بالناس سعيد بن العاص وفيها توفى من الأعيان :

خالد بن زيد بن كليب الأنصارى ، وعبد الله بن المغفل المزنى، وعمران بن حصين وكعب بن عجرة الأنصارى، ومعاوية بن خديج، وهانىء بن نيار .

## فتح جزيرة رودس

فى سنة ثلاث وخمسين غزا عبد الرحمن بن أم الحكم بلاد الروم وشتى بها، وافتتح المسلمون جزيرة رودس بقيادة جنادة بن أبى أمية.

وتوفى فى هذه السنة الربيع بن زياد الحارثى نائب زياد على خراسان، ورويفع بن ثابت الصحابى الذى شهد فتح مصر، وله آثار جيدة فى فتح بلاد المغرب ، ومات ببرقة واليا من جهة مسلمة بن مخلد.

وفيها توفى زيادبن أبى سفيان مطعونا وهو زياد بن أبيه، كان قد طلب من معاوية أن يوليه الحجاز وكتب إليه يقول : إنى قد ضبطت لك العراق بشمالى ويمينى فارغه، فارغ لى ذلك، وهو يعرض له أن يستنيبه على بلاد الحجاز أيضا، فلما بلغ أهل الحجاز جاءوا إلى عبد الله بن عمر فشكوا إليه

ذلك، وخافوا أن يلى عليهم زياد، فيعسفهم (يظلمهم) كما عسف بأهل العراق، فقام ابن عمر فاستقبل القبلة فدعا على زياد والناس يؤمنون، فطعن زياد بالعراق فى يده فكانت سبب موته، وكان زياد قد أمر بجمع أهل الكوفة فى المسجد للبراءة من على بن أبى طالب (رضى الله عنه) فشغل بالطاعون.

وفى هذه السنة توفى صعصعة بن ناجية وجبلة بن الأيهم الغسانى ملك نصارى العرب.

## إمرة عبيد الله بن زياد على خراسان :

وفى سنة أربع وخمسين شتى مالك بأرض الروم، وغزا الصائفة معن بن يزيد السلمى، وفيها عزل معاوية سعيد بن العاص عن إمرة المدينة ورد إليها مروان بن الحكم، وكتب إليه أن يهدم دار سعيد بن العاص، ويصطفى أمواله التى بأرض الحجاز، فجاء مروان إلى دار سعيد ليهدمها فقال سعيد: ما كنت لتفعل ذلك ، فقال : إن أمير المؤمنين كتب إلى بذلك، ولو كتب إليك فى دارى لفعلته، فقام سعيد فأخرج إليه كتاب معاوية إليه حين ولاه المدينة أن يهدم دار مروان ويصطفى ماله، وذكر أنه لم يزل يدافع دونه حتى صرف ذلك عنه، فلما رأى مروان الكتاب إلى سعيد بذلك، ثناه ذلك عن سعيد، ولم يزل يدافع حتى تركه معاوية فى داره وأقر عليه أمواله.

وفيها عزل معاوية سمرة بن جندب عن البصرة ، وكان زياد استخلفه عليها . فأقره معاوية ستة أشهر، وولى عليها عبد الله بن عمرو بن غيلان، وأقر عبد الله بن خالد بن أسيد على نيابة الكوفة ، وكان زياد قد استخلفه عليها فأبقاه معاوية.

وقدم فى هذه السنة عبيد الله بن زياد على معاوية فأكرمه وسأله عن نواب أبيه على البلاد فأخبره عنهم، ثم ولاه إمرة خراسان وهو ابن خمس وعشرين سنة، فسار إلى مقاطعته وتجهز من فوره غاديا إليها، فقطع النهر إلى جبال بخارى ـ ولقى الترك هناك فقاتلهم قتالا شديدا وهزمهم هزيمة فظيعة بحيث أن المسلمين أعجلوا امرأة الملك أن تلبس خفيها، فلبست واحدة وتركت أخرى، فأخذها المسلمون فقوموا جواهرها بمائتى ألف درهم، وغنموا مع ذلك غنائم كثيرة، وأقام عبيد الله بخراسان سنتين، وفى هذه السنة حج بالناس مروان بن الحكم نائب المدينة. وفى هذه السنة توفى أسامه بن زيد بن حارثة الكلبى مولى رسول الله ﷺ وابن مولاه، وثوبان بن مجرد مولى رسول الله ﷺ والحارث بن ربعى أبو قتادة الأنصارى وحكيم بن حزام ابن خويلد بن أسد بن عبد العزى بن قصى بن كلاب، جويطب بن عبد العزى العامرى، ومعبد بن يربوع بن عنكثة ابن عامر بن مخزوم، ومرة بن شراحيل الهمدانى، والنعيمان بن عمرو البدرى، وسودة بنت زمعة العامرية أم المؤمنين.

## أحداث ستة خمس وخمسين

فيها عزل معاوية عبد الله بن غيلان عن البصرة وولى عليها عبيد الله بن زياد، فاستخلف ابن زياد على خراسان أسلم بن زرعة، فلم يغزو ولم يفتح شيئا.
وفيها عزل معاوية عبد الله بن خالد بن اسيد عن الكوفة وولى عليها الضحاك بن قيس (رضى الله عنه).

### وفيات هذه السنة:

فيها توفى أرقم بن أبى الأرقم، وسحبان بن زفر بن إياس الوائلى، وسعد

بن أبى وقاص واسمه مالك بن أهيب بن عبد مناف أحد العشرة ، وأحد الستة أصحاب الشورى، وفضالة بن عبيد الأنصارى الأوسى، وقثم بن العباس بن عبد المطلب، وكان أشبه الناس برسول الله ﷺ، تولى نيابة المدينة فى أيام على، وشهد فتح سمرقند فاستشهد بها.

وكعب بن عمرو أبو اليسر الأنصارى السلمى وشهد العقبة وبدرا.

## أحداث سنة ست وخمسين

فيها غزا فى البحر يزيد بن سمرة وفى البر عياض بن الحارث، وفيها اعتمر معاوية فى رجب، وفيها ولى معاوية سعيد بن عثمان بلاد خراسان، وعزل عنها عبيد الله بن زياد. فسار سعيد إلى خراسان والتقى مع الترك عند صغد سمرقند، فقتل منهم خلقا كثيرا، واستشهد معه جماعة منهم قثم بن العباس، وفيها دعا معاوية إلى البيعة ليزيد ولده بولاية العهد، باشارة كان اشارها المغيرة بن شعبة على يزيد فأعجب ذلك معاوية ، ورده إلى عمل الكوفة بعد أن كان عزله عنها، وأمره أن يسعى فى ذلك، وكتب معاوية إلى زياد يستشيره فكره زياد ذلك بما يعلم من لعب يزيد واقباله على الصيد،

فبعث زياد إلى معاوية يثنيه عن ذلك وأرسل لذلك عبد بن كعب بن النميرى - وكان صاحبا لزياد - فسار إلى دمشق واجتمع بيزيد أولا فكلمه عن زياد وأشار عليه بأن لا يطلب ذلك، فإن تركه خير له من السعى فيه، فانزجر يزيد عما يريد من ذلك، واجتمع بأبيه واتفقا على ترك ذلك فى هذا الوقت، فلما مات زياد وكانت هذه السنة، شرع معاوية فى نظم ذلك والدعاء إليه، وعقد البيعة لولده يزيد. وكتب إلى الآفاق بذلك، فبايع الناس فى سائر الأقاليم إلا عبد

الرحمن بن أبى بكر وعبد الله بن عمرو والحسين بن على وعبد الله بن الزبير وابن عباس.

وقدم معاوية إلى مكة معتمرا، فلما اجتاز المدينة - مرجعه من مكة استدعى كل واحد من هؤلاء الخمسة فأوعده وتهدده بانفراده، فكان من أشدهم عليه ردا وأجلدهم فى الكلام ، عبد الرحمن بن أبى بكر الصديق، وكان ألينهم كلاما عبد الله بن عمر بن الخطاب، ثم خطب معاوية وهؤلاء حضور تحت منبره، وبايع الناس ليزيد وهم قعود ولم يوافقوا ولم يظهروا خلافا، لما تهددهم وتوعدهم، فاتسقت البيعة ليزيد فى سائر البلاد، ووفدت الوفود من سائر الأقاليم إلى يزيد ، فكان فيمن قدم الأحنف بن قيس، فأمره معاوية أن يحادث يزيدا، فجلسا ثم خرج الأحنف فقال له معاوية: ماذا رأيت من ابن أخيك؟

فقال : إنا نخاف الله إن كذبنا ونخافكم إن صدقنا، وأنت أعلم به فى ليله ونهاره، وسره وعلانيته، ومدخله ومخرجه ، وأنت أعلم به بما أردت وإنما علينا أن نسمع ونطيع، وعليك أن تنصح للأمة.

وقد كان معاوية لما صالح الحسن عهد للحسن بالأمر من بعده، فلما مات الحسن قوى أمر يزيد عند معاوية، ورأى أنه لذلك أهلاً، وذاك من شدة محبة الوالد لولده، ولما كان يتوسم فيه من النجابة الدنيوية، وسيما أولاد الملوك ومعرفتهم بالحروب وترتيب الملك والقيام بأبهته، وكان ظنه أن لايقوم أحد أبناء الصحابة فى هذا المعنى، ولهذا قال لعبد الله بن عمر فيما خاطبه به: إنى خفت أن أذر الرعية من بعدى، كالغنم المطيرة ليس لها راع، فقال له ابن عمر: إذا بايعه الناس كلهم بايعته ولو كان عبدا مجدع (مقطع) الأطراف.

وقد عاتب معاوية فى ولايته يزيد، سعيد بن عثمان بن عفان وطلب منه أن يوليه مكانه، وقال له سعيد فيما قال : إن أبي لم يزل معتنيا بك حتى بلغت ذروة المجد والشرف، وقد قدمت ولدك على وأنا خير منه أبا وأما ونفسا. فقال له : أما ماذكرت من إحسان أبيك إلى فإنه أمر لاينكر، وأما كون أبيك خير من أبيه فحق وأمك قرشية وأمه كلبية فهى خير منها، وأما كونك خيرا منه فوالله لو ملئت إلى الغوطة رجالا مثلك لكان يزيد أحب إلى منكم كلكم.

وقد قال معاوية فى خطبته يوما : اللهم إن كنت تعلم أنى وليته لأنه فيما أراه أهلا لذلك فاتمم له ما وليته ، وإن كنت وليته لأنى أحبه فلا تتم له ما وليته.

وذكر الحافظ ابن عساكر أن معاوية كان قد سمر ليلة فتكلم أصحابه فى المرأة التى يكون ولدها نجيباً (ذكيا) ، فذكروا صفة المرأة التى يكون ولدها نجيبا فقال معاوية، ودت لو عرفت بامرأة تكون بهذه المثابة؟ فقال أحد جلسائه: قد وجدت ذلك يا أمير المؤمنين، قال : ومن؟ قال : ابنتى يا أمير المؤمنين فتزوجها معاوية فولدت له يزيد بن معاوية فجاء نجيبا ذكيا حاذقا. ثم خطب امرأة أخرى فحظيت عنده وولدت له غلاما آخر، وهجر أم يزيد فكانت عنده فى جنب داره، فبينما هو فى النظارة، ومعه امرأته الأخرى، إذ نظرت إلى أم يزيد وهى تسرحه، فقالت امرأته: قبحها الله وقبح ما تسرح. فقال : ولم؟ فوالله إن ولدها أنجب من ولدك، وإن أحببت بينت لك ذلك، ثم استدعى ولدها فقال له : إن أمير المؤمنين قد عن له أن يطلق لك ما تتمناه عليه فاطلب منى ما شئت. فقال : أسأل أمير المؤمنين أن يطلق لى كلابا للصيد وخيلا ورجالا يكونون معى فى الصيد. فقال : قد أمرنا لك بذلك، ثم استدعى يزيد فقال له كما قال لأخيه، فقال يزيد: أويعفينى أمير المؤمنين فى هذا الوقت عن هذا؟ فقال لابد لك أن تسأل

حاجتك، فقال : أسألك ـ وأطال الله عمر أمير المؤمنين أن أكون ولى عهده من بعده، فإنه بلغنى أن عدل يوم فى الرعية كعبادة خمسمائة عام. فقال : قد أجبتك إلى ذلك، ثم قال لامرأته: كيف رأيت؟ فعلمت وتحققت فضل يزيد على ولدها.

## أحداث سنة سبع وخمسين

فيها كان مشتى عبد الله بن قيس بأرض الروم، وفيها توفى عثمان بن حنيف الأنصارى الأوسى، وهو أخو عبادة وسهل ابنى حنيف، وفى شوال من هذه السنة عزل معاوية مروان بن الحكم عن المدينة، وولى عليها الوليد بن عتبة بن أبى سفيان، وهو الذى حج بالناس فى هذه السنة.

## أحداث سنة ثمان وخمسين

فيها غزا مالك بن عبد الله الخثعمى أرض الروم، وفيها ولى معاوية الكوفة لعبد الرحمن بن عبد الله بن عثمان بن ربيعة الثقفى ابن أم الحكم وأم الحكم هى أخت معاوية، وخرجت الخوارج فى أيام ابن الحكم، وكان رئيسهم فى هذه الوقعة حيان بن ضبيان السلمى، فبعث إليهم جيشا فقتلوا الخوارج جميعا، ثم إن ابن أم الحكم أساء السيرة فى أهل الكوفة فأخرجوه من بين أظهرهم طريدا، فرجع إلى خاله معاوية فذكر له ذلك، فقال : لأولينك مصرا هو خير لك، فولاه مصر، فلما سار إليها تلقاه معاوية بن خديج على مرحلتين من مصر، فقال له: ارجع إلى خالك معاوية، فلعمرى لا ندعك تدخلها فتسير فيها وفينا سيرتك فى إخواننا أهل الكوفة، فرجع ابن أم الحكم إلى معاوية ولحقه معاوية بن خريج وافدا على معاوية، فلما دخل عليه وجد عنده أخته أم الحكم، وهى أم عبد الرحمن الذى طرده أهل الكوفة وأهل مصر، فلما رآه معاوية قال : بخ بخ

هذا معاوية بن خديج، فقالت أم الحكم، أما والله لقد تزوجت فما أكرمت، وولدت فما أنجبت، أردت أن يلي ابنك الفاسق علينا فيسير فينا كما سار فى إخواننا أهل الكوفة، فما كان الله ليريه ذلك، ولو فعل ذلك لضربناه ضربا يطاطئ منه رأسه، وإن كره ذلك الجالس - يعنى معاوية. فالتفت إليها معاوية فقال : كفى.

وهذه الحادثة تبين إلى أى مدى بلغت شجاعة الصحابة رضى الله عنهم وحلم معاوية الذى كان يحتمل هذه المواقف الشديدة المعارضة لتوجهاته وقراراته وهو ملك العرب وصاحب السلطة العليا فى البلاد.

**وفيات هذه السنة :**

فى هذا العام توفى سعيد بن العاص بن أمية الأموى، وشداد بن أوس بن ثابت، وهو ابن أخى حسان بن ثابت كان عظيم العبادة، وعبد الله بن عامر، وعبد الرحمن بن أبى بكر، وهو أكبر ولد أبى بكر الصديق وشقيق عائشة وأمه أم رومان، وعبيد الله بن عباس بن عبد المطلب، وأم المؤمنين عائشة بنت أبي بكر الصديق رضى الله عنهما.

## أحداث سنة تسع وخمسين

فى هذه السنة ولى معاوية النعمان بن بشير على الكوفة، وفيها وفد عبيد الله بن زياد على معاوية ومعه أشراف البصرة والعراق، فاستأذن لهم عبيد الله وكان آخر من أدخله على معاوية الأحنف بن قيس، ولم يكن عبيد الله يجله فلما رأى معاوية الأحنف رحب به وعظمه وأجله وأجلسه معه على السرير، (العرش) ورفع منزلته، ثم تكلم القوم فأثنوا على عبيد الله والأحنف ساكت فقال له معاوية: مالك يا أبا بحر لا تتكلم؟ فقال له: إن تكلمت خالفت القوم ، فقال معاوية:

انهضوا فقد عزلته عنكم فاطلبوا واليا ترضونه، فمكثوا أياماً يترددون إلى أشراف بنى أمية، يسألون كل واحد أن يتولى عليهم فلم يقبل أحد منهم ذلك، ثم حملهم معاوية فقال : من اخترتم؟ فاختلفوا عليه والأحنف ساكت، فقال معاوية: مالك لا تتكلم ؟ فقال : يا أمير المؤمنين إن كنت تريد غير أهل بيتك فرأيك فقال معاوية : قد أعدته إليكم.

وأوصى معاوية ابن زياد بالأحنف خيرا، وقبح رأيه فيه وفى مباعدته، فكان الأحنف بعد ذلك أخص أصحاب عبد الله.

### وفيات الأعيان فى هذه السنة:

الحطيئة الشاعر، وعبد الله بن مالك بن القشب ، وقيس بن سعد بن عبادة، ومعقل بن يسار المزنى من الذين بايعوا رسول الله ﷺ تحت الشجرة، وأبو هريرة الدوسى عبد الرحمن بن صخر رضى الله عنهم.

## أحداث سنة ستين من الهجرة النبوية

وفيها دخل جنادة بن أبى أمية جزيرة رودس، وفيها أخذ معاوية البيعة ليزيد من الوفد الذين قدموا صحبة عبيد الله بن زياد إلى دمشق، وفيها مرض معاوية مرضه الذى توفى فيه حيث دعا معاوية ابنه يزيدا فقال : يابنى إنى قد كفيتك الرحلة والرجال. ووطأت لك الأشياء، وذللت لك الأفراد، واخضعت لك أعناق العرب، وإنى لا أتخوف أن ينازعك هذا الأمر الذى أسسته إلا أربعة نفر، الحسين بن على، وعبد الله بن عمر، وعبد الله بن الزبير، فأما عبد الله بن عمر فهو رجل ثقة قد وقدته العبادة ، وإذا لم يبق أحد غيره بايعك، وأما الحسين فإن أهل العراق خلفه لا يدعونه حتى يخرجونه عليك فإن خرج فظفرت به فاصفح

عنه، فإن له رحما ماسة، وحقا عظيما. وأما ابن أبى بكر فهو رجل إن رأى أصحابه صنعوا شيئا صنع مثله، ليست له همة إلا فى النساء واللهو. وأما الذى يجثم لك جثوم الأسد، ويراوغك روغان الثعلب، وإذا أمكنته فرصة وثب، فذاك ابن الزبير، فإن هو فعلها بك فقدرت عليه فقطعه إربا إربا.

وحين حضرت معاوية الوفاة كان يزيد فى الصيد، فاستدعى معاوية الضحاك بن قيس الفهرى - وكان على شرطة دمشق - ومسلم بن عقبة فأوصى إليهما أن يبلغا يزيد السلام ويقولان له يتوصى بأهل الحجاز ، وإن سأله أهل العراق في كل يوم أن يعزل عنهم عاملا ويولي عليهم عاملا فليفعل، فعزل واحد أحب إليك من أن يُسل عليك مائة ألف سيف، وأن يتوصى بأهل الشام وأن يجعلهم أنصاره، وأن يعرف لهم حقهم.

وكان موت معاوية لاستهلال رجب من هذه السنة. وكان مدة ملكه استقلالا من جمادى سنة إحدى وأربعين حين بايعه الحسن بن علي بادرح، فذلك تسع عشرة سنة وثلاثة أشهر، وكان نائبا في الشام عشرين سنة تقريبا. وكان عمره ثلاثا وسبعين سنة، وقيل خمسا وسبعين سنة، وقيل ثمانيا وسبعين سنة، وقيل خمسا وثمانين سنة.

## قصة هند بنت عتبة

كانت هند بنت عتبة عند الفاكهة بن المغيرة المخزومى ، وكان الفاكهة من فتيان قريش، وكان له بيت للضيافة يغشاه الناس من غير إذن، فخلا ذلك البيت يوما فاضطجع الفاكهة وهند فيه فى وقت القائلة، ثم خرج الفاكهه لبعض شأنه ، وأقبل رجل ممن كان يغشاه فولج البيت فلما رأى المرأة فيه ولى هاربا، ورآه

الفاكه وهو خارج من البيت فأقبل إلي هند وهى مضطجعة فضربها برجله وقال : من هذا الذى كان عندك؟ قالت : ما رأيت أحدا ولا انتبهت حتى أنبهتنى أنت، فقال لها: الحقى بأبيك وتكلم فيها الناس ، فقال لها أبوها: يا بنية إن الناس قد أكثروا فيك القالة، فأنبئينى نبأك، فإن يكن الرجل عليك صادقا دسست إليه من يقتله فينقطع عنك القالة، وإن يكن كاذبا حاكمته إلى بعض كهان اليمن، فعند ذلك حلفت هند لأبيها بما كانوا يحلفون فى الجاهلية إنه لكاذب عليها، فقال عتبة بن ربيعة للفاكه: يا هذا إنك قد رميت ابنتى بأمر عظيم ، وعار كبير، لا يغسله الماء، وقد جعلتنا فى العرب بمكان ذلة ومنقصه، ولولا أنك منى ذو قرابة لقتلتك، ولكن سأحاكمك إلى كاهن اليمن فحاكمه إلى بعض كهان اليمن، فخرج الفاكه فى بعض جماعة من بنى مخزوم - أقاربه وخرج عتبة في جماعة من بنى عبد مناف، وخرجوا بهند ونسوة معها من أقاربهم. ثم ساروا قاصدين بلاد اليمن. فلما شارفوا بلاد الكاهن قالوا غدا نأتى الكاهن، فلما سمعت هند ذلك تنكرت حالها وتغير وجهها، وأخذت فى البكاء، فقال لها أبوها : يا بنية قد أرى مابك من تنكر الحال، وكثرة البكاء، وماذاك أراه عندك إلا لمكروه أحدثتيه، وعمل اقترفتيه، فهلا كان هذا قبل أن يشيع فى الناس ويشتهر مسيرنا؟ فقالت : والله يا أبتاه ما هذا الذى تراه منى لمكروه وقع منى، وإنى لبريئة ، ولكن هذا الذى تراه من الحزن وتغير الحال هو أنى أعلم أنكم تأتون هذا الكاهن وهو بشر يخطئ ويصيب ، وأخاف أن يخطئ فى أمرى بشئ يكون عار علىّ إلى آخر الدهر، ولا آمنه أن يسمنى ميسما تكون علىّ سبة في العرب. فقال لها أبوها : لا تخافى فإنى سوف أختبره وأمتحنته قبل أن يتكلم في شأنك وأمرك ، فإن أخطأ فيما امتحنته به لم أدعه يتكلم فى أمرك. ثم إنه انفرد عن القوم وكان راكبا مهرا-

حتى توارى عنهم خلف رابية فنزل عن فرسه ثم صفر له حتى أدلى، ثم أخذ حبة بر فأدخلها فى إحليل المهر، وأوكى عليها بسير حتى أحكم ربطها، ثم صفر له حتى اجتمع إحليله، ثم أتى القوم فظنوا أنه ذهب ليقضى حاجة له، ثم أتى الكاهن فلما قدموا عليه أكرمهم ونحر لهم، فقال له عتبة: إنا قد جئناك فى أمر، ولكن لا أدعك تتكلم فيه حتى تبين لنا ما خبأت لك، فإنى قد خبأت لك خبيئا فانظر ماهو، فأخبرنا به. قال الكاهن: ثمرة فى كمرة، قال : أريد أبين من هذا، قال : حبات بر فى إحليل مُهر، قال : صدقت فخذ لما جئناك له، وانظر فى أمر هؤلاء النسوة، فأجلس النساء خلفه وهند معهم لا يعرفها، ثم جعل يدنو من إحداهن فيضرب كتفها ويديها ويقول : انهضى، حتى دنا من هند فضرب كتفها وقال انهضى حَصَان (عفيفة) رزان، غير رسخا ولا زانية، ولتلدن ملكا يقال له معاوية. فوثب إليها الفاكه فأخذ بيدها، فنترت يدها من يده وقالت له: إليك عنى، والله لا يجمع رأسى ورأسك وسادة، والله لأحرصن أن يكون هذا الملك من غيرك، فتزوجها أبو سفيان بن حرب فجاءت منه بمعاوية.

# ترجمة معاوية ومناقبه

# وفضائله

هو معاوية بن أبى سفيان صخر بن حرب بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف بن قصى، القرشى الأموى، أبو عبد الرحمن، خال المؤمنين، وكاتب وحى رسول رب العالمين . وأمه هند بنت عتبة بن ربيعة بن عبد شمس، أسلم معاوية عام الفتح، روى عنه أنه قال : أسلمت يوم القضية ولكن كتمت إسلامى من أبى، ثم علم بذلك فقال لى : هذا أخوك يزيد وهو خير منك على دين قومه، فقلت له: لم آل نفس جهدا. قال معاوية: ولقد دخل على رسول الله ﷺ مكة في عمرة القضاء وإنى لمصدق به، ثم لما دخل عام الفتح أظهرت إسلامى فجئته فرحب بى، وكتبت بين يديه.

وشهد معاوية حنينا، وأعطاه الرسول ﷺ مائة من الإبل، وأربعين أوقية من ذهب، وزنها بلال، وشهد اليمامة، وكان أبوه من سادات قريش، وتفرد بالسؤدد وبعد يوم بدر، ثم لما أسلم حسن بعد ذلك إسلامه، وكان له مواقف شريفة، وآثار محمودة فى يوم اليرموك وما قبله وما بعده، وصحب معاوية رسول الله وكتب الوحى بين يديه مع الكُتّاب.

قال أبو بكر بن أبى الدنيا: كان معاوية طويلا أبيض جميلا. إذا ضحك انقلبت شفته العليا، وكان يخضب.

وروى أنه كان يصفر لحيته كأنها الذهب، وكان أبيض طويلا أجلح أبيض الرأس واللحية يخضبها بالحناء والكتم. وكان حليما وقورا رئيسا سيدا في الناس، كريما عدلا شهما.

ورأى بعض متفرسى العرب معاوية وهو صبى صغير، فقال : إنى لأظن هذا الغلام سيسود قومه، فقالت هند: ثكلته إن كان لايسود إلا قومه. وقال الشافعى : قال أبو هريرة : رأيت هندا بمكة كأن وجهها فلقه قمر، وخلفها من عجيزتها مثل الرجل الجالس، ومعها صبى يلعب ، فمر رجل فنظر إليه فقال : إنى لأرى غلاما إن عاش ليسودن قومه، فقالت هند: إن لم يسد إلا قومه فأماته الله ، ونظر أبو سفيان يوما إلى معاوية وهو غلام فقال لهند : إن ابنى هذا العظيم الرأس، وإنه لخليق أن يسود قومه، فقالت هند: قومه فقط، ثكلته إن لم يسد العرب قاطبة.

ولما ولى عمر يزيد بن أبى سفيان ماولاه من الشام، خرج إليه معاوية فقال أبو سفيان لهند: كيف رأيت صار ابنك تابعا لابنى؟ فقالت : إن اضطربت خيل العرب فستعلم أين يقع ابنك مما يكون فيه ابنى، فلما مات يزيد بن أبى سفيان سنة بضع عشرة، وجاء البريد إلى عمر بموته، رد عمر البريد إلى الشام بولاية معاوية مكان أخيه يزيد، ثم عزى أبا سفيان فى ابنه يزيد : فقال : يا أمير المؤمنين من وليت مكانه، قال أخاه معاوية؟ قال : وصلت رحما يا أمير المؤمنين.

وكتبت هند إلى معاوية: والله يا بنى إنه قل أن تلد امرأة مثلك ، وإن هذا الرجل قد استنهضك فى هذا الأمر، فاعمل بطاعته فيما أحببت وكرهت. وقال له أبوه : يا بنى إن هؤلاء الرهط من المهاجرين سبقونا وتأخرنا فرفعهم سبقهم وقدمهم عند الله وعند رسوله، وقعد بنا تأخيرنا فصاروا قادة وسادة، وصرنا أتباعا، وقد ولوك جسيما من أمورهم فلا تخالفهم ، فإنك تجرى إلى أمد فنافس فإن بلغته أورثته عقبك، فلم يزل معاوية نائبا على الشام فى الدولة العمرية والعثمانية مدة خلافة عثمان.

وافتتح معاوية فى سنة سبع وعشرين جزيرة قبرص وسكنها المسلمون قريبا من ستين سنة فى أيامه ومن بعده، ولم تزل الفتوحات والجهاد قائما على ساقه فى أيامه فى بلاد الروم والفرنج وغيرها، فلما كان من أمره وأمر أمير المؤمنين علىّ ماكان، لم يقع فى تلك الأيام فتح بالكلية، لا على يديه ولا على يدى على، وطمع فى معاوية ملك الروم بعد أن كان قد أخافه وأذله، وقهر جنده فلما رأى ملك الروم اشتغال معاوية بحرب على تدانى إلي بعض البلاد فى جنود عظيمة وطمع فيها، فكتب معاوية إليه: والله لئن لم تنته وترجع إلى بلادك يا لعين لاصطلحن أنا وابن عمى عليك ولأخرجنك من جميع بلادك، ولأضيقن عليك الأرض بما رحبت، (اتسعت) فعند ذلك خاف ملك الروم وانكف، وبعث يطلب الهدنة.

ثم كان من أمر التحكيم ماكان، وكذلك ما بعده إلي وقت اصطلاحه مع الحسن بن على، فانعقدت الكلمة على معاوية، وأجمعت الرعايا على بيعته فى سنة إحدى وأربعين، فلم يزل مستقلا بالأمر فى هذه المدة إلى هذه السنة التى كانت فيها وفاته، والجهاد فى بلاد العدو قائم وكلمة الله عالية. والغنائم ترد إليه من أطراف الأرض والمسلمون معه في راحة وعدل، وصفح وعفو.

روى مسلم بسنده إلى ابن عباس رضى الله عنهما قال : قال أبو سفيان: يارسول الله ثلاثا أعطينهن، قال : نعم، قال : تؤمرنى حتى أقاتل الكفار كما كنت أقاتل المسلمين قال : نعم : قال ومعاوية تجعله كاتبا بين يديك، قال : نعم وذكر الثالثة وهو أنه أراد أن يزوج رسول الله ﷺ بابنته الأخرى عزة بنت أبى سفيان، واستعان على ذلك بأختها أم حبيبة، فقال : " إن ذلك لا يحل لى".

ولما قدم عمر بن الخطاب الشام تلقاه معاوية فى موكب عظيم، فلما دنا من عمر قال له : أنت صاحب الموكب؟ قال : نعم يا أمير المؤمنين. قال : هذا مالك مع ما بلغنى من طول وقوف ذوى الحاجات ببابك؟ قال : هو ما بلغك من ذلك . قال : ولم تفعل هذا؟ لقد هممت أن آمرك بالمشى حافيا إلي بلاد الحجاز، قال يا أمير المؤمنين إن بأرض الحجاز جواسيس للعدو كثيرة، فيجب أن نظهر من عز السلطان مايكون فيه عز للإسلام وأهله ونرهبهم به، فإن أمرتنى فعلت، وإن نهيتنى انتهيت. فقال له عمر: يا معاوية ما سألتك عن شئ إلا تركتنى فى مثل رواجب الفرس، لئن كان ما قلت حقا إنه لرأى أريته ولئن كان باطلا أنه لخديعة أديت . قال : فمرنى يا أمير المؤمنين بما شئت ، قال : لا آمرك ولا أنهاك . فقال رجل : يا أمير المؤمنين ما أحسن ما صدر الفتى كما أوردته فيه؟ فقال عمر لحسن موارده ومصادره جشمناه (حملناه) ما جشمناه.

وروى ابن أبى الدنيا بسنده إلي عبد الرحمن المدنى، قال : كان عمر بن الخطاب إذا رأى معاوية قال : هذا كسرى العرب. وقال عمرو بن يحيى بن سعيد الأموى عن جده، قال : دخل معاوية على عمر وعليه حلة خضراء، فنظر إليها الصحابة، فلما رأى ذلك عمر وثب إليه بالدرة فجعل يضربه بها، وجعل معاوية يقول : يا أمير المؤمنين الله الله فىّ، فرجع عمر إلي مجلسه فقال له القوم: لم ضربته يا أمير المؤمنين؟ وما فى قومك مثله؟ فقال : والله ما رأيت إلا خيرا، وما بلغنى إلا خير، ولو بلغنى غير ذلك لكان منى إليه غير ما رأيتم، ولكن رأيته وأشار بيده فأحببت أن أضع منه ما شمخ.

وقال الإمام أحمد: حدثنا مروان بن معاوية الفزارى ثنا حبيب بن الشهيد عن أبى مجلنز قال : خرج معاوية على الناس فقاموا له فقال : سمعت رسول

الله ﷺ يقول : "من أحب أن يتمثل له الرجال قياما فليتبوأ مقعده من النار".
وكان معاوية جيد السيرة، حسن التجاوز، جميل العفو، كثير الستر، كريما معطاء سخيا.

وقال الليث بن سعد فيما يرويه ابن كثير: فتح معاوية قيسارية سنة تسع عشرة فى دولة عمر بن الخطاب. وقال غيره : وفتح قبرص فى أيام عثمان رضى الله عنه. وغزا مضيق القسطنطينية فى سنة ثنتين وثلاثين. وجمع عثمان لمعاوية جميع الشام، واستقضى معاوية فضالة بن عبيد بعد أبى الدرداء، ثم كان ماكان بينه وبين على بعد قتل عثمان، على سبيل الاجتهاد والرأى، فجرى بينهما قتال عظيم. وكان الحق والصواب مع على. وكان معاوية يغزو الروم فى كل سنة مرتين مرة فى الصيف ومرة فى الشتاء، ويأمر رجلا من قومه فيحج بالناس، وحج هو سنة خمسين، وحج ابنه يزيد سنة إحدى وخمسين.

روى ابن عساكر عن عامر الشعبى أن عليا حين بعث جرير بن عبد الله البجلى إلى معاوية قبل وقعة صفين ـ وذلك حين عزم على قصد الشام ، وجمع الجيوش لذلك وكتب معه كتابا إلى معاوية يذكر له فيه أنه قد لزمته بيعته، لأنه قد بايعه المهاجرون والأنصار، فإن لم تبايع استعنت بالله عليك وقاتلتك.

وقد أكثرت القول فى قتلة عثمان، فأدخل فيما دخل فيه الناس، ثم حاكم القوم. إنى أحملك وإياهم على كتاب الله فقرأ معاوية على الناس وقام جرير فخطب الناس، وأمر فى خطبته معاوية بالسمع والطاعة، وحذره من المخالفة والمعاندة، ونهاه عن إيقاع الفتنة بين الناس، وأن يضرب بعضهم بعضا بالسيوف. فقال معاوية: انتظر حتى آخذ رأى أهل الشام.

فلما كان بعد ذلك أمر معاوية مناديا ينادى فى الناس: الصلاة جامعة، فلما اجتمع الناس صعد المنبر فخطب فقال : " الحمد لله الذى جعل الدعائم للإسلام أركانا ، والشرائع للإيمان برهانا، يتوقد مصباحه بالسنة فى الأرض المقدسة التى جعلها الله محل الأنبياء والصالحين من عباده، فأحلها أهل الشام ورضيهم لها، ورضيها لهم، لما سبق فى مكنون علمه من طاعتهم ومناصحتهم أولياءه فيها، والقوام بأمره، الذابين (المدافعين) عن دينه وحرماته، ثم جعلهم لهذه الأمة نظاما، وفى أعلام الخير عظاما، يردع الله بهم الناكثين، ويجمع بهم الألفة بين المؤمنين، والله نستعين على إصلاح ما تشعث من أمور المسلمين، وتباعد بينهم بعد القرب والألفة، اللهم انصرنا على قوم يوقظون نائما، ويخيفون آمنا، ويريدون هراقة دمائنا ، وإخافة سبلنا، وقد يعلم الله أنا لا نريد لهم عقابا، ولا نهتك لهم حجابا، غير أن الله الحميد كسانا من الكرامة ثوبا لن ننزعه طوعا ماجاوب الصدى، وسقط الندى، وعرف الهدى، وقد علمنا أن الذي حملهم على خلافنا البغى والحسد لنا، فالله نستعين عليهم. أيها الناس : قد علمتم أنى خليفة أمير المؤمنين عمر بن الخطاب، وأنى خليفة أمير المؤمنين عثمان عليكم، وأنى لم أقم رجلا منكم على خزائنه قط، وإنى وليّ عثمان وابن عمه، قال الله تعالى فى كتابه:

﴿ وَمَن قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَلِيِّهِ سُلْطَانًا فَلا يُسْرِف فِّي الْقَتْلِ إِنَّهُ كَانَ مَنصُورًا (٣٣) ﴾ [الإسراء]، وقد علمتم أنه قتل مظلوما، وأنا أحب أن تعلمونى ذات أنفسكم فى قتل عثمان.

فقال أهل الشام بأجمعهم: بل نطلب بدمه، فأجابوه إلي ذلك وبايعوه، ووثقوا له أن يبذلوا فى ذلك أنفسهم وأموالهم، أو يدركوا بثأره، أو يفنى الله

أرواحهم قبل ذلك، فلما رأى جرير من طاعة أهل الشام لمعاوية ما رأى، أفزعه ذلك، وعجب منه.

وقال معاوية لجرير: إن ولانى على الشام ومصر بايعته على أن لا يكون لأحد بعده على بيعة، فقال : اكتب إلى على بما شئت، وأنا أكتب معك، فلما بلغ عليا الكتاب قال : هذه خديعة. وقد سألنى المغيرة بن شعبة أن أولى معاوية الشام وأنا بالمدينة فأبيت ذلك : ﴿وَمَا كُنتُ مُتَّخِذَ الْمُضِلِّينَ عَضُدًا (٥١)﴾ [الكهف]، ثم كتب إلى جرير بالقدوم عليه، فما قدم إلا وقد اجتمعت العساكر إلى على، وكتب معاوية إلى عمرو بن العاص - وكان معتزلا بفلسطين ، فكتب إليه معاوية يستعديه ليستشيره فى أموره فركب إليه فاجتمعا على حرب على.

وقد ورد من غير وجه أن أبا مسلم الخولانى وجماعة معه دخلوا على معاوية فقالوا له : أنت تنازع عليا أم أنت مثله؟ فقال : والله إنى لأعلم أنه خير منى وأفضل ، وأحق بالأمر منى، ولكن ألستم تعلمون أن عثمان قتل مظلوما، وأنا ابن عمه، وأنا أطلب بدمه وأمره لى؟ فقولوا له : فليسلم إلى قتلة عثمان وأنا أسلم له أمره.

فأتوا عليا فكلموه فى ذلك فلم يدفع إليهم أحدا، فعند ذلك صمم أهل الشام على القتال مع معاوية.

وعن عمرو بن شمر عن جابر الجعفي عن عامر الشعبى وأبى جعفر الباقر. قال : بعث على رجلا إلى دمشق ينذرهم أن عليا قد نهد فى أهل العراق إليكم ليستعلم طاعتكم لمعاوية ، فلما قدم أمر معاوية فنودى فى الناس: الصلاة جامعة، فملأوا المسجد ثم صعد المنبر فقال فى خطبته: إن عليا قد نهد إليكم فى

أهل العراق فما الرأى؟ فضرب كل منهم على صدره، ولم يتكلم أحد منهم، ولا رفعوا إليه أبصارهم، وقام ذو الكلاع فقال :

يا أمير المؤمنين عليك الرأى وعلينا الفعال، ثم نادى معاوية في الناس : أن اخرجوا إلى معسكركم فى ثلاث ، فمن تخلف بعدها فقد أحل بنفسه، فاجتمعوا كلهم، فركب ذلك الرجل إلى على فأخبره، فأمر على مناديا فنادى : الصلاة جامعة، فاجتمعوا فصعد المنبر فقال إن معاوية قد جمع الناس لحربكم، فما الرأى؟

فقال كل فريق منهم مقالة، واختلط كلام بعضهم في بعض، فلم يدر على مما قالوا شيئا، فنزل عن المنبر وهو يقول : إنا لله وإنا إليه راجعون، ذهب والله بها ابن آكلة الأكباد (١)، ثم كان من أمر الفريقين بصفين ما كان فى سنة ست وثلاثين.

وروى عن الحسن البصرى أنه كان ينقم على معاوية أربعة أشياء قتاله عليا، وقتله حجر بن عدى، واستلحاقه زياد بن أبيه، ومبايعته ليزيد ابنه.

وقال جرير بن عبد الحميد عن مغيرة. قال : لما جاء خبر قتل على إلى معاوية جعل يبكى، فقالت له امرأته: أتبكيه وقد قاتلته؟ فقال : ويحك إنك لا تدرين مافقد الناس من الفضل والفقه والعلم. وكان مقتل على رضى الله عنه سنة أربعين فى شهر رمضان، وكانت البيعة لمعاوية بإيليا فى رمضان فى نفس العام حين بلغ أهل الشام مقتل على بن أبى طالب، ودخل معاوية الكوفة بعد مصالحة

---

(١) يشير إلى أكل هند لكبد حمزة بن عبد المطلب فى غزوة أحد حيث لاكتها بأسنانها بعد استشاده رضى الله عنه .

الحسن له فى شهر ربيع الأول سنة إحدى وأربعين وهو عام الجماعة، وذلك بمكان يقال له أدرج، وقيل بمسكن من أرض سواد العراق من ناحية الأنبار، فاستقل معاوية بالأمر إلى أن مات سنة ستين.

وكان نقش خاتم معاوية : لكل عمل ثواب ، وقيل بل كان : لا قوة إلا بالله. وروى ابن عساكر بسنده إلى الأسود بن يزيد قال : قلت لعائشة : ألا تعجبين لرجل من الطلقاء ينازع أصحاب رسول الله ﷺ فى الخلافة؟ فقالت : وما تعجب من ذلك ؟ هو سلطان الله يؤتيه البر والفاجر، وقد ملك فرعون أهل مصر أربعمائة سنة، وكذلك غيره من الكفار.

وقوله الطلقاء يشير إلى قوله ﷺ لأهل مكة لما فتحها وقال لأهلها ما تظنون أنى فاعل بكم ؟ قالوا : أخ كريم وابن أخ كريم . قال : اذهبوا فانتم الطلقاء وقوله :

ينازع أصحاب رسول الله ﷺ يعنى السابقين لأن معاوية من الصحابة غير أن إسلامه قد تأخر هو وأبوه أبو سفيان.

وقال الزهرى : حدثنى القاسم بن محمد أن معاوية حين قدم المدينة يريد الحج دخل علي عائشة فكلمها طالبين لم يشهد كلامهما أحد إلا ذكوان أبو عمرو مولى عائشة، فقالت عائشة : أمنت أن أخبأ لك رجلا يقتلك بقتلك أخى محمدا؟ فقال : صدقت، فلما قضى معاوية كلامه معها تشهدت عائشة ثم ذكرت ما بعث الله به نبيه ﷺ من الهدى ودين الحق، والذى سن الخلفاء بعده، وحضت معاوية على العدل واتباع أثرهم، فقالت فى ذلك فلم تترك له عذرا، فلما قضت مقالتها قال لها معاوية: أنت والله العالمة بأمر رسول الله ﷺ الناصحة

الشفقة البليغة الموعظة، حضت على الخير، وأمر به، ولم تأمرينا إلا بالذى هو لنا مصلحة ، وأنت أهل أن تطاعى.

وتكلمت هى ومعاوية كلاما كثيرا، فلما قام معاوية اتكأ على ذكوان وقال: والله ما سمعت خطيبا ليس رسول الله ﷺ أبلغ من عائشة.

وروى ابن سعد بسنده إلى أم بن أبى علقمة. قالت : قدم معاوية بن أبى سفيان المدينة فأرسل إلى عائشة: أن أرسلى بأنبجانية رسول الله ﷺ وشعره، فأرسلت به معى أحمله، حتى دخلت به عليه ، فأخذ الأنبجانية فلبسها، وأخذ شعره فدعا بماء فغسله وشرب وأفاض على جلده.

وروى الأصمعى عن الهذلى عن الشعبى قال : لما قدم معاوية المدينة عام الجماعة تلقته رجال من وجوه قريش فقالوا : الحمد لله الذى أعز نصرك، وأعلا أمرك. فما رد عليهم جوابا حتى دخل المدينة، فقصد المسجد وعلا المنبر فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : أما بعد : فإنى والله ما وليت أمركم حين وليته وأنا أعلم أنكم لا تسرون بولايتى ولا تحبونها، وإنى لعالم بما فى نفوسكم من ذلك، ولكنى خالستكم (استلبتكم) بسيفى مخالسة، ولقد رمت نفسى على عمل أبن أبي قحافة فلم أجدها تقوم بذلك ولا تقدر عليه، وأردتها على عمل ابن الخطاب فكانت أشد نفورا وأعظم هربا من ذلك، وحاولتها على مثل سنيات عثمان فأبت على وأين مثل هؤلاء؟ ومن يقدر على أعمالهم؟ هيهات أن يدرك فضلهم أحد ممن بعدهم؟ رحمة الله ورضوانه عليهم، غير أنى سلكت بها طريقا لى فيه منفعة ، ولكم فيه مثل ذلك. ولكم فيه مواكلة حسنة ومشاربة جميلة، ما استقامت السيرة وحسنت الطاعة، فإن لم تجدونى خيركم فأنا خير لكم، والله لا أحمل السيف على من لاسيف معه أو سهما تقدم مما قد علمتموه فقد جعلته دبر أذنى، وإن

لم تجدونى أقوم بحقكم كله فارضوا منى ببعضه، فإنها بقابية قوبها (بيضة انفلقت عن فرخ) ، وإن السيل إذا جاء يبرى، وإن قل أغنى ، وإياكم والفتنة فلا تهموا بها، فإنها تفسد المعيشة، وتكف النعمة، وتورث الاستيصال. استغفر الله لى ولكم، استغفروا الله. ثم نزل.

وقال الليث : حدثنى علوان بن صالح بن كيسان أن معاوية قدم المدينة أول حجة حجها بعد اجتماع الناس عليه فلقيه الحسن والحسين ورجال من قريش ، فتوجه إلى دار عثمان ابن عفان، فلما دنا إلى باب الدار صاحت عائشة بنت عثمان وندبت أباها، فقال معاوية لمن معه : انصرفوا إلى منازلكم فإن لى حاجة فى هذه الدار، فانصرفوا ودخل فسكن عائشة بنت عثمان، وأمرها بالكف وقال لها : يا بنت أخى إن الناس أعطونا سلطاننا فأظهرنا لهم حلما تحته غضب، وأظهروا لنا طاعة تحتها حقد، فبعنا هذا بهذا، وباعونا هذا بهذا، فإن أعطيناهم غير ما اشتروا منا شحوا علينا بحقنا وغمطناهم بحقهم، ومع كل إنسان منهم شيعته ، وهو يرى مكان شيعته، فإن نكثناهم نكثوا بنا، ثم لا ندرى أتكون لنا الدائرة أم علينا وأن تكونى ابنة عثمان أمير المؤمنين أحب إلى أن تكونى أمة من إماء المسلمين، ونعم الخلف أنا لك بعد أبيك.

وقال أبو زرعة عن دحيم عن الوليد عن سعيد بن عبد العزيز. قال : لما قتل عثمان لم يكن للناس غازية تغزو ، حتى كان عام الجماعة فأغزا معاوية أرض الروم ست عشرة غزوة ، تذهب سرية فى الصيف ويشتوا بأرض الروم، ثم تقفل وتعقبها أخرى، وكان فى جملة من أغزى ابنه يزيد ومعه خلق من الصحابة فجاز بهم الخليج، وقاتلوا أهل القسطنينية علي بابها، ثم قفل بهم راجعا إلى الشام، وكان آخر ما أوصى به معاوية أن قال : شد خناق الروم.

وروى أيضا عن دحيم عن الوليد عن الأوزاعى قال : أدركت خلافة معاوية عدة من اصحابة منهم أسامة وسعد وجابر وابن عمر وزيد بن ثابت وسلمة بن مخلد وأبى سعيد ورافع بن خديج وأبو أمامة وأنس بن مالك ، ورجال أكثروا وأطيب ممن سمعنا بأضعاف مضاعفة كانوا مصابيح الهدى ، وأوعية العلم، حضروا من الكتاب تنزيله، ومن الدين جديده، وعرفوا من الإسلام مالم يعرفه غيرهم، وأخذوا عن رسول الله ﷺ تأويل القرآن. ومن التابعين له بإحسان ماشاء الله. منهم المسور بن مخرمة وعبد الرحمن بن الأسود بن عبد يغوث وسعيد بن المسيب ، وعبد الله بن محيريز، وفى أشباه لهم لم ينزعوا يدا من جماعة فى أمة محمد ﷺ.

**وروى عبد الرزاق : حدثنا ملحم عن الزهرى عن حميد بن عبد الرحمن ثنا المسور بن مخرمة أنه وفد على معاوية. قال : فلما دخلت عليه ـ حسبت أنه قال سلمت عليه. فقال : ما فعل طعنك على الأئمة يامسور؟ قال قلت : ارفضنا من هذا وأحسن فيما قدمنا له، فقال : لتكلمنى بذات نفسك ، قال : فلم أوع شيئا أعيبه عليه إلا أخبرته به، فقال : لا تبرأ من الذنوب، فهل لك من ذنوب تخاف أن تهلكك إن لم يغفر الله لك؟ قال : قلت : نعم ! إن لى ذنوبا إن لى ذنوبا إن لم يغفرها هلكت بسببها،**

قال : فما الذى يجعلك أحق بأن ترجو أنت المغفرة منى، فوالله لما إلى من إصلاح الرعايا وإقامة الحدود والإصلاح بين الناس والجهاد فى سبيل الله والأمور العظام التى لا يحصيها إلا الله ولا تحصيها أكثر مما تذكر من العيوب والذنوب ، وإنى لعلى دين يقبل الله فيه الحسنات ويعفو عن السيئات، والله على ذلك ما كنت لأخير بين الله وغيره إلا اخترت الله على غيره مما سواه ، قال :

ففكرت حين قال لي ما قال فعرفت أنه قد خصمني  قال : فكان المسور إذا ذكره بعد ذلك دعا له بخير

وقد رواه شعيب عن الزهري عن عمروة عن المسور بنحوه.

وقال ابن دريد عن أبي حاتم عن العتبي قال : قال معاوية : يا أيها الناس أما أنا بخيركم وأن منكم لمن هو خير مني، عبد الله بن عمر، وعبد الله بن عمرو، وغيرهما من الأفاضل ، ولكن عسى أن أكون أنفعكم ولاية، وأنكاكم في عدوكم. وأدركم جلياً.

وقال هشام بن عمار خطيب دمشق : حدثنا عمرو بن واقد ثنا يونس بن حلبس . قال : سمعت معاوية على منبر دمشق يوم جمعة يقول : أيها الناس اعقلوا قولي، فلن تجدوا أعلم بأمور الدنيا والآخرة مني، أقيموا وجوهكم وصفوفكم في الصلاة أو ليخالفن الله بين قلوبكم، خذوا على أيدي سفهائكم أو ليسلطن الله عليكم عدوكم فليسومنكم سوء العذاب. تصدقوا ولا يقولن الرجل إني مقل، فإن صدقة المقل أفضل من صدقة الغني، إياكم وقذف المحصنات، وأن يقول الرجل : سمعت وبلغني ، فلو قذف أحدكم امرأة على عهد نوح لسئل عنها يوم القيامة.

وقال أبو داود الطيالسي: حدثنا يزيد بن طهمان الرقاشي ثنا محمد بن سيرين. قال : كان معاوية إذا حدث عن رسول الله ﷺ لم يُتهم أ.هـ . وكان معاوية يبعث رجلا يقال له أبو الجيش في كل يوم فيدور على المجالس يسأل هل ولد لأحد مولود؟ أو قدم أحد من الوفود؟ فإذا أخبر بذلك أثبت في الديوان - يعني ليجري عليه الرزق وقال الأعمش عن مجاهد : لو رأيتم معاوية لقلتم هذا المهدي.

وقال عبد الملك بن مروان يوما وذكر معاوية فقال : ما رأيت مثله في حلمه واحتماله وكرمه. وقال قبيصة بن جابر: ما رأيت أحدا أعظم حلما ولا أكثر سؤددا ولا أبعد أناة ولا ألين مخرجا، ولا أرحب باعا بالمعروف من معاوية.

وقال بعضهم: أسمع رجل معاوية كلاما سيئا شديدا، فقيل له لو سطوت عليه؟ فقال : إنى لأستحى من الله أن يضيق حلمى عن ذنب أحد من رعيتى.

وقال له رجل : ما أحلمك يا أمير المؤمنين؟ فقال : إنى لأستحى أن يكون جرم أحد أعظم من حلمى.

وقال الأصمعى عن الثورى : قال : قال معاوية: إنى لأستحى أن يكون ذنب أعظم من عفوى، أو جهل أكبر من حلمى، أو تكون عورة لا أواريها بسترى.

ويروى بين رجل يقال له أبو الجهم وبين معاوية كلام فتكلم أبو الجهم بكلام فيه غمز لمعاوية ، فأطرق معاوية. ثم رفع رأسه فقال : يا أبا الجهم إياك والسلطان فإنه يغضب غضب الصبيان، ويأخذ أخذ الأسد، وإن قليل يغلب كثير الناس.

وقال الأعمش : طاف الحسن بن على مع معاوية فكان معاوية يمشى بين يديه، فقال الحسن : ما أشبه أليتية بأليتى هند؟! فالتفت إليه معاوية فقال : أما إن ذلك كان يعجب أبا سفيان.

وقال ابن أخته عبد الرحمن بن أم الحكم له : إن فلانا يشتمنى، فقال له :

طأطئ لها فتمر فتجاوزك.

وقال معاوية : يا بنى أمية فارقوا قريشا بالحلم، فوالله لقد كنت ألقى الرجل فى الجاهلية فيوسعنى شتما وأوسعه حلما، فأرجع وهو لى صديق، إن استنجدته أنجدنى ، وأثور به فيثور معى، وما وضع الحلم عن شريف شرفه ولا زاده إلا كرما.

وقال : لا يبلغ الرجل مبلغ الرأى حتى يغلب حلمه جهله، وصبره شهوته، ولا يبلغ الرجل ذلك إلا بقوة الحلم.

وكتب معاوية إلي نائبه زياد: أنه لا ينبغى أن يسوس الناس سياسة واحدة باللين فيمرجوا، ولا بالشدة فيحمل الناس علي المهالك، ولكن كن أنت للشدة والفظاظة والغلظة ، وأنا للين والألفة والرحمة، حتى إذا خاف خائف وجد بابا يدخل منه.

وقال أبو مسهر عن سعيد بن عبد العزيز" قال : قضى معاوية عن عائشة أم المؤمنين ثمانية عشر ألف دينار، وما كان عليها من الدين الذى كانت تعطيه الناس وقال عطاء : بعث معاوية إلي أم المؤمنين عائشة ، وهى بمكة بطوق قيمته مائة ألف فقبلته. وقال هشام بن عروة عن أبيه. قال: بعث معاوية إلي أم المؤمنين عائشة بمائة ألف ففرقتها من يومها فلم يبق منها درهم، فقالت لها خادمتها: هلا أبقيت لنا درهما نشترى به لحما تفطرى عليه؟ فقالت: لو ذكرتنى لفعلت. وعن عبد الله بن بريدة. قال : قدم الحسن بن على على معاوية فقال له : لأجيزنك بجائزة لم يجزها أحد كان قبلى ، فأعطاه أربعمائة ألف ألف (أربعمائة مليون). ووفد إليه مرة الحسن والحسين فأجازهما على الفور بمائتى ألف، وقال لهما : ما أجاز بهما أحد قبلي ، فقال له الحسين: ولم تعط أحدا أفضل منا. وروى ابن أبي الدنيا حدثنا يوسف بن موسى ثنا جرير عن مغيرة:

قال : أرسل الحسن بن على وعبد الله ابن جعفر إلي معاوية يسألانه المال فبعث إليهما - أو إلى كل منهما - بمائة ألف. فبلغ ذلك عليا فقال لهما : ألا تستحيان؟ رجل نطعن فى عينه غدوة وعشية تسألانه المال؟ فقالا: بل حرمتنا أنت وجاد هو لنا.

وروى الأصمعى قال : وفد الحسن وعبد الله بن الزبير على معاوية فقال للحسن: مرحبا وأهلا بابن رسول الله، وأمر له بثلامائة ألف، وقال لابن الزبير: مرحبا وأهلا بابن عمة رسول الله ، وأمر له بمائة ألف. وقال أبو مروان الروالى: بعث معاوية إلي الحسن بن على بمائة ألف فقسمها على جلسائه، وكانوا عشرة، فأصاب كل واحد عشرة آلاف. وبعث إلي عبد الله بن جعفر بمائة ألف فاستوهبتها منه امرأته فاطمة فأطلقها لها، وبعث إلى مروان بن الحكم بمائة ألف فقسم منها خمسين ألف وحبس خمسين ألفا، وبعث إلي ابن عمر بمائة ألف ففرق منها تسعين واستبقى عشرة آلاف، فقال معاوية : إنه لمقتصد يحب الاقتصاد.

وبعث إلي عبد الله بن الزبير بمائة ألف فقال للرسول : لم جئت بها بالنهار؟ هلا جئت بها بالليل؟ ثم حبسها عنده ولم يعط منها أحدا شيئا، فقال معاوية : إنه لخب ضب، كأنك به قد رفع ذنبه وقطع حبله.

وقال ابن وأب: كان لعبد الله بن جعفر على معاوية في كل سنة ألف ألف ، ويقضى له معها مائة حاجة، فقدم عليه عاما فأعطاه المال وقضى له الحاجات، وبقيت منها واحدة، فبينما هو عنده إذ قدم أصبصهند سجستان أن يطلب من معاوية أن يملكه على تلك البلاء، ووعد من قضى له هذه الحاجة من ماله ألف ألف فطاف على رؤوس الأشهاد والأمراء وأهل الشام وأمراء العراق، ممن قدم

مع الأحنف بن قيس، فكلهم يقولون : عليك بعبد الله بن جعفر ، فقصده الدهقان فكلم فيه ابن جعفر معاوية فقضى حاجته تكملة المائة حاجة ، وأمر الكاتب فكتب له عهده ، وخرج به ابن جعفر إلى الدهقان فسجد له وحمل إليه ألف ألف درهم، فقال له ابن جعفر: اسجد لله واحمل مالك إلي منزلك، فإنا أهل بيت لا نبيع المعروف بثمن. فبلغ ذلك معاوية فقال : لأن يكون يزيد قالها أحب إلي من خراج العراق، أبت بنو هاشم إلا كرما.

وكان لعبد الله بن جعفر على معاوية في كل سنة ألف ألف، فاجتمع عليه فى بعض الأوقات دين خمسمائة ألف فألح عليه غرماؤه فاستنظرهم حتى يقدم على معاوية فيسأله أن يسلفه شيئا من العطاء، فركب إليه فقال له : ما أقدمك يا بن جعفر؟ فقال : دين ألح على غرمائه، فقال : وكم هو؟ قال : خمسمائة ألف فقضاها عنه وقال له: إن الألف ألف ستأتيك فى وقتها. والسبب في كثرة ديون عبد الله بن جعفر هى كثرة صدقاته وشدة كرمه حيث كان لايرد سائلا ويعطى العطاء الجزيل الذى يبلغ عشرات ومئات الألوف.

وأعطى معاوية لابن عباس ألف ألف. وقال ابن السماك قال معاوية : كل الناس أستطيع أن أرضيه إلا حاسد نعمة فإنه لا يرضيه إلا زوالها.

وقال مغيرة عن الشعبى : أول من خطب جالساً معاوية حين كثر شحمه وعظم بطنه.

وقالت قتادة عن سعيد بن المسيب : أول من أذن وأقام يوم الفطر معاوية.

وعن الزهرى : أولعن ورث المسلم من الكافر معاوية، وقضي بذلك بنو أمية بعده.

وقال ابن وهب عن مالك عن الزهرى قال : سألت سعيد بن المسيب عن أصحاب رسول الله ﷺ فقال لى : اسمع يا زهرى ، من مات محبا لأبي بكر وعمر وعثمان وعلى ، وشهد للعشرة بالجنة، وترحم على معاوية، كان حقا على الله أن لا يناقشه الحساب.

وسئل المعافى بن عمران أيهما أفضل ؟ معاوية أو عمر بن عبد العزيز؟ فغضب وقال للسائل : أتجعل رجلا من الصحابة مثل رجل من التابعين؟ معاوية صاحبه وصهره وكاتبه وأمينه على وحى الله. وقد قال رسول الله ﷺ : "دعوا لى أصحابى وأصهارى، فمن سبهم فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين".

وعن إبراهيم بن ميسرة قال : ما رأيت عمر بن عبد العزيز ضرب إنسانا قط إلا إنسانا شتم معاوية، فإنه ضربه اسواطا.

وقال بعض السلف : بينما أنا على جبل بالشام إذ سمعت هاتفا يقول : من أبغض الصديق فذاك زنديق، ومن أبغض عمر فإلي جهنم زمرا، ومن أبغض عثمان فذاك خصيمه الرحمن، ومن أبغض عليا فذلك خصيمه النبى، ومن أبغض معاوية سحبته الزبانية إلى جهنم الحامية، يرمى به فى الحامية الهاوية.

وقال بعضهم : رأيت رسول الله ﷺ وعنده أبو بكر وعمر وعثمان وعلى ومعاوية، إذ جاء رجل فقال عمر : يا رسول الله هذا يتنقصنا، فكأنه انتهره رسول الله ﷺ فقال : يارسول الله إنى لا أانتقص هؤلاء ولكن هذا - يعنى معاوية - فقال : ويلك ! أو ليس هو من أصحابى ؟ قالها ثلاثا ، ثم أخذ رسول الله ﷺ حربة فناولها معاوية فقال جابها فى لبته، فضربه بها وانتبهت فبكرت إلى منزلى فإذا ذلك الرجل قد أصابته الذبحة من الليل ومات وهو راشد الكندى.

وروى ابن عساكر عن الفضل بن عياض أنه كان يقول : معاوية من الصحابة، من العلماء الكبار، ولكن ابتلى بحب الدنيا. وقال العتبي : قيل لمعاوية أسرع إيك الشيب؟ فقال: كيف لا ولا أزال أرى رجلا من العرب قائما على رأسي يلقح لى كلاما يلزمني جوابه، فإن أصبت لم أحمد، وإن أخطأت سارت بها البرود.

وروى ابن عساكر عن خديج الخصى مولى معاوية قال : اشترى معاوية جارية بيضاء جميلة فأدخلها عليه مجردة، وبيده قضيب ، فجعل يهوى به إلي متاعها - يعنى فرجها - ويقول : هذا المتاع لو كان متاع ، اذهب بها إلي يزيد بن معاوية، ثم قال : لا ! ادع لى ربيعة بن عمرو الجرشى - وكان فقيها - فلما دخل عليه قال : إن هذه أتيت بها مجردة فرأيت منها ذاك وذاك، وإنى أردت أن أبعث بها إلى يزيد قال : لا تفعل يا أمير المؤمنين ! فإنها لا تصلح له ، فقال : نعم ما رأيت، قال : ثم وهبها لعبد الله بن مسعدة الفزارى مولى فاطمة بنت رسول الله ﷺ ، وكان أسود فقال له : بيض بها ولدك، وهذا من فقه معاوية وتحريه. حيث كان نظر إليها بشهوة ، ولكنه استضعف نفسه عنها، فتحرج أن يهبها من ولده يزيد لقوله تعالى :

﴿ وَلَا تَنكِحُوا مَا نَكَحَ آبَاؤُكُم مِّنَ النِّسَاءِ (٢٢) ﴾[النساء].

وذكر ابن جرير أن عمرو بن العاص قدم فى وفد أهل مصر إلى معاوية، فقال لهم فى الطريق: إذا دخلتم على معاوية فلا تسلموا عليه بالخلافة فإنه لا يحب ذلك، فلما دخل عليه عمرو قبلهم، قال معاوية لحاجبه: ادخلهم ، وأوعز إليه أن يخوفهم قبل الدخول ويرعبهم ، وقال : إنى لأظن عمرا قد تقدم إليهم فى

شيء؟ فلما أدخلوهم عليه ـ وقد أهانوهم جعل أحدهم إذا دخل يقول : السلام عليك يا رسول الله ، فلما نهض عمرو من عنده قال : قبحكم الله ! نهيتكم عن أن تسلموا عليه بالخلافة فسلمتم عليه بالنبوة.

وذكر أن رجلا سأل معاوية أن يساعده فى بناء داره باثنى عشر ألف جذع من الخشب. فقال له معاوية: أين دارك ؟ قال بالبصرة، قال : وكم اتساعها؟ قال : فرسخان فى فرسخين، قال : لا تقل دارى بالبصرة، ولكن قل : البصرة فى دارى.

ودخل رجل بابن له إلى معاوية فجلسا على سماط (مائدة) معاوية فجعل ولده يأكل أكلا ذريعا، فجعل معاوية يلاحظه، وجعل أبوه يريد أن ينهاه عن ذلك فلا يفطن، فلما خرجا لامه أبوه وقطعه عن الدخول، فقال معاوية : أين ابنك التلقامة؟ قال : اشتكى (مرض) . قال : قد علمت أن أكله سيورثه داء.

وقال معاوية : أفضل الناس من إذا أعطى شكر، وإذا ابتلى صبر ، وإذا غضب كظم، وإذا قدر غفر، وإذا أوعد أنجز، وإذا أساء استغفر.

وروى ابن أبى الدنيا بسنده إلى ثمامة بن كلثوم أن آخر خطبة خطبها معاوية أن قال : أيها الناس : إن من ذرع قد استحصد، وإنى قد وليتكم ولن يليكم أحد بعدى خير منى ، وإنما يليكم من هو شر منى، كما كان من وليكم قبلى خيرا منى، ويايزيد إذا دنا أجلى فول غسلى رجلا لبيبا، فإن للبيب من الله بمكان ، فليعمم الغسل وليجهر بالتكبير، ثم أعمد إلى قنديل فى الخزانة فيه ثوب من ثياب رسول الله ﷺ وقراضة من شعره وأظفاره، فاستودع القراضة أنفى وفمى، وأذنى وعينى ، واجعل ذلك الثوب مما يلى جلدى دون حفرتى فخلوا معاوية وأرحم الراحمين.

## احتضار معاوية رضى الله عنه:

لما احتضر معاوية أوصى بنصف ماله أن يرد إلى بيت المال - وذكروا أنه فى آخر عمره اشتد به البرد، فاتخذ له ثوبا من حواصل الطير، ثم ثقل عليه بعد ذلك، فقال : تبا لك من دار، ملكتك أربعين سنة ، عشرين أميرا وعشرين خليفة ثم هذا حالى فيك، ومصيرى منك، تبا للدنيا ولمحبيها.

ولما ثقل معاوية وتحدث الناس بموته قال لأهله: احشوا عينى إثمدا، وأوسعوا رأسى دهنا، ففعلوا وغرقوا وجهه بالدهن، ثم مهد له مجلس وقال : اسندونى، ثم قال : إئذنوا للناس فليسلموا على قياما ولا يجلس أحد، فجعل الرجل يدخل فيسلم قائما فيراه مكتحلا متدهنا فيقول يتقول الناس إن أمير المؤمنين لما به وهو أصح الناس. فلما خرجوا من عنده قال معاوية :

وتجلدى للشـــامتين أريهـــم ... أنى لريب الدهر لا اتضعضع

إذا المنية أنشـــبت أظفـــارها ... ألفيت كل تميمـــة لا تنفـــع

وكان به النقابة - يعنى لوقة - فمات من يومه ذلك رحمه الله.

ولما نزل بمعاوية الموت قال : يا ليتنى كنت رجلا من قريش بذى طوى ، ولم أل من هذا الأمر شيئا.

وقال محمد بن سيرين: جعل معاوية لما احتضر يضع خدا على الأرض ثم يقلب وجهه ويضع الخد الآخر ويبكى ويقول : اللهم إنك قلت فى كتابك : ﴿ إِنَّ اللَّهَ لا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَن يَشَاءُ وَمَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدِ افْتَرَىٰ إِثْمًا عَظِيمًا (٤٨) ﴾ [النساء]. اللهم فاجعلنى فيمن تشاء أن تغفر له.

ثم قال : اللهم أقل العثرة، وأعف عن الزلة، وتجاوز بحلمك عن جهل من لم يرج غيرك، فإنك واسع المغفرة ، ليس لذى خطيئة من خطيئته مهرب إلا إليك.

## نعى معاوية :

لما مات معاوية صعد الضحاك بن قيس المنبر فخطب الناس - وأكفان معاوية على يديه - فقال بعد حمد الله والثناء عليه : إن معاوية الذى كان سُور العرب وعونهم وجدهم، قطع الله به الفتنة ، وملكه على العباد، وفتح به البلاد، ألا إنه قد مات وهذه أكفانه ، فنحن مدرجوه فيها ومدخلوه قبره ومخلون بينه وبين عمله، ثم هو البرزخ إلى يوم القيامة ، فمن كان منكم يريد أن يشهده فليحضر عند الأولى، ثم نزل وبعث البريد إلى يزيد بن معاوية يعلمه ويستحثه على المجئ.

ودفن بدار الإمارة وهى الخضراء وقيل بمقابر باب الصغير، وعليه الجمهور. وصلى عليه الضحاك بن قيس، ثم ركب فى جيش وخرج ليتلقى يزيد بن معاوية - وكان يزيد بحوارين - فلما وصلوا إلى ثنية العقاب تلقتهم أثقال يزيد، وإذا يزيد راكب على بختى وعليه الحزن ظاهر، فسلم الناس عليه بالإمارة وعزوه فى أبيه ، وهو يخفض صوته فى ردهم عليهم ، والناس صامتون لا يتكلم معه إلا الضحاك بن قيس، فانتهى إلى باب توما، فظن الناس أنه يدخل منه إلى المدينة، فأجازه مع المسور حتى انتهى إلى قبر أبيه ثم دخل وصلى عليه بعد مادفن ثم انفتل، فلما خرج من المقبرة أتى بمراكب الخلافة فركب.

ثم دخل البلد وأمر فنودى فى الناس إن الصلاة جامعة، ودخل الخضراء، فاغتسل ولبس ثيابا حسنة ثم خرج فخطب الناس أول خطبة وهو أمير المؤمنين، فقال بعد حمد الله والثناء عليه:

أيها الناس : إن معاوية كان عبدا من عبيد الله ، أنعم الله عليه ثم قبضه إليه، وهو خير ممن بعده ودون من قبله ولا أزكيه على الله عز وجل فإنه أعلم به، إن عفى عنه فرحمته، وإن عاقبه فبذنبه، وقد وليت الأمر بن بعده، ولست آسى على طالب، ولا أعتذر من تفريط، وإذا أراد الله شيئا كان. وقال لهم فى خطبته هذه : وإن معاوية كان يُغزيكم فى البحر، وإنى لست حاملا أحدا من المسلمين فى البحر. وإن معاوية كان يشتيكم بأرض الروم ولست مشتيا أحدا بأرض الروم، وأن معاوية كان يخرج لكم العطاء أثلاثا وأنا أجمعه لكم كله. قال : فافترق الناس وهم لا يفضلون عليه أحدا.

## أزواج معاوية
## وأولاده

كان له عبد الرحمن وبه كان يكنى، وعبد الله، وكان ضعيف العقل، وأمهما فاخته بنت قرظة بن عمرو بن نوفل بن عبد مناف، وقد تزوج بأختها منفردة عنها بعد ، وهى كندة بنت قرظة وهى التى كانت معه حين افتتح قبرص، وتزوج نائلة بنت عمارة الكلبية فأعجبته وقال لميسون بنت بجدل: ادخلى فانظرى إلى ابنة عمك، فدخلت فسألها عنها فقالت : إنها لكاملة الجمال، ولكن رأيت تحت سرتها خالا إنى لأرى هذه يقتل زوجها ويوضع رأسه فى حجرها. فطلقها وتزوجها بعده حبيب بن سلمة الفهرى، ثم خلف عليها بعده النعمان بن بشير فقتل ووضع رأسه فى حجرها.

ومن أشهر أولاده يزيد وأمه ميسون بنت بجدل ابن أنيف بن دلجة بن قنافة الكلبى، وهى التى دخلت على نائلة فأخبرت معاوية عنها بما أخبرته، وكانت

حازمة عظيمة الشأن جمالا ورياسة وعقلا ودينا ، دخل عليها معاوية يوما ومعه خادم خصى فاستترت منه وقالت : ما هذا الرجل معك؟ فقال : إنه خصى فاظهرى عليه، فقالت : ما كانت المثلة لتحل له ما حرم الله عليه، وحجبته عنها .

وذكر ابن جرير أن ميسون هذه ولدت لمعاوية بنتا أخرى يقال لها : أمة رب المشارق، ماتت صغيرة، ورملة تزوجها عمرو بن عثمان بن عفان، وهند بنت معاوية تزوجها عبد الله بن عامر، فلما أدخلت عليه بالخضراء جوار الجامع أرادها على نفسها فتمنعت عليه وأبت أشد الإباء ، فضربها فصرخت ، فلما سمع الجوارى صوتها صرخن وعلت أصواتهن، فسمع معاوية فنهض إليهن فاستعلمهن ما الخبر؟ فقلن: سمعنا صوت سيدتنا فصحنا، فدخل فإذا بها تبكى من ضربه، فقال لابن عامر: ويحك !! مثل هذه تضرب فى مثل هذه الليلة؟ ثم قال له: اخرج من هاهنا، فخرج ابن عامر وخلا بها معاوية فقال لها : يابنت إنه زوجك الذى أحله الله لك.

ثم خرج معاوية من عندها وقال لزوجها: ادخل فقد مهدت لك خلقها ووطأته. فدخل ابن عامر فوجدها قد طابت أخلاقها فقضى حاجته فيها .

وكان على قضاء معاوية أبو الدرداء بولاية عمر بن الخطاب، فلما حضره الموت أشار على معاوية بتولية فضالة بن عبيد، ثم مات فضاله فولى أبا ادريس الخولانى. وكان على حرسه رجل من الموالى يقال له المختار وقيل مالك ويكنى أبا الخازن، مولى لحمير ـ وكان معاوية أول من اتخذ الحرس، وعلى حجابته سعد مولاه وعلى الشرطة قيس بن حمزة، ثم زميل بن عمرو العذرى ثم الضحاك بن قيس الفهرى.

## وفيات هذه السنة سنة ستين:

توفى فى هذه السنة صفوان بن المعطل ابن رخصة بن المؤمل بن خزاعى أبو عمرو ، وأول مشاهده المريسيع، وكان فى الساقة (المؤخرة) يومئذ، وهو الذى رماه أهل الإفك بأم المؤمنين فبرأه الله وإياها مما قالوا، وكان من سادات المسلمين ، وكان ينام نوما شديدا حتى كان ربما طلعت عليه الشمس وهو نائم لا يستيقظ، فقال له رسول الله ﷺ : "إذا استيقظت فصل، وقد قتل صفوان شهيدا .

وأبو مسلم الخولانى : عبد بن ثوب الخولانى من خولان ببلاد اليمن دعاه الأسود العنسى إلى أن يشهد أنه رسول الله فقال له : أتشهد أنى رسول الله؟ فقال لا أسمع، أشهد أن محمدا رسول الله، فأجج له نارا وألقاه فيها فلم تضره، وأنجاه الله منها فكان يشبه بإبراهيم الخليل، ثم هاجر فوجد رسول الله ﷺ قد مات ، فقدم على الصديق فأجلسه بينه وبين عمر وقال له عمر: الحمد لله الذى لم يمتنى حتى أرى فى أمة محمد من فعل به كما فعل بإبراهيم الخليل، وقبله بين عينيه، وكانت له أحوال ومكاشفات رضى الله عنه.

# يزيد بن معاوية بن أبى سفيان

وبويع يزيد بن معاوية ، فكانت أيامه ثلاث سنين وثمانية أشهر إلا ثمانى ليال، وأخذ يزيد لابنه معاوية بن يزيد البيعة على الناس قبل موته.

وهلك يزيد بحوارين من أرض دمشق لسبع عشرة ليلة خلت من صفر سنة أربع وستين، وهو ابن ثلاث وثلاثين سنة.

# مقتل الحسين بن على بن أبى طالب

# رضى الله عنه

ولما مات معاوية أرسل أهل الكوفة إلى الحسين بن على : إنا قد حبسنا أنفسنا على بيعتك، ونحن دونك، ولسنا نحضر جمعة ولا جماعة بسببك.

وطولب الحسين بالبيعة يزيد بالمدينة فسام التأخير.

ولحق بمكة، فأرسل بابن عمه مسلم بن عقيل إلى الكوفة، وقال له سر إلى أهل الكوفة ، فإن كان حقا ما كتبوا به عرفنى حتى ألحق بك، لخمس خلون من شوال، والأمير عليها النعمان بن بشير الأنصارى، فنزل على رجل يقال له عوسجة مستتراً، فلما ذاع خبر قدومه بايعه من أهل الكوفة اثنا عشر ألف رجل، وقيل : ثمانية عشر ألفاً، فكتب بالخبر إلى الحسين ، وسأله القدوم إليه، فلما هم الحسين بالخروج إلى العراق أتاه ابن العباس ، فقال له : يا ابن عم، قد بلغنى أنك تريد العراق، وإنهم أهل غدر، وإنما يدعونك للحرب، فلا تعجل، وإن أبيت إلا محاربة هذا الجبار وكرهت المقام بمكة فاشخص إلى اليمن، فإنها فى عُزلة، ولك فيهاأنصار وإخوان، فاقم بها وبُث دعاتك، واكتب إلى أهل الكوفة وأنصارك بالعراق فيخرجوا أميرهم، فإن قووْا على ذلك ونفوه عنها، ولم يكن بها أحد يعاديك أتيتهم، وما أنا لغدرهم بآمن، وإن لم يفعلوا أقمت بمكانك إلى أن يأتى الله بأمره، فإن فيها حصوناً وشعابا، فقال الحسين : يا ابن عم، إنى لأعلم أنك لى ناصح وعلى شفيق، ولكن مسلم بن عقيل كتب إلى باجتماع أهل المصر على بيعتى ونُصرتى، وقد أجمعتُ على المسير إليهم ، قال : إنك لو قد خرجت فبلغ ابن زياد خروجك استنفرهم إليك، وكان الذين كتبوا إليك أشد من عدوك،

فإن عصيتنى وأبيت إلا الخروج إلى الكوفة فلا تخرجن نساءك وولدك معك، فوالله إنى لخائف أن تقتل كما قتل عثمان ونساؤه وولده ينظرون إليه، فكان الذى رد عليه: لأن أقتل والله بمكان كذا أحب إلى من أن استحل بمكة، فيئس ابن عباس منه، وخرج من عنده، فمر بعبد الله بن الزبير، فقال: قرت عينك يا ابن الزبير.

هذا حسين يخرج إلى العراق ويخليك والحجاز.

وبلغ ابن الزبير أنه يريد الخروج إلى الكوفة وهو أثقل الناس عليه، قد غمه مكانه بمكة، لأن الناس ما كانوا يعدلونه بالحسين، فلم يكن شىء يُوتاه أحب إليه من شخوص الحسين عن مكة، فأتاه فقال : أبا عبد الله ما عندك، فوالله لقد خفت الله فى ترك جهاد هؤلاء القوم على ظلمهم واستذلالهم الصالحين من عباد الله، فقال حسين: قد عزمت على إتيان الكوفة، فقال : وفقك الله !! أما لو أن لى بها مثل أنصارك ماعدلت عنها، ثم خاف أن يتهمه فقال : ولو أقمت بمكانك فدعوتنا وأهل الحجاز إلى بيعتك أجبناك وكنا إليك سراعا، وكنت أحق بذلك من يزيد وأبى يزيد.

ودخل أبو بكر بن الحارث بن هشام على الحسين فقال : يا ابن عم، إن الرحم يُظائرنى عليك، ولاأدرى كيف أنا فى النصيحة لك ، فقال : يا أبا بكر ما أنت ممن يُستغشن ولايتهم، فقل، فقال أبو بكر: كان أبوك أقدم سابقة، وأحسن فى الإسلام أثراً، وأشد بأسا، والناس له أرجى، ومنه أسمع وعليه أجمع، فسار إلى معاوية والناس مجتمعون عليه إلا أهل الشام وهو أعز منه، فخذلوه، وتثاقلوا عنه، حرصاً على الدنيا، وضناً بها، فجرعوه الغيظ، وخالفوه حتى صار إلى ما صار إليه من كرامة الله ورضوانه، ثم سعوا بأخيك بعد أبيك ما صنعوا، وقد

شهدت ذلك ورأيته، ثم أنت تريد أن تسير إلى الذين عدوا على أبيك وأخيك تقاتل بهم أهل الشام وأهل العراق ومن هو أعد منك وأقوى، والناس منه أخوف، وله أرجى، فلو بلغهم مسيرك إليهم لاستطغوا الناس بالأموال، وهم عبيد الدنيا، فيقاتلك من وعدك أن ينصرك، ويخذلك من أنت أحب إليه ممن ينصره، فاذكر الله فى نفسك، فقال الحسين: جزاك الله خيراً يا ابن عم، فقد أجهدك رأيك، ومهما يقض الله يكن، فقال : إنا لله وعند الله نحتسب يا أبا عبد الله، ثم دخل على الحارث بن خالد بن العاص بن هشام المخزومى وإلى مكة.

فقال : وماذاك ؟ فأخبره بما قال للحسين، فقال : نصحت له ورب الكعبة.

واتصل الخبر بيزيد، فكتب إلى عبيد الله بن زياد بتولية الكوفة، فخرج من البصرة مسرعًا حتى قدم الكوفة على الظهر، فدخلها فى أهله وحشمه وعليه عمامة سوداء قد تلثم بها، وهو راكب بغلة والناس يتوقعون قدوم الحسين فجعل ابن زياد يسلم على الناس فيقولون: وعليك السلام يا ابن رسول الله ! قدمت خير مقدم، حتى انتهى إلى القصر وفيه النعمان بن بشير، فتحصن فيه، ثم أشرف عليه، فقال : يا ابن رسول الله مالى ولك؟ وما حملك على قصد بلدى من بين البلدان؟ فقال ابن زياد: لقد طال نومك يا نعيم، وحسراللثام عن فيه، فعرفه، ففتح له، وتنادى الناس : ابن مرجانة، وحصبوه بالحصباء (رموه بالحجارة) ، ففاتهم ودخل القصر، ولما اتصل خبر ابن زياد بمسلم تحول إلى هانىء بن عروة المرادى، ووضع ابن زياد الرصد على مسلم حتى علم بموضعه، فوجه محمد بن الأشعث بن قيس إلى هانىء، فجاءه فسأله عن مسلم، فأنكره، فأغلظ له ابن زياد القول، فقال هانىء: إن لزياد أبيك عندى بلاء حسنًا، وأنا أحب مكافأته به، فهل لك فى خير؟ قال ابن زياد: وماهو ؟ قال : تشخص إلى أهل الشام أنت وأهل

بيتك سالمين بأموالكم، فإنه قد جاء حق من هو أحق من حقك وحق صاحبك، فقال ابن زياد: أدنوه منى، فأدنوه منه، فضرب وجهه بقضيب كان فى يده حتى كسر أنفه وشق حاجبه، ونثر لحم وجنته، وكسر القضيب على وجهه ورأسه، وضرب هانىء بيده إلى قائم سيف شرطى من تلك الشرط، فجاذبه الرجل، ومنعه السيف، وصاح أصحاب هانىء بالباب: قتل صاحبنا. فخافهم ابن زياد، وأمر بحبسه فى بيت إلى جانب مجلسه، وأخرج إليهم ابن زياد شريحاً القاضى، فشهد عندهم أنه حى لم يقتل، فانصرفوا، ولما بلغ مسلماً ما فعل ابن زياد بهانىء، أمر منادياً فنادى "يامنصور" وكانت شعارهم، فتنادى أهل الكوفة بها، فاجتمع إليه فى وقت واحد ثمانية عشر ألف رجل، فسار إلى ابن زياد، فتحصن منه، فحصروه فى القصر فلم يُمس مسلم ومعه غير مائة رجل، فلما نظر إلى الناس يتفرقون عنه سار نحو أبواب كندة، فما بلغ الباب إلا ومعه منهم ثلاثة، ثم خرج من الباب فإذا ليس معه منهم أحد، فبقى حائرا لا يدرى أين يذهب، ولا يجد أحداً يدله على الطريق، فنزل عن فرسه ومشى متلدداً فى أزقة الكوفة لا يدرى أين يتوجه، حتى انتهى إلى باب مولاة للأشعث بن قيس، فاستسقاها ماء فسقته، ثم سألته عن حاله، فأعلمها بقضيته، فرقت له وآوته، وجاء ابنها فعلم بموضعه، فلما أصبح غدا إلى محمد بن الأشعث فأعلمه، فمضى ابن الأشعث إلى ابن زياد فأعلمه، فقال: انطلق فأتنى به، ووجه معه عبد الله بن العباس السلمى فى سبعين رجلا، فاقتحموا على مسلم الدار، فثار عليهم بسيفه، وشد عليهم فأخرجهم من الدار، ثم حملوا عليه الثانية، فشد عليهم وأخرجهم أيضاً، فلما رأوا ذلك علوا ظهر البيوت فرموه بالحجارة، وجعلوا يلهبون النار بأطراف القصب، ثم يلقونها عليه من فوق البيت، فلما رأى ذلك قال:

أكل ما أرى من الأحلاب لقتل مسلم بن عقيل؟ يا نفس اخرجي إلى الموت الذي ليس عنه محيص، فخرج إليهم مُصلتا سيفه إلى السكة، فقاتلهم، واختلف هو وبكير بن حمران الأحمرى ضربتين: فضرب بكير فم مسلم فقطع السيف شفته العليا وشرع فى السفلى، وضربه مسلم ضربة منكرة فى رأسه، ثم ضربه أخرى على حبل العاتق فكاد يصل إلى جوفه.

فلما رأوا ذلك منه تقدم إليه محمد بن الأشعث فقال له : فإنك لا تكذب ولا تغر، وأعطاه الأمان، فأمكنهم من نفسه، وحملوه على بغلة وأتوا به ابن زياد، وقد سلبه ابن الأشعث حين أعطاه الأمان سيفه وسلاحه.

فلما صار مسلم إلى باب القصر نظر إلى قُلة مبردة، فاستسقاهم منها، فمنعهم مسلم بن عمرو الباهلى - وهو أبو قتيبة بن مسلم - أن يسقوه، فوجه عمرو بن حريث فأتاه بماء فى قدح، فلما رفعه إلى فيه امتلأ القدح دما، فصبه وملأه له الثانية، فلما رفعه إلى فيه سقطت ثناياه فيه وامتلأ دمًا، فقال : الحمد لله، لو كان من الرزق المقسوم لشربته، ثم أدخل إلى ابن زياد، فلما انقضى كلامه ومسلم يُغلظ له فى الجواب أمر به فأصعد إلى أعلى القصر، ثم دعا الأحمريَّ الذى ضربه مسلم، فقال : كن أنت الذى تضرب عنقه لتأخذ بثأرك من ضربته، فأصعدوه إلى أعلى القصر، فضرب بكير الأحمرى عنقه، فأهوى رأسه إلى الأرض، ثم أتبعوا رأسه جسده، ثم أمر بهانىء بن عروة فأخرج إلى السوق، فضرب عنقه صبراً، وهو يصيح : يا آل مراد، وهو شيخها وزعيمها، وهو يومئذ يركب فى أربعة آلاف دارع وثمانية آلاف راجل، وإذا أجابتها أحلافها من كندة وغيرها كان فى ثلاثين ألف دارع، فلم يجد زعيمهم منهم أحداً فشلاً وخذلاناً.

ثم دعا ابن زياد ببكير بن حمدان الذى ضرب عنق مسلم فقال : أقتلته؟ قال : نعم، قال : فما كان يقول وأنتم تصعدون به لتقتلوه؟ قال : كان يكبر ويسبح الله ويهلل ويستغفر الله، فلما أدنيناه لنضرب عُنقه قال : اللهم احكم بيننا وبين قوم غرونا وكذبونا ثم خذلونا وقتلونا، فقلت : الحمد لله الذى أقادنى منك، وضربته ضربة لم تعمل شيئًا، فقال لى : أو ما يكفيك وفى خدش منى وفاء بدمك أيها العبد، قال ابن زياد: أوفخراً عند الموت؟ قال : وضربته الثانية فقتلته، ثم أتبعنا رأسه جسده.

وكان ظهور مسلم بالكوفة يوم الثلاثاء لثمان ليال مضين من ذى الحجة سنة ستين، وهو اليوم الذى ارتحل فيه الحسين من مكة إلى الكوفة، وقيل : يوم الأربعاء يوم عرفة لتسع مضين من ذى الحجة سنة ستين.

ثم أمر ابن زياد بجثة مسلم فصلبت، وحمل رأسه إلى دمشق، وهذا أول قتيل صلبت جثته من بنى هاشم، وأول رأس حمل من رءوسهم إلى دمشق.

فلما بلغ الحسين القادسية لقيه الحر بن يزيد التميمى فقال له: أين تريد يا ابن رسول الله ؟ قال : أريد هذا المصر، فعرفه بقتل مسلم وما كان من خبره، ثم قال : أرجع فإنى لم أدع خلفى خيراً أرجوه لك ، فهم بالرجوع فقال له إخوة مسلم: والله لا نرجع حتى نصيب بثأرنا أو نقتل كلنا، فقال الحسين : لا خير فى الحياة بعدكم، ثم سار حتى لقى خيل عبيد الله بن زياد عليها عمر بن سعد بن أبى وقاص ، فعدل إلى كربلاء - وهو فى مقدار خمسمائة فارس من أهل بيته وأصحابه ونحو مائة راجل - فلما كثرت العساكر على الحسين أيقن أنه لا محيص (لا مهرب) له ، فقال : اللهم احكم بيننا وبين قوم دعونا لينصرونا

ثم هم يقتلوننا، فلم يزل يقاتل حتى قتل رضوان الله عليه، وكان الذى تولى قتله رجل من مذحج واحتز رأسه، وانطلق به إلى ابن زياد.

فبعث به ابن زياد إلى يزيد بن معاوية ومعه الرأس، فدخل إلى يزيد وعنده أبو برزه الأسلمي، فوضع الرأس بين يديه، فاقبل ينكت القضيب . فيه ويقول :

نفلق هاما من رجـال أحبـة　　علينا وهم كانوا أعق وأظلما

فقال له أبو برزة : ارفع قضيبك فطال والله ما رأيت رسول الله ﷺ يضع فمه على فمه يلثمه، وكان جميع من حضر مقتل الحسين من العساكر وحاربه وتولى قتله من أهل الكوفة خاصة، لم يحضرهم شامي، وكان جميع من قتل مع الحسين فى يوم عاشوراء بكربلاء سبعة وثمانين، منهم ابنه على بن الحسين الأكبر.

وقتل من ولد أخيه الحسن بن على : عبدُ الله بن الحسن، والقاسم بن الحسن، وأبو بكر بن الحسن، ومن إخوته: عباس بن على ، وعبد الله بن على ، وجعفر بن على ، وعثمان بن على ، ومحمد بن على و ومن ولد جعفر بن أبى طالب : محمد بن عبد الله بن جعفر، وعون بن عبد الله بن جعفر، ومن ولد عقيل بن أبى طالب : عبد الله بن عقيل، وعبد الله بن مسلم بن عقيل، وذلك لعشر خلون من المحرم سنة إحدى وستين.

وقتل الحسين وهو ابن خمس وخمسين سنة، وقيل : ابن تسع وخمسين سنة ، وقيل غير ذلك. ووجد بالحسين يوم قتل ثلاث وثلاثون طعنة، وأربع وثلاثون ضربة، ضرب زرعة بن شريك التميمى كفه اليسرى، وطعنه سنان بن أنس النخعي، ثم نزل فاحتز رأسه.

وقتل معه من الأنصار أربعة، وباقى من قتل معه من أصحابه من سائر العرب. وأمر عمر بن سعد أصحابه أن يُوطئوا خيلهم الحسين، فانتدب لذلك إسحاق بن حيوة الحضرمى فى نفر معه، فوطئوه بخيلهم، ودفن أهل العاضرية - وهم قوم من بنى عاضر من بنى أسد - الحسين وأصحابه بعد قتلهم بيوم، وكان عدة من قتل من أصحاب عمر بن سعد فى حرب الحسين عليه السلام ثمانية وثمانين رجلا.

## أسماء ولد على بن أبى طالب

## رضى الله عنه!

الحسن، والحسين ، ومُحسن، وأم كلثوم الكبرى، وزينب الكبرى، أمهم فاطمة الزهراء بنت رسول الله ﷺ ، ومحمد وأمه خولة بنت إياس الحنفية، وقيل: ابنة جعفر بن قيس بن مسلمة الحنفى، وعبيد الله، وأبو بكر أمهما ليلى بنت مسعود النهشلى، وعمر، ورقية أمهما تغلبية، ويحيى وأمه أسماء بنت عُميس الخثعمية، وكان جعفر الطيار استشهد وخلف عليها عونا ومحمداً وعبد الله، وأن عقب جعفر منها من عبد الله بن جعفر، وأن أبا بكر الصديق تزوجها بعده، وخلف عليها محمداً، ثم تزوجها على فخلف عليها يحيى، وهى ابنة العجوز الحرشية التى كانت أكرم الناس أصهاراً، وأصهار العجوز الحرشية، أولهم رسول الله ﷺ ، وجعفر، والعباس، وعبد الله أمهم أم البنين بنت حرام الوحيدية، ورملة وأم الحسن أمهما أم سعيد بنت عروة ابن مسعود الثقفى، وأم كلثوم الصغرى، وزينب الصغرى، وجُمانة، وميمونة، وخديجة، وفاطمة، وأم الكرام، ونفيسة، وأم سلمة، وأم أبيها.

والعقب لعلى من خمسة: الحسن، والحسين، ومحمد، وعمر ، والعباس، وقد استقصى أنسابهم، وأتى على ذكر من لا عقب له منهم ومن له العقب، وأنساب غيرهم من قريش من بنى هاشم، وغيرهم: الزبيرُ بن بكار فى كتابه فى "أنساب قريش" وأحسن من هذا الكتاب فى أنساب آل أبى طالب الكتابُ الذى سمع من طاهر بن يحيى العلوى الحسينى بمدينة النبى ﷺ ، وقد صنف فى أنساب آل أبى طالب كتب كثيرة: منها كتاب العباس من ولد العباس بن على ، وكتاب أبى على الجعفرى، وكتاب المهلوس العلوى من ولد موسى بن جعفر بن محمد بن على بن الحسين بن على ابن أبى طالب رضى الله عنه.

## أخبار يزيد

ولما أفضى الأمر إلى يزيد بن معاوية دخل منزله، فلم يظهر للناس ثلاثًا، فاجتمع ببابه أشرافُ العرب ووفود البلدان وأمراء الأجناد لتعزيته بأبيه وتهنئته بالأمر، فلما كان فى اليوم الرابع خرج أشعث أغبر فصعد المنبر، فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال : إن معاوية كان حبلا من حبال الله مده الله ما شاء أن يمده، ثم قطعه حين شاء أن يقطعه، وكان دون من كان قبله، وخير من بعده، إن يغفر الله لهو فهو أهله، وإن يعذبه فبذنبه، وقد وليتُ الأمر بعده، ولست أعتذر من جهل، ولا أشتغل بطلب علم، فعلي رسلكم فإن الله لو أراد شيئًا كان، اذكروا الله واستغفروه، ثم نزل، ودخل منزله ، ثم أذن للناس.

فدخلوا عليه لايدرون أيهنئونه أم يعزونه، فقام عاصم بن أبى صيفى، فقال : السلام عليك يا أمير المؤمنين ورحمة الله وبركاته، أصبحت قد رزئت (المصيبة) خليفة الله وأعطيت خلافة الله، ومنحت هبة الله، قضى معاوية نحبه، فغفر الله له

ذنبه، وأعطيت بعده الرياسة، فاحتسب عند الله أعظم الرزية، وأحمده على أفضل العطية، فقال يزيد: ادن منى يا ابن أبي صيفى، فدنا حتى جلس قريباً منه.

ثم قام عبد الله بن مازن فقال : السلام عليك يا أمير المؤمنين، رزئت خير الآباء، وسميت خير الأسماء، ومنحت أفضل الأشياء، فهنأك الله بالعطية، وأعانك على الرعية، فقد أصبحت قريش مفجوعة بفقد سائسها مسرورة بما أحسن الله إليها من الخلافة بك، والعُقبى من بعده.

فقال له يزيد: اذن منى يا ابن مازن، فدنا حتى جلس قريباً منه.

ثم قام عبد الله بن همام فقال : آجرك الله يا أمير المؤمنين على الرزية، وصبرك على المصيبة، وبارك لك فى العطية، ومنحك محبة الرعية، مضى معاوية لسبيله غفر الله له، وأورده موارد السرور، ووفقك بعده لصالح الأمور، فقد رزئت جليلا، وأعطيت جزيلا، جئت بعده للرياسة، ووليت السياسة، أصبت بأعظم المصائب، ومنحت أفضل الرغائب، فاحتسب عند الله أعظم الرزية، وأشكره على أفضل العطية، وأحدث لخالقك حمداً، والله يمتعنا بك ويحفظك، ويحفظ بك وعليك.

ثم قام الناس يعزونه ويهنئونه بالخلافة، فلما ارتفع عن مجلسه أمر لكل واحد منهم بمال على مقداره فى نفسه، ومحله فى قومه، وزاد فى عطائهم، ورفع مراتبهم.

وذكر عدة من الأخباريين أهل السير أن عبد الملك بن مروان دخل على يزيد، فقال : أربضة (أرض) لك إلى جانب أرض لى، ولى فيها سعة، فاقطعنيها، فقال : يا عبد الملك، إنه لا يتعاظمنى كبير، ولا أجزع من صغير، فأخبرنى عنها وإلا سألت غيرك، فقال: ما بالحجاز أعظم منها قدراً، قال : قد أقطعتك، فشكره

عبدالملك ودعا له، فلما ولي قال يزيد: إن الناس يزعمون أن هذا يصير خليفة، فإن صدقوا فقد صانعناه، وإن كذبوا فقد وصلناه.

وكان يزيد صاحب طرب وجوارح وكلاب وقرود وفهود ومنادمة على الشراب، وجلس ذات يوم على شرابه، وعن يمينه ابن زياد، وذلك بعد قتل الحسين.

ثم أمر المغنيين فغنوا به.

وغلب على أصحاب يزيد وعماله ما كان يفعله من الفسوق، وفي أيامه ظهر الغناء بمكة والمدينة، واستعملت الملاهي، وأظهر الناس شرب الشراب، وكان له قرد يكنى بأبي قيس يحضره مجلس منادمته، ويطرح له متكأ، وكان قرداً خبيثاً وكان يحمله على أتان (أنثى الحمار) وحشية قد ربضت وذللت لذلك بسرج ولجام ويسابق بها الخيل يوم الحلبة، فجاء في بعض الأيام سابقًا، فتناول القصبة ودخل الحجرة قبل الخيل، وعلى أبي قيس قباء من الحرير الأحمر والأصفر مشمر، وعلى رأسه قلنسوة من الحرير ذات ألوان بشقائق، وعلى الأتان سرج من الحرير الأحمر منقوش ملمع بأنوا ع من الألوان.

ولما قتل الحسين بن علي رضي الله عنهما بكربلاء وحمل رأسه ابن زياد إلي يزيد خرجت بنت عقيل بن أبي طالب في نساء من قومها حواسر حائرات، لما قد ورد عليهن من قتل السادات.

ولما شمل الناس جور يزيد وعماله ، وعمهم ظلمه، وما ظهر من فسقه : من قتله ابن بنت رسول الله ﷺ وأنصاره، وما أظهر من شرب الخمور، أخرج أهل المدينة عامله عليهم - وهو عثمان ابن محمد بن أبي سفيان ومروان بن

الحكم، وسائر بنى أمية، وذلك عند تنسك ابن الزبير وتألهه، وإظهار الدعوة لنفسه، وذلك فى سنة ثلاث وستين، وكان إخراجهم عن إذن ابن الزبير، فاغتنمها مروان منهم، إذ لم يقبضوا عليهم ويحملوهم إلى ابن الزبير، فحثوا السير نحو الشام، ونمى فعل أهل المدينة ببنى أمية وعامل يزيد إلى يزيد، فسير إليهم بالجيوش من أهل الشام عليهم مسلم بن عقبة المرى الذى أخاف المدينة ونهبها، وقتل أهلها، وبايعه أهلها على أنهم عبيد ليزيد، وسماها نتنة، وقد سماها رسول الله ﷺ طيبة، وقال : "من أخاف المدينة أخافه الله" فسمى مسلم هذا لعنه الله بمجرم ومسرف، لما كان من فعله.

ولما انتهى الجيش من المدينة إلى الموضع المعروف بالحرة وعليهم مُسرف خرج إلى حربه أهلها عليهم عبد الله بن مطيع العدوى وعبد الله بن حنظلة الغسيل الأنصارى، وكانت وقعة عظيمة قتل فيها خلق كثير من الناس من بنى هاشم وسائر قريش والأنصار وغيرهم من سائر الناس، فممن قتل من آل أبى طالب اثنان: عبد الله بن جعفر بن أبى طالب، وجعفر بن محمد بن على بن أبى طالب، ومن بنى هاشم من غير آل أبى طالب: الفضل بن العباس بن ربيعة بن الحارث بن عبد المطلب، وحمزة بن عبد الله بن نوفل ابن الحارث بن عبد المطلب، والعباس بن عُتبة بن أبى لهب بن عبد المطلب، وبضع وتسعون رجلا من سائر قريش ، ومثلهم من الأنصار، وأربعة آلاف من سائر الناس ممن أدركه الإحصاء، دون من لم يعرف.

وبايع الناس على أنهم عبيد ليزيد، ومن أبي ذلك أمره مُسرف على السيف، غير على بن الحسين بن على بن أبى طالب السجاد، وعلى بن عبد الله بن العباس بن عبد المطلب.

ونظر الناس إلي على بن الحسين السجاد، وهو يدعو، فأتى به إلى مُسرف وهو مغناظ عليه، فتبرأ منه ومن آبائه، فلما رآه وقد أشرف عليه ارتعد، وقام له، وأقعده إلى جانبه، وقال له : سلنى حوائجك، فلم يسأله فى أحد ممن قُدم إلى السيف إلا شفعه فيه، ثم انصرف عنه، فقيل لعلى: رأيناك تحرك شفتيك، فما الذى قلت ؟ قال : قلت : اللهم رب السموات السبع وما أظللن، والأرضين اسبع وما أقللن، رب العرش العظيم، رب محمد وآله الطاهرين، أعوذ بك من شره، وأدرأ بك فى نحره، أسألك أن تؤتينى خيره، وتكفينى شره، وقيل لمسلم: رأيناك تسب هذا الغلام وسلفه، فلما أتى به إليك رفعت منزلته، فقال : ما كان ذلك لرأى منى، لقد ملىء قلبى منه رعباً.

وأما على بن عبد الله بن العباس فإن أخواله من كندة منعوه منه، وأناس من ربيعة كانوا فى جيشه.

ولما نزل بأهل المدينة ما وصفنا من القتل والنهب والرق والسبى وغير ذلك من مُسرف خرج عنها يريد مكة فى جيوشه من أهل الشام، ليوقع بابن الزبير وأهل مكة، بأمر يزيد، وذلك فى سنة أربع وستين.

فلما انتهى إلى الموضع المعروف بقديد مات مُسرف لعنه الله واستخلف علي الجيش الحصينُ بن نمير، فسار الحصين حتى أتى مكة وأحاط بها، وعاذ ابن الزبير بالبيت الحرام، وكان قد سمى نفسه العائذ بالبيت، وشهر بهذا حتى ذكرته الشعراء فى أشعارها.

ونصب الحصينُ فيمن معه من أهل الشام المجانيق والعرادات على مكة والمسجد من الجبال والفجاج، وابنُ الزبير فى المسجد، ومعه المختار بن أبى

عُبيد الثقفى داخلا فى جملته، منضافًا إلى بيعته، منقادًا إلى إمامته، على شرائط شرطها عليه لا يخالف له رأيًا، ولا يعصى له أمراً، فتواردت أحجار المجانيق والعرادات على البيت، ورمى مع الأحجار بالنار والنفط ومشاقات الكتان وغير ذلك من المحرقات، وانهدمت الكعبة، واحترقت البنية، ووقعت صاعقة فأحرقت من أصحاب المجانيق أحَدَ عَشَرَ رجلاً، وقيل : أكثر من ذلك وذلك يوم السبت لثلاث خلون من شهر ربيع الأول من السنة المذكورة، قبل وفاة يزيد بأحد عشر يومًا، واشتد الأمر على أهل مكة وابن الزبير، واتصل الأذى بالأحجار والناروالسيف.

وليزيد وغيره أخبار عجيبة، ومثالب كثيرة: من شرب الخمر، وقتل ابن بنت الرسول، وهدم البيت وإحراقه، وسفك الدماء، والفسق والفجور، وغير ذلك مما قد ورد فيه الوعيد.

## أيام معاوية بن يزيد بن معاوية، ومروان بن الحكم والمختار بن أبى عبيد، وعبد الله بن الزبير

قال المسعودى: وملك معاوية بن يزيد بن معاوية بعد أبيه، فكانت أيامه أربعين يومًا إلى أن مات، وقيل : شهرين، وقيل غير ذلك، وكان يكنى بأبى يزيد، وكنى حين ولى الخلافة بأبى ليلى، وكانت هذه الكنية للمستضعف من العرب.

ولما حضرته الوفاة اجتمعت إليه بنو أمية فقالوا له: اعهد إلى من رأيت من أهل بيتك، فقال : والله ما ذُقت حلاوة خلافتكم فكيف أتقلد وزرها؟ وتتعجلون أنتم حلاوتها، وأتعجل مرارتها، اللهم إنى برىء منها مُتخل عنها، اللهم إنى لا أجد نفراً كأهل الشورى فأجعلها إليهم ينصبون لها من يرونه أهلا لها، فقالت له

أمه: ليت أنى خرقة حيضة ولم أسمع منك هذا الكلام، فقال لها: وليتنى يا أماه خرقة حيض ولم أتقلد هذا الأمر، أتفوز بنو أمية بحلاوتها وأبوء بوزرها ومنعها أهلها؟ كلا! إنى لبرىء منها.

وقد تنوزع فى سبب وفاته، فمنهم من رأى أنه سقى شربة، ومنهم من رأى أنه مات حتف أنفه، ومنهم من رأى أنه طعن، وقبض وهو ابن اثنتين وعشرين سنة، ودُفن بدمشق، وصلى عليه الوليد بن عتبة بن أبى سفيان، ليكون الأمر له من بعده، فلما كبر الثانية طعن فسقط ميتًا قبل تمام الصلاة، فقدم عثمان بن عتبة بن أبى سفيان، فقالوا: نبايعك ؟ قال : على أن لا أحارب ولا أباشر قتالا، فأبوا ذلك عليه، فصار إلى مكة، ودخل فى جملة ابن الزبير.

وزال الأمر عن آل حرب فلم يكن فيهم من يرومها، ولا يتشوف نحوها، ولا يرتجى أحد منهم لها.

وبايع أهل العراق عبد الله بن الزبير، فاستعمل على الكوفة عبد الله ابن مطيع العدوى.

فقال المختار بن أبى عبيد الثقفى لابن الزبير: إنى لأعرف قومًا لو أن لهم رجلا له رفق وعلم بما يأتى لاستخرج لك منهم جنداً تغلب بهم أهل الشام، فقال: من هم؟ قال : شيعة بنى هاشم بالكوفة، قال : كن أنت ذلك الرجل، فبعثه إلى الكوفة، فنزل ناحية منها، وجعل يُظهر البكاء على الطالبيين وشيعتهم، ويظهر الحنين والجزع لهم، ويحث على أخذ الثأر لهم، والمطالبة بدمائهم، فمالت الشيعة إليه، وانضافوا إلى جملته، وسار إلى قصر الإمارة فأخرج ابن مطيع منه، وغلب على الكوفة وابتنى لنفسه داراً، واتخذ بستانًا أنفق عليه أموالا عظيمة أخرجها

من بيت المال، وفرق الأموال على الناس بها تفرقة واسعة، وكتب إلي ابن الزبير يعلمه أنه إنما أخرج ابن مطيع عن الكوفة لعجزه عن القيام بها، ويسوم ابن الزبير أن يحسب له بما أنفقه من بيت المال، فأبى ابن الزبير ذلك عليه، فخلع المختار طاعته، وجحد بيعته، وكتب المختاد كتاباً إلى على بن الحسين السجاد يريده على أن يبايع له، ويقول بإمامته، ويظهر دعوته، وأنفذ إليه مالا كثيراً، فأبى على أن يقبل ذلك منه أو يجيبه عن كتابه، وسبه على رءوس الملأ فى مسجد النبى ﷺ، وأظهر كذبه وفجوره، ودخوله على الناس بإظهار الميل إلى آل أبى طالب، فلما يئس المختار من على بن الحسين كتب إلى عمه محمد بن الحنفية يريده على مثل ذلك، فأشار عليه على بن الحسين أن لا يجيبه إلى شىء من ذلك، فإن الذى يحمله على ذلك اجتذابه لقلوب الناس بهم، وتقربه إليهم بمحبتهم، وباطنه مخالف لظاهره فى الميل إليهم، والتولي لهم، والبراءة من أعدائهم، بل هو من أعدائهم لا من أوليائهم، والواجب عيه أن يشهر أمره، ويظهر كذبه، على حسب ما فعل هو وأظهر من القول فى مسجد رسول الله ﷺ فأتى ابن الحنفية ابن عباس فأخبره بذلك، فقال له ابن عباس : لا تفعل، فإنك لا تدرى ما أنت عليه من ابن الزبير، فأطاع ابن عباس وسكت عن عيب المختار.

واشتد أمر المختار بالكوفة، وكثر رجاله، ومال الناسُ إليه، وأقبل يدعو الناس على طبقاتهم ومقاديرهم فى أنفسهم وعقولهم، فمنهم من يخاطبه بإمامة محمد ابن الحنفية، ومنهم من يدفعه عن هذا فيخاطبه بأن الملك يأتيه بالوحى ويخبره بالغيب، وتتبع قتلة الحسين فقتلهم: قتل عمر بن سعد بن أبي وقاص الزهرى، وهو الذي تولى حرب الحسين يوم كربلاء وقتله ومن معه، فزاد ميل أهل الكوفة إليه، ومحبتهم له.

وأظهر ابن الزبير الزهد فى الدنيا والعبادة مع الحرص على الخلافة، وقال: إنما بطنى شبر، فما عسي أن يسع ذلك من الدنيا، وأنا العائذ بالبيت، والمستجير بالرب، وكثرت أذيته لبنى هاشم مع شُحه بالدنيا على سائر الناس.

وذلك أن يزيد بن معاوية كان قد ولى الوليد بن عتبة بن أبي سفيان المدينة فسرح منها جيشاً إلى مكة لحرب ابن الزبير عليه عمرو بن الزبير أخوه، وكان عمرو منحرفا عن عبد الله، فلما تصاف القوم انهزم رجال عمرو وأسلموه، فظفر به أخوه عبد الله، فأقامه للناس بباب المسجد الحرام مجرداً، ولم يزل بضربه بالسياط حتى مات.

وحبس عبد الله بن الزبير الحسن بن محمد بن الحنفية فى الحبس المعروف بحبس عارم، وهو حبس مُوحش مُظلم، وأراد قتله، فعمل الحيلة حتى تخلص من السجن، وتعسف الطريق على الجبال حتى أتى منى وبها أبوه محمد بن الحنفية.

وقد كان ابن الزبير عمد إلي من بمكة من بنى هاشم فحصرهم فى الشعب، وجمع لهم حطبًا عظيمًا لو وقعت فيه شرارة من نار لم يسلم من الموت أحد، وفى القوم محمد بن الحنفية.

وحدث النوفلى على بن سليمان، عن فضيل بن عبد الوهاب الكوفى، عن أبي عمران الرازى، عن فطر بن خليفة، عن الديال بن حرملة، قال : كنت فيمن استنفره أبو عبد الله الجدلي من أهل الكوفة من قبل المختار، فنفرنا معه في أربعة آلاف فارس، فقال أبو عبد الله: هذه خيل عظيمة، وأخاف أن يبلغ ابن الزبير الخبر فيعجل على بنى هاشم، فيأتى عليهم، فانتدبوا معى، فانتدبنا معه

في ثمانمائة فارس جريدة خيل، فما شعر ابن الزبير إلا والرايات تخفق عى رأسه، قال : فجئنا إلي بنى هاشم، فإذا هم فى الشعب فاستخرجناهم ، فقال لنا ابن الحنفية: لا تقاتلوا إلا من قاتلكم، فلما رأى ابن الزبير تنمرنا له وإقدامنا عليه لاذ بأستار الكعبة، وقال : أنا عائذ الله.

وحدث النوفلى فى كتابه فى الأخبار، عن ابن عائشة، عن أبيه، عن حماد بن سلمة، قال : كان عروة بن الزبير يعذر أخاه إذا جرى ذكر بنى هاشم وحصره إياهم فى الشعب وجمعه لهم الحطب لتحريقهم، ويقول : إنما أراد بذلك إرهابهم ليدخلوا فى طاعته إذ هم أبوا البيعة فيما سلف.

وخطب ابن الزبير فقال : قد بايعنى الناس، ولم يتخلف عن بيعتى إلا هذا الغلام محمد بن الحنفية، والموعد بينى وبينه أن تغرب الشمس، ثم أضرم داره عليه ناراً، فدخل ابن العباس على ابن الحنفية فقال : يا ابن عم، إنى لا آمنه عليك فبايعه، فقال : سيمنعه عنى حجاب قوى، فجعل ابن عباس ينظر إلي الشمس، ويفكر فى كلام ابن الحنفية، وقد كادت الشمس أن تغرب، فوافاهم أبو عبد الله الجدلى فى الخيل، وقالوا لابن الحنفية: ائذن لنا فيه، فأبى، وخرج إلي أبلة فأقام بها عطاء بن مسلم، وهؤلاء الذين وردوا إلى ابن الحنفية هم الشيعة الكيسانية، وهم القائلون بإمامة محمد بن الحنفية، وقد تنازعت الكيسانية بعد قولهم بإمامة محمد بن الحنفية: فمنهم من قطع بموته، ومنهم من زعم أنه لم يمت وأنه حى فى جبال رضوى، وقد تنازع كل فريق من هؤلاء أيضاً، وإنما سموا بالكيسانية لإضافتهم إلى المختار بن أبى عُبيد الثقفى، وكان اسمه كيسان، ويكنى أبا عمر، وأن على بن أبى طالب سماه بذلك، ومنهم من رأى أن كيسان أبا عمرة هو غير المختار.

وقد ذكر جماعة من الإخباريين أن كثيرا الشاعر كان كيسانياً، ويقول : إن محمد بن الحنفية هو المهدى الذى يملأ الأرض عدلا كما ملئت شراً وجوراً .

وحكى الزبير بن بكار فى كتابه "أنساب قريش" فى أنساب آل أبى طالب وأخبارهم منه قال : أخبرنى عمى، قال : قال كثير أبياتًا له يذكر ابن الحنفية رضى الله عنه.

وذكر على بن محمد بن سليمان النوفلى في كتابه الأخبار مما سمعناه من أبى العباس بن عمار، قال: حدثنا جعفر بن محمد النوفلى، قال : حدثنا إسمعيل الساحر، وكان راوية السيد الحميرى، قال : ما مات السيد إلا على قوله بالكيسانية.

ولما هلك يزيد بن معاوية ووليها معاوية بن يزيد نمى ذلك إلى الحصين ابن نمير ومن معه في الجيش من أهل الشام، وهو على حرب ابن الزبير، فهادنوا ابن الزبير، ونزلوا مكة، فلقى الحصين عبد الله فى المسجد، فقال له : هل لك يا ابن الزبير أن أحملك إلى الشام وأبايع لك بالخلافة؟ فقال عبد الله رافعاً صوته: أبعد قتل أهل الحرة، لا والله حتى أقتل بكل رجل خمسة من أهل الشام، فقال الحصين : من زعم يا ابن الزبير أنك داهية فهو أحمق، أكلمك سراً وتكلمنى علانية، أدعوك إلى أن أستخلفك فترفع الحرب وتزعم أنك تقاتلنا ، فستعلم أينا المقتول، وانصرف أهل الشام إلي بلادهم مع الحصين، فلما صاروا إلى المدينة جعل أهلها يهتفون بهم، ويتوعدونهم ، ويذكرون قتلاهم بالحرة، فلما أكثروا من ذلك وخافوا الفتنة وهيجها صعد روح بن زنباع الجذامى على منبر رسو الله ﷺ ، وكان فى ذلك الجيش، فقال : يا أهل المدينة، ما هذا الإبعاد الذى توعدوننا؟ إنا والله ما دعوناكم إلى كلب لمبايعة رجل منهم، ولا إلى رجل من

بلقين، ولا إلى رجل من لخم أو جُذام، ولا غيرهم من العرب والموالى، ولكن دعوناكم إلى هذا الحى من قريش، يعنى بنى أمية، ثم إلى طاعة يزيد ابن معاوية، وعلى طاعته قاتلناكم، فإيانا توعدون؟ أما والله إنا لأبناء الطعن والطاعون، وفضلات الموت والمنون، فما شئتم، ومضى القوم إلى الشام.

وحمل إلى ابن الزبير من صنعاء الفُسيفساء التى كان بناها أبرهة الحبشى فى كنيسته التى اتخذها هنالك، ومعها ثلاث أساطين من رخام فيها وشى منقوش فد حُشى النقش السندزوس وأنواع الألوان من الأصباغ، فمن رآه ظنه ذهبًا، وشرع ابن الزبير فى بناء الكعبة، وشهد عنده سبعون شيخًا من قريش أن قريشًا حين بنت الكعبة عجزت نفقتهم فنقصوا من سعة البيت سبعة أذرع من أساس إبراهيم الخليل الذى أسسه هو وإسماعيل عليهما السلام، فبناه ابن الزبير وزاد فيه الأذرع المذكورة، وجعل فيه الفسيسفاء والأساطين، وجعل له بابين: بابًا يدخل منه، وبابًا يخرج منه، فلم يزل البيت على ذلك حتى قتل الحجاج عبد الله بن الزبير، وكتب إلى عبد الملك بن مروان يعلمه بما زاده ابن الزبير فى البيت، فأمره عبد الملك بهدمه، ورده إلى ما كان عليه آنفا من بناء قريش وعصر الرسول ﷺ ، وأن يجعل له بابًا واحدًا، ففعل الحجاج ذلك.

واستوثق الأمر لابن الزبير، وأخذت له البيعة بالشام، وخطب له على سائر منابر الإسلام، إلا منبر طبرية من بلاد الأردن، فإن حسان بن مالك ابن بجدل أبى أن يبايع لابن ازبير، وأرادها لخالد بن يزيد بن معاوية، وكان القيم بأمر بيعة ابن الزبير بمكة عبد الله بن مطيع العدوى.

وهلك يزيد بن معاوية ومعاوية بن يزيد، وعبيد الله بن زياد على البصرة أمير، فخطب الناس وأعلمهم بموتهما، وأن الأمر شورى لم ينصب له أحد،

وقال: لا أرض اليوم أوسع من أرضكم، ولا عدد أكثر من عددكم، ولا مال أكثر من مالكم، فى بيت مالكم مائة ألف ألف درهم، ومقاتلتكم ستون ألفًا، وعطاؤهم وعطاء العيال ستون ألف ألف درهم، فانظروا رجلا ترضونه يقوم بأمركم ، ويجاهد عدوكم، وينصف مظلومكم من ظالمكم، ويوزع بينكم أموالكم، فقام إليه أشراف أهلها- ومنهم الأحنف بن قيس التميمى، وقيس بن الهيثم السلمى، ومسمع بن مالك العبدى - فقالوا: ما نعلم ذلك الرجل غيرك أيها الأمير، وأنت أحق من قام على أمرنا حتى يجتمع الناس على خليفة، فقال : أما لو استعملتم غيرى لسمعت وأطعت.

وقد كان على الكوفة عمرو بن حريث الخزاعى عاملا لعبيد الله بن زياد، فكتب إليه عبيد الله يعلمه بما دخل فيه أهل البصرة، ويأمره أن يأمر أهل الكوفة بما دخل فيه أهل البصرة، فصعد عمرو بن حريث على المنبر، فخطب الناس وذكر لهم ما دخل فيه أهل البصرة فقام يزيد بن رويم الشيبانى فقال : الحمد لله الذى أطلق أيماننا، لاحاجة لنا فى بنى أمية، ولا فى إمارة ابن مرجانة، وهى أم عبيد الله، وأم أبيه زياد سمية، إنما البيعة لأهل الحجر- يعنى أهل الحجاز- فخلع أهل الكوفة ولاية بنى أمية وإمارة ابن زياد وأرادوا أن ينصبوا لهم أميراً إلى أن ينظروا فى أمرهم، فقال جماعة: عمر بن سعد بن أبى وقاص يصلح لها، فلما هموا بتأميره أقبل نساء من همدان وغيرهن من نساء كهلان والأنصار وربيعة والنخع حتى دخلن المسجد الجامع صارخات باكيات مُعولات يندبن الحسين ويقلن: أما رضى عمر بن سعد بقتل الحسين حتى أراد أن يكون أميراً علينا على الكوفة، فبكى الناس، وأعرضوا عن عمر، وكان المبرزات فى ذلك نساء همدان.

ولم يكن بصفين منهم أحد مع معاوية وأهل الشام إلا ناس كانوا بغوطة دمشق، بقرية تعرف بعين ثرما. ولما اتصل خبر أهل الكوفة بابن الزبير أنفذ إليهم عبد الله بن مطيع العدوى على ما قدمنا آنفًا، فتولى أمرهم حتى وجه المختار فى أثره.

ونظر مروان بن الحكم في إطباق الناس على مبايعة ابن الزبير، وإجابتهم له، فأراد أن يلحق به وينضاف إلى جملته، فمنعه من ذلك عبيد الله ابن زياد عند لحاقه بالشام، وقال له : إنك شيخ بنى عبد مناف فلا تعجل، فصار مروان إلى الجابية، من أرض الجولان، بين دمشق والأردن، واستمال الضحاك بن قيس الفهرى الناس، ورأسهم، وانحاز عن مروان، وأراد دمشق، فسبقه إليها الأشدق، عمرو بن سعيد بن العاص فدخلها وصار الضحاك إلى حوران والبثنة وأظهر الدعوة لابن الزبير، والتقى الأشدق ومروان، فقال الأشدق لمروان: هل لك فيما أقوله لك فهو خير لى ولك؟ قال مروان : وما هو ؟ قال : أدعو الناس إليك وآخذها لك على أن تكون لى من بعدك، فقال مروان : لا، بل بعد خالد بن يزيد بن معاوية، فرضى الأشدق بذلك، ودعا الناس إلى بيعة مروان فأجابوا، ومضى الأشدق إلى حسان بن مالك بالأردن، فأرغبه فى بيعة مروان ، فجنح لها.

وبويع مروان بن الحكم بن أبى العاص بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف، ويكنى أبا عبد الملك، وأمه آمنة بنت علقمة بن صفوان، وذلك بالأردن، وكان أول من بايعه أهلها، وتمت بيعته.

وكان مروان أول من أخذها بالسيف كرهًا على ما قيل بغير رضا من عصبة من الناس، بل كل خوفه إلا عدداً يسيراً حملوه على وثوبه عليها وقد كان غيره ممن سلف أخذها بعدد وأعوان، إلا مروان، فإنه أخذها على ما وصفنا!

وبايع مروان بعده لخالد بن يزيد، ولعمرو بن سعيد الأشدق بعد خالد، وكان مروان يلقب بخيط باطل.

واشترط حسابن مالك ـ وكان رئيس قطحان وسيدها بالشام ـ علي مروان ما كان لهم من الشروط على معاوية، وابنه يزيد، وابنه معاوية بن يزيد: منها أن يفرض لهم لألفى رجل ألفين ألفين، وإن مات قام ابنه أو ابن عمه مكانه، وعلى أن يكون لهم الأمر والنهي، وصدر المجلس، وكل ما كان من حل وعقد فعن رأى منهم ومشور، فرضى مروان بذلك، فانقادإليه، وقال له مالك بن هبيرة اليشكرى: إنه ليست لك فى أعناقنا بيعة، وليس نقاتل إلا عن عرض دنيا، فإن تكن لنا على ما كان لنا معاوية ويزيد نصرناك ، وإن تكن الأخرى فوالله ما قريش عندنا إلا سواء، فأجابه مروان إلى ما سأل!

وسار مروان نحو الضحاك بن قيس الفهرى ، وقد انحازت قيس وسائر مضر وغيرهم من نزار إلى الضحاك، ومعه أناس من قُضاعة، عليهم وائل بن عمرو العدوى، وكانت معه راية عقدها رسول الله ﷺ لأبيه، وأظهر الضحاك ومن معه خلافة ابن الزبير، والتقى مروان والضحاك ومن معهما بمرج راهط على أميال من دمشق، فكانت بينهم الحروب سجالا، وكثرت اليمانية عليهم وبواديها مع مروان، فقتل الضحاك بن قيس رئيس جيش ابن الزبير، قتله رجل من تيم اللات، وقتل من معه من نزار، وأكثرهم من قيس، مقتلة عظيمة لم ير مثلها قط.

وكان زفر بن الحارث العامرى، ثم الكلابى، مع الضحاك ، فلما أمعن السيفُ فى قومه ولى ومعه رجلان من بنى سليم، فقصر فرساهما وغشيتهما

اليمانية من خيل مروان، فقالا له : انج بنفسك فإنا مقتولان، فولى راكضاً، ولحق الرجلان، فقتلا.

وتلاحق الناس ممن حضر الوقعة بأجنادهم من أرض الشام، وكان النعمان ابن بشير والياً على حمص قد خطب لابن الزبير ممالئاً للضحاك، فلما بلغه قتله وهزيمة الزبيرية خرج عن حمص هارباً، فسار ليلته جمعاء متحيراً لا يدرى أين يأخذ، فأتبعه خالد بن عدى الكلاعى فيمن خف معه من أهل حمص، فلحقه وقتله، وبعث برأسه إلى مروان، وانتهى زفر بن الحارث الكلابى فى هزيمته إلى قرقيسيا، فغلب عليها، واستقام الشام لمروان، وبث فيه رجاله وعُماله.

وسار مروان فى جنوده من الشام إلى أهل مصر، فحاصرها وخندق عليها خندقا مما يلى المقبرة، وكانوا زبيرية عليهم لابن الزبير عبد الرحمن بن عتبة بن جحدم، وسيد الفسطاط يومئذ وزعيمها أبو رشد بن كريب بن أبرهة ابن الصباح، فكان بينهم وبين مروان قتال يسير، وتوافقوا على الصلح، وقتل مروان أكيدر بن الحمام صبراً، وكان فارس مضر، فقال أبو رشد لمروان : إن شئت والله أعدناها جذعة، يعنى يوم الدار بالمدينة، فقال مروان: ما أشاء من ذلك شيئًا، وانصرف عنها وقد استعمل عليها ابنه عبد العزيز.

وقدم مروان الشام فنزل الصميرة على ميلين من طبرية من بلاد الأردن، فأحضر حسان بن مالك، وأرغبه وأرهبه، فقام حسان فى الناس خطيباً، ودعاهم إلى بيعة عبد الملك بن مروان بعد مروان، وبيعة عبد العزيز بن مروان بعد عبد الملك، فلم يخالفه فى ذلك أحد.

وهلك مروان بدمشق فى هذه السنة، وهى سنة خمس وستين، وقد تنازع

أهل التواريخ وأصحاب السير ومن عُنى بأخبارهم فى سبب وفاته: فمنهم من رأى أنه مات مطعونًا، ومنهم من رأى أنه مات حتف أنفه ومنهم من رأى أن فاختة بنت أبى هاشم بن عتبة أم خالد بن يزيد بن معاوية هى التى قتلته، وذلك أن مروان حين أخذ البيعة لنفسه ولخالد بن يزيد بعده وعمرو بن سعيد بعد خالد، ثم بدا له غير ذلك فجعلها لابنه عبد الملك بعده، ثم لابنه عبد العزيز بعد عبد الملك ودخل عليه خالد بن يزيد فكلمه وأغلظ له، فغضب من ذلك وقال : أتكلمنى يا ابن الرطبة؟ وكان مروان قد تزوج بأمه فاختة ليُذله بذلك ويضع منه، فدخل خالد على أمه فقبح لها تزوجها بمروان، وشكا إليها ما نزل به منه،

فقالت: لا يعيبك بعدها؛ فمنهم من رأى أنها وضعت على نفسه وسادة وقعدت فوقها مع جواريها حتى مات، ومنهم من رأى أنها أعدت له لبنًا مسمومًا فلما دخل عليها ناولته إياه فشرب، فلما استقر فى جوفه وقع يجود بنفسه وأمسك لسانه، فحضره عبد الملك وغيره من ولده؛ فجعل مروان يشير إلى أم خالد برأسه يخبرهم أنها قتلته، وأم خالد تقول: بأبى وأمى أنت، حتى عند النزع لم تشتغل عنى، إنه يوصيكم بى، حتى هلك، فكانت أيامه تسعة أشهر وأيامًا قلائل، وقيل : ثمانية أشهر، وقيل غير ذلك . وهلك مروان وهو ابن ثلاث وستين سنة، وقد ذكر غير ذلك فى سنه، وكان قصيراً أحمر، ومولده لسنتين خلتا من الهجرة، وهلك بعد أخذ البيعة لولده بثلاثة أشهر، وقد ذكر ابن أبى خيثمة فى كتابه فى التاريخ أن النبى ﷺ توفى ومروان ابن ثمان سنين، وكان لمروان عشرون أخًا وثمانى أخوات، وله من الولد أحد عشراً ذكراً وثلاث بنات، وهم : عبد الملك، وعبد العزيز، وعبد الله، وأبان، وداود، وعمر، وأم عمر، وعبد الرحمن، وأم عثمان، وعمرو، وأم عمرو، وبشر، ومحمد، ومعاوية.

وقد كان يزيد بن معاوية خلف من الولد أكثر مما خلف مروان، وذلك أنه خلف: معاوية، وخالداً ، وعبد الله الأكبر، وأبا سفيان، وعبد الله الأصغر، وعمر، وعاتكة، وعبد الرحمن، وعبد الله الذى لقبه الأصغر، وعثمان، وعتبة الأعور، وأبا بكر، ومحمداً، ويزيد، وأم يزيد، وأم عبد الرحمن ، ورملة.

وخلف أبوه معاوية بن أبى سفيان من الولد: عبد الرحمن، ويزيد، وعبد الله، وهنداً، ورملة ، وصفية.

## أيام عبد الملك بن مروان

وبُويع عبد الملك بن مروان ليلة الأحد غرة شهر رمضان من سنة خمس وستين، ثم بعث الحجاج بن يوسف إلى عبد الله بن الزبير ومن معه من الناس بمكة، فقتل عبد الله يوم الثلاثاء لعشر مضين من جمادى الآخرة سنة ثلاث وسبعين، وكانت ولاية ابن الزبير تسع سنين وعشر ليال، ثم هاجت فتنة ابن الأشعث فى شعبان من سنة اثنتين وثمانين، ثم توفى عبد الملك بن مروان بدمشق يوم السبت لأربع عشرة مضت من شوال سنة ست وثمانين، وكانت ولايته منذ بويع إلى أن توفى إحدى وعشرين سنة وشهراً ونصفاً، وبقى بعد عبد الله بن الزبير واجتماع من اجتمع عليه من الناس ثلاث عشرة سنة وأربعة أشهر إلا سبع ليال، وقبض وهو ابن ست وستين سنة، وقيل أكثر من ذلك، وكان يحب الشعر والفخر والتقويظ والمدح وكان الغالب عليه البخل، وكان له إقدام على الدماء، وكان عُماله على مثل مذهبه، كالحجاج بالعراق، والمهلب بخراسان، وهشام بن إسماعيل بالمدينة، وغيرهم بغيرها، وكان الحجاج من أظلمهم وأسفكهم للدماء،

# أخبار عبد الملك وسيرته

ولما أفضى الأمر إلى عبد الملك بن مروان تاقت نفسه إلى محادثة الرجال والإشراف على أخبار الناس، فلم يجد من يصلح لمنادمته غير الشعبى ، فلما حُمل إليه ونادمه وحظى عنده.قال له : يا شعبى لا تساعدنى على ماقبح، ولا ترد على الخطأ فى مجلسى، ولا تكلفنى جواب التشميت والتهنئة، ولا جواب السؤال والتعزية، ودع عنك كيف أصبح الأمير وكيف أمسى، وكلمنى بقدر ما أستعطعمك واجعل بدل المدح لى صواب الاستماع منى، واعلم أن صواب الاستماع أكثر من صواب القول، وإذا سمعتنى أتحدث فلا يفوتنك منه شىء، وأرنى فهمك فى طرفك وسمعك، ولا تجهد نفسك فى تطرية جوابى، ولا تستدع بذلك الزيادة فى كلامى، فإن أسوأ الناس حالا من استكد الملوك بالباطل، وإن أسوأ حالا منهم من استخف بحقهم، واعلم ياشعبى أن أقل من هذا يذهب بسالف الإحسان، ويسقط حق الحرمة؛ فإن الصمت فى موضعه ربما كان أبلغ من المنطق فى موضعه، وعند إصابته فرصة.

وقال عبد الملك للشعبى يومًا: من أين تهب الريح ؟ قال : لا علم لى ياأمير المؤمنين قال عبد الملك : أما مهب الشمال فمن مطلع بنات نعش إلى مطلع الشمس، وأما مهب الصبا فمن مطلع الشمس إلى مطلع سُهيل، وأما الجنوب فمن مطلع سُهيل إلي مغرب الشمس، وأما الدبور فمن مغربْ الشمس إلى مطلع بنات نعش.

وفى سنة خمس وستين تحركت الشيعة بالكوفة، وتلاقوا بالتلاوم والتنادم حين قتل الحسين فلم يغيثوه، ورأوا أنهم قد أخطؤا خطأ كبيرًا، بدعاء الحسين

إياهم ولم يجيبوه، ولمقتله إلى جانبهم فلم ينصروه، ورأوا أنهم لا يغسل عنهم تلك الجرم إلا قتل من قتله أو القتل فيه، ففزعوا إلى خمسة نفر منهم: سليمان ابن صُرد الخزاعى، والمسيب بن نجية الفزارى، وعبد الله بن سعد بن نفيل الأزدى، وعبد الله بن والى التميمى، ورفاعة بن شداد البجلى، فعسكروا بالنخيلة، بعد أن كان لهم مع المختار بن أبى عُبيد الثقفى خطب طويل بتثبيطه الناس عنهم ممن أراد الخروج معهم، ففى ذلك يحرض عبد الله ابن الأحمر على الخروج والقتال.

ويذكر أنهم قد تابوا إلى الله وأنابوا إليه من الكبائر التى ارتكبوها إذ لم ينصروه.

ثم ساروا فانتهوا إلى قرقيسياء من شاطئ الفرات وبها زفر بن الحارث الكلابى فأخرج إليهم الأنزال، وساروا من قرقيسياء ليسبقوا إلي عين الوردة، وقد كان عبيد الله بن زياد توجه من الشام إلى حربهم فى ثلاثين ألفا، وانفصل علي مقدمته من الرقة خمسة أمراء، منهم الحصين بن نمير السكونى، وشرحبيل بن ذى الكلاع الحميرى، وأدهم بن محرز الباهلى، وربيعة ابن المخارق الغنوى، وجبلة بن عبد الله الخثعمى، حتى إذا صاروا إلى عين الوردة التقى الأقوام، وقد كان قبل ذلك لهم مُناوشات فى الطلائع، فاستشهد سليمان بن صُرد الخزاعى، بعد أن قتل من القوم مقتلة عظيمة، وأبلى وحث وحرض، ورماه يزيد بن الحصين بن نمير بسهم فقتله، فأخذ الراية المسيب بن نجية الفزارى، وكان من وجوه أصحاب على رضى الله عنه.

فقاتل حتى قتل، واستقتل الترابيون، وكسروا أجفان السيوف ، وسالت عليهم عساكر أهل الشام بالليل ينادون الجنة الجنة إلى البقية من أصحاب أبى

تراب الجنة الجنة إلى الترابية، وأخذ راية الترابيين عبد الله بن سعد بن نفيل، وأتاهم إخوانهم يحثون السير خلفهم من أهل البصرة وأهل المدائن فى نحو من خمسمائة فارس عليهم المثنى بن مخرمة، وسعد بن حذيفة، وهم يقولون : أقلنا ربنا تفريطنا فقد تُبنا، فقيل لعبد الله بن سعد بن نفيل وهو فى القتال : إن إخواننا قد لحقونا من البصرة والمدائن، فقال : ذاك لو جاءوا ونحن أحياء، فكان أول من استشهد فى ذلك الوقت ممن لحقهم من أهل المدائن كثير بن عمرو المدنى، وطعن سعد بن أبى سعد الحنفى، وعبد الله بن الخطل الطائى، وقتل عبد الله بن سعد بن نفيل.

فلما علم من بقى من الترابيين : أن لا طاقة لهم ممن بإزائهم من أهل الشام انحازوا عنهم، وارتحلوا، وعليهم رفاعة بن شداد البجلى، وتآخر أبو الحويرث العبدى فى جابية الناس، وطلب منهم أهل الشام المكافة والمتاركة، لما رأوا من بأسهم وصبرهم مع قلتهم، فلحق أهل الكوفة بمصرهم، وأهل المدائن والبصرة ببلادهم.

وقد ذكر أبو مخنف لوط بن يحيى وغيره من أصحاب التواريخ والسير من قتل من الترابيين مع سليمان بن صُرد الخزاعى على عين الوردة وأسماءهم، فقللهم.

وحكى أبو مخنف فى كتابه فى أخبار الترابيين بعين الوردة قصيدة عزاها إلى أعشى همدان طويلة يرثى بها أهل عين وردة من الترابيين ويصف ما فعلوه صدرها بقوله :

توجه من دون التنبــة ســائرا    إلى زياد فى الجموع الكتائب

وقيل إن وقعة عين الوردة كانت فى سنة ست وستين.

وفى سنة ست وسين، فى أيام عبد الملك بن مروان توفى الحارث الأعور صاحب على عليه السلام، وهو الذى دخل على علىّ فقال : يا أمير المؤمنين ألا ترى إلى الناس قد أقبلوا على هذه الأحاديث وتركوا كتاب الله ؟ قال : وقد فعلوها؟ قال : نعم ، قال : أما إنى سمعت رسول الله ﷺ يقول : "ستكون فتنة" قلت : فما المخرج منها يارسول الله؟ قال :" كتاب الله ، فيه نبأ ما كان قبلكم، وخبر ما بعدكم ، وحكم مابينكم، هو الفصل ليس بالهزل، من تركه من جبار قصمه الله، ومن أراد الهدى فى غيره أضله الله، هو حبل الله المتين، وهو الذكر الحكيم، والصراط المستقيم، وهو الذى لا تزيغ عنه العقول، ولا تلتبس به الألسن، ولا تنقضى عجائبه، ولا يعلم علم مثله، هو الذى لما سمعته الجن قالوا: إنا سمعنا قرآنا عجباً يهدى إلى الرشد، من قال به صدق، ومن زال عنه عدا، ومن عمل به أجر، ومن تمسك به هُدى إلى صراط مستقيم" خذها إليك يا أعور.

ولما كان من وقعة عين الوردة ما قدمنا سار عبيد الله بن زياد فى عساكر الشام يؤم العراق، فلما انتهى إلى الموصل - وذلك فى سنة ست وستين - التقى هو وإبراهيم بن الأشتر النخعى، وإبراهيم على خيل العراق من قبل المختار بالخازر، فكانت بينهم وقعة عظيمة قتل فيها ابن مرجانة عبيد الله بن زياد، والحصين بن نمير، وشرحبيل بن ذى الكلاع، وابن حوشب ذى ظليم، وعبد الله بن إياس السلمى، وأبو أشرس ، وغالب الباهلى، وأشراف أهل الشام، وذلك أن عمير بن الحباب السلمى كان على ميمنة ابن زياد فى ذلك الجيش، وكان فى نفسه ما فعل بقومه من مضر وغيرهم من نزار يوم مرج راهط، فصاح : يا لثارات قيس لا لمضر، يالنزار، فتزاحمت نزار من مضر وربيعة على من كان

معهم فى جيشهم من أهل الشام من قطحان، وقد كان عمير كاتب إبراهيم بن الأشتر سرا قبل ذلك، والتقيا، فتواطا، وحمل إبراهيم بن الأشتر رأس ابن زياد وغيره إلى المختار، فبعث به المختار إلى عبد الله بن الزبير بمكة.

وقد كان عبد الملك بن مروان سار فى جيوش أهل الشام فنزل بطنان ينتظر ما يكون من أمر ابن زياد، فأتاه خبر مقتله ومقتل من كان معه وهزيمة الجيش بالليل، أتاه فى تلك الليلة مقتل حبيش بن دلجة، وكان على الجيش بالمدينة لحرب ابن الزبير، ثم جاءه خبر دخول قاتل بن قيس فلسطين من قبل ابن الزبير ومسير مُصعب بن الزبير من المدينة إلى فلسطين، ثم جاءه مسير ملك الروم لاوى بن فلنط ونزوله المصيصة يريد الشام، ثم جاءه خبر دمشق، وأن عبيدها وأوباشها ودُعارها قد خرجوا على أهلها، ونزلوا الجبل، ثم أتاه أن من في السجن بدمشق فتحوا السجن وخرجوا منه مكابرة، وأن خيل الأعراب أغارت على حمص وبعلبك والبقاع، وغير ذلك مما نمى إليه من المفظعات فى تلك الليلة، فلم يُر عبد الملك فى ليلة قبلها أشد ضحكا، ولا أحسن وجها، ولا أبسط لسانًا، ولا أثبت جنانا منه تلك الليلة، تجلداً وسياسة للملوك، وترك إظهار الفشل، وبعث بأموال وهدايا إلى ملك الروم، فشغله وهادنه، وسار إلى فلسطين وبها ناتل بن قيس على جيش ابن الزبير، فالتقوا بأجنادين، فقتل ناتل بن قيس وعامة أصحابه، وانهزم الباقون، ونمى خبر قتله وهزيمة الجيش إلى مصعب بن الزبير وهو فى الطريق، فولى راجعًا إلى المدينة.

ورجع عبد الملك إلى دمشق فنزلها، وسار إبراهيم بن الأشتر فنزل نصيبين، وتحصن منه أهل الجزيرة، ثم استخلف على نصيبين، ولحق بالمختار بالكوفة.

وفى سنة سبع وستين سار مصعب بن الزبير من البصرة، وقد كان أخوه عبد الله بن الزبير أنفذه إلى العراق واليًا، فنزل حروراء، والتقى هو والمختار فكانت بينهم حروب عظيمة، وقتل ذريع، وانهزم المختار، وقد قتل محمد بن الأشعث وابنان له، ودخل قصر الإمارة بالكوفة وتحصن فيه، وجعل يخرج كل يوم لمحاربة مصعب وأصحابه من أهل الكوفة وغيرهم والمختار معه خلق كثير من الشيعة قد سموا الخشبية من الكيسانية وغيرهم، فخرج إليهم ذات يوم وهو على بغلة له شهباء، فحمل عليه رجل من بنى حنيفة يقال له عبد الرحمن بن أسد، فقتله واحتز رأسه، وتنادوا بقتله، فقطعه أهل الكوفة وأصحاب مصعب أعضاء، وأبي مصعب أن يعطى الأمان لمن بقى فى القصر من أصحابه، فحاربوا إلي أن أضر بهم الجهد، ثم أمنهم وقتلهم بعد ذلك، فكان ممن قتل مع المختار عبيد الله بن على بن أبى طالب رضى الله عنه، وله خبر مع المختار فى تخلصه منه ومضيه إلى البصرة وخوفه على نفسه من مصعب إلى أن خرج معه فى جيشه ،فكان جملة من أدركه الإحصاء ممن قتله مصعب مع المختار سبعة آلاف رجل، كل هؤلاء طالبون بدم الحسين، وقتلة أعدائه، فقتلهم مصعب، وسماهم الخشبية، وتتبع مصعب الشيعة بالقتل بالكوفة وغيرها، وأتى محرم المختار فدعاهن إلى البراءة منه ففعلن إلا حرمتين له إحداهما بنت سمرة بن جندب الفزارى والثانية ابنة النعمان بن بشير الأنصارى، وقالتا: كيف نتبرأ من رجل يقول ربى الله؟ كان صائم نهاره قائم ليله، قد بذل دمه لله ولرسوله فى طلب قتلة ابن بنت رسول الله ﷺ وأهله وشيعته، فأمكنه الله منهم حتى شفى النفوس، فكتب مصعب إلى أخيه عبد الله يخبرهما وما قالتاه، فكتب إليه إن هما رجعتا عما هما عليه وتبرأتا منه وإلا فاقتلهما، فعرضهما مصعب على

السيف، فرجعت بنت سمرة ولعنته وتبرأت منه، وقالت : لو دعونني إلى الكفر مع السيف لكفرت: أشهد أن المختار كافر، وأبت ابنة النعمان بن بشير، وقالت شهادة أرزقها فأتركها؟ كلا !! إنها موتة ثم الجنة والقدوم على الرسول وأهل بيته، والله لا يكون ، آتى مع ابن هند فأتبعه وأترك ابن أبى طالب؟ اللهم اشهد أنى متبعة لنبيك وابن بنته وأهل بيته وشيعته، ثم قدمها فقتلت صبراً.

وفى سلطنة عبد الملك مات أبو العباس عبد الله بن العباس بن عبد المطلب فى سنة ثمان وستين، وقيل : فى سنة تسع وستين، بالطائف، وأمه لُبابة بنت الحارث بن حزن، من ولد عامر بن صعصعة، وله إحدى وسبعون سنة، وقيل : إنه ولد قبل الهجرة بثلاث سنين، وقد ذكر عن سعيد بن جبير عن ابن عباس أنه قال : قبض رسول الله ﷺ وأنا ابن عشر سنين، وصلى عليه محمد ابن الحنفية، وكان قد ذهب بصره لبكائه على علىّ والحسن والحسين، وكانت له وفرة طويلة يخضب شيبه بالحناء.

وقد كان النبى ﷺ قد دعا له حين وضع له الماء للطهور فى بيت خالته ميمونة زوج النبى ص، فقال : " اللهم فقهه فى الدين، وعلمه التأويل".

وقيل لابن عباس رضى الله عنه : ما منع عليا رضى الله عنه أن يبعثك مكان أبى موسى فى يوم الحكمين؟ فقال : منعه من ذلك حائل القدر، وقصر المدة، ومحنة الابتلاء، أما والله لو بعثنى مكانه لاعترضت مدارج نفسه، ناقضاً لما أبرم ومبرما لما نقض، أسف إذا سار، وأطير إذا أسف، ولكن مضى قدر، وبقى أسف، ومع اليوم غد، وللآخرة خير للمتقين.

وكان لابن عباس من الولد: على، وهو أبو الخلفاء من بنى العباس،

والعباس، ومحمد، والفضل، وعبد الرحمن، وعبيد الله، ولُبابة، وأمهم زرعة بنت مشرح الكندية، فأما عبيد الله ومحمد والفضل فلا أعقاب لهم.

وفي سنة سبعين قتل عبد الملك بن مروان عمرو بن سعيد بن العاص الأشدق وهو عمرو بن سعيد بن العاص بن أمية بن شمس بن عبد مناف، وكان ذا شهامة وفصاحة وبلاغة وإقدام، وقد كان بينه وبين عبد الملك محادثات ومكاتبات وخطب طويل طلبًا للملك، وكان فيما كتب إليه عبد الملك : إنك لتطمع نفسك بالخلافة، ولست لها بأهل، فكتب إليه عمرو : استدراج النعم إياك أفادك البغي، ورائحة الغدر أورثتك الغفلة، زجرت عما وافقت عليه، وندبت إلى ما تركت سبيله، ولو كان ضعف الأسباب يؤيس الطالب ما انتقل سلطان ولا ذل عزيز، وعن قريب يتبين من صريع بغي وأسير غفلة.

وقد كان عبد الملك سار إلى زفر بن الحارث الكلابي وهو بقرقيسيا وبلاد الرحبة وخلف عمرو بن سعيد بدمشق فبلغه أن عمراً قد دعا الناس إلي بيعته بدمشق، فكرَّ راجعًا إليها، فامتنع عمرو فيها ، فناشده عبد الملك الرحم وقال له : لا تفسد أمر أهل بيتك وما هم عليه من اجتماع الكلمة، وفيما صنعت قوة لابن الزبير؛ ارجع إلى بيتك فإني سأجعل لك العهد، فرضي وصالح، ودخل عبد الملك وعمرو متحيز منه في نحر خمسمائة فارس يزولون معه حيث زال.

وقد تنازع أهل السير في كيفية قتل عبد الملك إياه: فمنهم من رأى أن عبد الملك قال لحاجبه: ويحك !! أتستطيع إذا دخل عمرو أن تُغلق الباب؟ قال : نعم، قال : فافعل، وكان عمرو رجلا عظيم الكبر لا يرى أن لأحد عليه فضلا، ولا يلتفت وراءه إذا مشى إلي أحد، فلما فتح الحاجب الباب دخل عمرو، فأغلق الحاجب الباب دون أصحابه، ومضي عمرو لا يلتفت، وهو يظن أن أصحابه قد

دخلوا معه كما كانوا يدخلون، فعاتبه عبد الملك طويلا، وقد كان وصي صاحب حرسه أبا الزعيزعة بأن يضرب عنقه، فكلمه عبد الملك وأغلظ له القول، فقال : يا عبد الملك، أتستطيل عليّ كأنك ترى لك علي فضلا؟ إن شئت والله نقضت العهد بيني وبينك، ثم نصبت لك الحرب فقال عبد الملك : قد شئت ذلك، فقال : وأنا قد فعلت، فقال عبد الملك: ياأبا الزعيزعة شأنك، فالتفت عمرو إلى أصحابه فلم يرهم في الدار، فدنا من عبد الملك ، فقال : ما يدنيك مني ؟ قال : لتمسني رحمك، وكانت أم عمرو عمة عبد الملك كانت تحت الحكم بن أبي العاص بن وائل، فضربه أبو الزعيزعة فقتله، فقال له عبد الملك : ارم برأسه إلى أصحابه، فلما رأوا رأسه تفرقوا، ثم خرج عبد الملك فصعد المنبر و ذكر عمراً فوقع فيه، وذكر خلافه وشقاقه.

وقيل : إن عمراً خرج من منزله يريد عبد الملك، فعثر بالبساط، فقالت له امرأته نائلة بنت قريص بن وكيع بن مسعود: أنشدك الله أن لا تأتيه، فقال : دعيني عنك فوالله لو كنت نائما ما أيقظني، وخرج وهو مكفر (مغطى ولابس) بالدرع؛ فلما دخل على عبد الملك قام من هناك من بني أمية، فقال عبد الملك وقد أخذت الأبواب: إني كنت حلفت لئن ملكتك لأشدنك في جامعة؛ فأتى بجامعة فوضعها في عنقه وشدها عليه : فأيقن عمرو أنه قاتله؛ فقال : أنشدك الله يا أمير المؤمنين فقال له عبد الملك : يا أبا أمية، مالك جئت في الدرع القتال"! فأيقن عمرو بالشر فقال : أنشدك الله أن تخرجني إلى الناس في الجامعة، فقال له عبد الملك : وتماكرني أيضاً وأنا أمكر منك ؟ تريد أن أخرجك إلى الناس فيمنعوك ويستنقذوك من يدي، وخرج عبد الملك إلى الصلاة وأمر أخاه عبد العزيز ـ وقد كان قدم من مصر في ذلك ايوم ـ بقتله إذا خرج! وقد قيل : أمر

ابنه الوليد بذلك؛ فلمادنا منه عبد العزيز ناشده عمرو بالرحم فتركه، فلما رجع عبد الملك من الصلاة ورآه حيا قال لعبد العزيز: والله ما أردت قتله إلا من أجلكم ألا لا يحوزها دونكم، ثم أضجعه؛ فقال له عمرو: أغدر يا ابن الزرقاء ؟ فذبحه، ووافى أخو عمرو يحيى بن سعيد إلى الباب بمن معه من رجاله ليسكره؛ فخرج إليه الوليد وموالى عبد الملك ، فاقتتلوا، واختلف الوليد ويحيى، فضربه يحيى بالسيف على أليته فانصرع ، وألقى رأس عمرو إلى الناس، فلما رأوه تفرقوا من بعد أن ألقى عليهم من أعلى الدار بدر (البدرة : كيس بع عشرة آلاف درهم) الدنانير، فاشتغل بها عن القتال، وقال عبد الملك: وأبيك لئن كانوا قتلوا الوليد لقد أصابو بثأرهم، وقد كان الوليد فقد حين ضرب ، وذلك أن إبراهيم بن عدى احتمله فأدخله بيت القراطيس فى المعمعة، وأتى عبد الملك بيحيى بن سعيد، واجتمعت الكلمة على عبد الملك، وانقاد الناس إليه؛

وقد قيل فى مقتله غير ذلك، وكانت تحت الوليد بن عبد الملك .

وأقام عبد الملك بدمشق بقية سنة سبعين، وقد كان مصعب بن الزبير خرج حين صفا له العراق بعد قتل المختار وأصحابه، حتى انتهى إلي الموضع المعروف بباجميرا مما يلى الجزيرة، يريد الشام لحرب عبد الملك، فبلغه مسير خالد بن عبد الله بن خالد بن أسيد من مكة إلى البصرة فى ولده وعدة من مواليه ناكثًا لبيعة عبد الله بن الزبير، فنزل بعض نواحى البصرة،

وأن قومًا قد انضافوا إليه من ربيعة ومضر، ومنهم عبد الله بن الوليد، ومالك بن مسمع البكرى، وصفوان بن الأهتم التميمى، وصعصعة بن معاوية عم الأحنف، فكانت لهم بالبصرة حروب كانت آخراً على خالد بن عبد الله، فخرج

هارباً بابنيه فى البر حتى لحقوا بعبد الملك، وانصرف مصعب راجعًا إلى البصرة، وذلك في سنة إحدى وسبعين، ثم عاد من العراق إلى باجميرا .

ونزل عبد الملك بن مروان على قرقيسياء، فحاصر بها زُر بن الحارث العامرى الكلابى، وكان يدعو إلى ابن الزبير، فنزل على إمامته وبايعه، وسار عبد الملك فنزل على نصيبين - وفيها يزيد والحبشى موليا الحارث فى ألفى فارس ممن بقى من أصحاب المختار يدعون إلي إمامة محمد بن الحنفية - فحاصرهم، فنزلوا على إمامته، وانضافوا إلى جملته!

وخرج مصعب فى أهل العراق - وذلك فى سنة اثنتين وسبعين - يريد عبد الملك، ودلف إليه عبد الملك فى عساكر مصر والجزيرة والشام، فالتقوا بمسكن قرية من أرض العراق علي شاطئ دجلة، وعلى مقدمة عبد الملك الحجاج بن يوسف بن أبى عقيل الثقفى، وقيل : على ساقته، وقد أحمد أمره في قيامه بما أهل له، فكاتب عبد الملك رؤساء أهل العراق ممن هم بعسكر مصعب وغيرهم سراً وصار يرغبهم ويرهبهم، فكان فيمن كتب إليه إبراهيم بن الأشتر النخعى، فلما أتاه كتابه مع الجاسوس اعتقله فى رحله، وأتى مصعباً بالكتاب قبل أن يفضه ويعلم ما فيه، فقال له مصعب: اقرأته؟ فقال : أعوذ بالله أن أقرأه حتى يقرأه الأمير، وأتى يوم القيامة غادراً قد نقضت بيعته وخلعت طاعته، فلما تأمل مصعب مافيه وجده أمانًا له وولاية لما شاء من العراق وإقطاعا وغير ذلك، ثم قال إبراهيم لمصعب: هل أتاك أحد من أشراف العساكر بكتاب؟ فقال مصعب: لا، فقال إبراهيم : والله لقد كاتبهم وما كاتبنى حتى كاتب غيرى ولا امتنعوا عن إيصالها إليك إلا للرضا به والغدر بك، فأطعنى وابدأ بهم، فأمرهم على السيف، أو استوثق منهم فى الحديد، وألق هذا الرجل، فأبى مصعب ذلك، وتحيز من

كان فى عسكره من ربيعة لقتله ابن زياد بن ظبيان البكرى ، وكان من سادات ربيعة وزعماء بكر بن وائل ، وسار إبراهيم بن الأشتر على مقدمة مصعب فى متسرعة الخيل، فلقي خليل عبد الملك ومقدمته عليها أخوه محمد بن مروان، وبلغ عبد الملك ورود إبراهيم ومنازلته محمداً أخاه، فبعث إلى محمد: عزمت عليك أن لا تقاتل فى هذا اليوم، وقد كان مع عبد الملك منجم مقدم، وقد أشار على عبد الملك أن لا تحارب له خيل فى ذلك اليوم، فإنه منحوس، وليكن حربه بعد ثلاث فإنه ينصر، فبعث إليه محمد: وأنا أعزم على نفسى لأقاتلن ولا ألتفت إلي زخاريف منجمك، والمحالات من الكذب، فقال عبد الملك للمنجم ولمن حضره : ألا ترون ؟ ثم رفع طرفه إلى السماء، وقال : اللهم إن مُصعبا أصبح يدعو إلى أخيه وأصبحت أدعو لنفسى، اللهم فانصر خبرنا لأمة محمد ﷺ ، فالتقى محمد بن مروان وابن الأشتر.

فاقتتلوا حتى غشيهم المساء، فقال عتاب بن ورقاء التميمى، وكان مع ابن الأشتر: يا إبراهيم، إن الناس قد جُهدوا فمرهم بالانصراف، حسداً له لإشرافه على الفتح، فقال له إبراهيم : وكيف ينصرفون وعدوهم بإزائهم ؟! فقال عتاب : فمر الميمنة أن تنصرف، فأبى إبراهيم ذلكو فمضى إليهم عتاب فأمرهم بالانصراف ، فلما زالوا عن مصافهم أكبت ميسرة محمد عليهم، واختلط الرجال، و صمدت الفرسان لإبراهيم، واشتبكت عليه الأسنة، فبرى منها عدة رماح ، وأسلمه من كان معه، فاقتلع من سرجه ودار به الرجال وازدحموا عليه، فقتل بعد أن أبلى ونكأ فيهم، وقد تنوزع فى أخذ رأسه: فمنهم من زعم أن ثابت بن يزيد مولى الحصين بن نمير الكندى هو الذى أخذ رأسه، ومنهم من ذكر أن عبيد بن ميسرة مولى بنى يشكر ثم من بنى رفاعة هو الذى أخذ رأسه، وأتى

عبد الملك بجسد إبراهيم فألقى بين يديه، فأخذه مولى الحصين بن نمير، فجمع عليه حطبًا وأحرقه بالنار.

وسار عبد الملك فى صبيحة تلك الليلة من موضعه حتى نزل بدير الجاثليق من أرض السوداء، وأقبل عبيد الله بن زياد بن ظبيان وعكرمة بن ربعى إلي رايات ربيعة فأضافوها إلى عسكر عبد الملك ودخلوا فى طاعته، ثم تصاف القوم، فأفرد مصعب، وتخلى عنه من كان معه من مصر واليمن، وبقى فى سبعة نفر منهم إسماعيل بن طلحة بن عبيد الله التميمى، وابنه عيسى بن مصعب، فقال لابنه عيسى: يا بنى اركب فرسك فانج بنفسك فالحق بمكة بعمك، فأخبره بما صنع بى أهل العراق، ودعنى فإنى مقتول، فقال له لا والله، لا يتحدث نساء قريش أنى فررت عنك، ولا أحدثهم عنك أبدًا ، فقال له مصعب: أما إذا أبيت فتقدم أمامى حتى أحتسبك ، فتقدم عيسى فقاتل حتى قتل.

وسأل محمد بن مروان أخاه عبد الملك أن يؤمن مصعبًا، فاستشار عبد الملك من حضره، فقال له على بن عبد الله بن العباس بن عبد المطلب: لاتؤمنه، وقال خالد بن يزيد بن معاوية بن أبى سفيان، بل أمنه، وارتفع الكلام بين على وخالد حتى تسابا على مصافهما، فأمر عبد الملك أخاه محمداً أن يمضى إلي مصعب فيؤمنه ويعطيه عنه ما أراد، فمضى محمد فوقف قريباً من مصعب، ثم قال : يا مصعب ، هلم إلىّ، أنا ابن عمك محمد بن مروان، وقد أمنك أمير المؤمنين على نفسك ومالك، وكل ما أحدثت، وأن تنزل أى البلاد شئت، ولو أراد بك غير ذلك لأنزله بك، فأنشدك الله فى نفسك.

وأقبل رجل من أهل الشام إلى عيسى بن مصعب ليحتز رأسه، فعطف عليه مصعب والرجل غافل ، فناداه أهل الشام : ويلك يافلان الأسد قد أقبل

نحوك، ولحقه مصعب فقده، وعُرقب فرس مصعب، وبقى راجلا، فأقبل عليه عبيد الله بن زياد بن ظبيان فاختلفا ضربتين، سبق مصعب بالضربة إلى رأسه وكان مصعب قد أثخن بالجراح، وضربه عبيد الله فقتله، واحتز رأسه، وأتى به عبد الملك، فسجد عبد الملك، وقبض عبيد الله بن زياد على قائم سيفه فاجتذبه من غمده حتى أتى على أكثره سلاً ليضرب عبد الملك فى حال سجوده، ثم ندم واسترجع، فكان يقول بعد ذلك : ذهب الفتك من الناس، إذ هممت ولم أفعل فاكون قد قتلت عبد الملك ومصعبًا ملكى العرب فى ساعة واحدة.

وقال عبد الملك : متى تلد قريش مثل مصعب؟ وكان قتل مصعب يوم الثلاثاء، لثلاث عشرة خلت من جمادى الأولى سنة اثنتين وسبعين، وأمر عبد الملك بمصعب وابنه عيسى فدفنا بدير الجاثيق، ودعا عبد الملك أهل العراق إلى بيعتهفبايعوه.

وقد كان مسلم بن عمرو الباهلى من صنائع معاوية وابنه يزيد، وكان فى ذلك اليوم فى جيش مصعب، فأتى به عبد الملك وقد أخذ له منه الأمان، فقيل له: أنت ميت لا ترجو الحياة لما بك من الجراح، فما تصنع بالأمان؟ قال : ليسلم مالى ويأمن ولدى بعدى، فلما وضع بين يدى عبد الملك قال : قطع الله يد ضاربك كيف لم يجهز عليك؟ أكفرت صنائع آل حرب معك؟ فأمنه على ماله وولده ومات من ساعته.

وقد كان مصعب ذا حسن، وجمال، وهيئة، وكمال فى الصورة.

وحدث المنقرى ، قال : حدثنى سويد بن سعيد، قال : حدثنا مروان ابن معاوية الفزارى، عن محمد بن عبد الرحمن، عن أبى مسلم النخعى، قال : رأيت

رأس الحسين جيء به، فوضع في دار الإمارة بالكوفة بين يدى عُبيد الله بن زياد، ثم رأيت رأس عبيد الله بن زياد قد جيء به، فوضع في ذلك الموضع بين يدى المختار، ثم رأيت رأس المختار قد جيء به فوضع بين يدى مصعب بن الزبير، ثم رأيت رأس مصعب بن الزبير قد جيء به، فوضع في ذلك الموضع بين يدى عبد الملك.

وقد قيل في وجه آخر من الروايات، قال الراوى: فرأى عبد الملك منى اضطرابا، فسألنى، فقلت : يا أمير المؤمنين، دخلت هذه الدار فرأيت رأس الحسين بين يدى ابن زياد في هذا الموضع، ثم دخلتها فرأيت رأس ابن زياد بين يدي المختار فيه، ثم دخلتها فرأيت رأس المختار بين يدى مصعب ابن الزبير، وهذا رأس مصعب بين يديك، فوقاك الله يا أمير المؤمنين! قال : فوثب عبد الملك بن مروان، وأمر بهدم الطاق الذى على المجلس، ذكر هذا الحديث عن الوليد بن خباب وغيره.

وسار عبد الملك من دير الجاثليق حتى نزل النخيلة بظهر الكوفة، فخرج إليه أهل الكوفة فبايعوه، ووفى للناس بما كان وعدهم به في مكاتبته إياهم سراً، وخلع، وأجاز، وأقطع، ورتب الناس على قدر مراتبهم، وعمهم ترغيبه، وترهيبه، وولى عى البصرة خالد بن عبد الله بن خالد بن أسد وعلى الكوفة بشر بن مروان أخاه، وخلف معه جماعة من أهل الرأى والمشورة من أهل الشام منهم روح بن زنباع الجُذامى، وبعث بالحجاج بن يوسف لحرب ابن الزبير بمكة، وسار في بقية أهل الشام إلي دار ملكه دمشق.

وكان بشر بن مروان أديباً ظريفًا، يحب الشعر والسمر والسماع والمعاقرة، وقد كان أخوه عبد الملك قال له : إن روحا عمك الذى لا ينبغى أن

تقطع أمراً دونه، لصدقه وعفافه ومناصحته ومحبته لنا أهل البيت، فاحتشم بشر منه، وقال لندمائه: أخاف إن انبسطنا أن يكتب روح إلى أمير المؤمنين بذلك، وإنى لأحب من الأنس والاجتماع ما يحبه مثلى، فقال له بعض ندمائه من أهل العراق بحسن مساعدته ولطيف حيلته: أنا أكفيك أمره حتى ينصرف عنك إلى أمير المؤمنين غير شاك ولا لائم ، فسر بشر، ووعده الجائزة وحسن المكافأة إن هو تأتى له ما وعد به، وكان روح شديد الغيرة، وكانت له جارية إذا خرج من منزله إلى المسجد أو غيره ختم بابه حتى يعود بعد أن يقفله، فأخذ الفتى دواة وأتى منزل روح عشياً مختفياً وخرج روج للصلاة، فتوصل الفتى إلى دخول الدهليز فى حال خروج روح، وكمن تحت الدرجة، ولم يزل يحتال ليلته حتى توصل إلى بيت روح ، فكتبت على حائط فى أقرب المواضع من مرقد روح :

يـا روح مـن لبنيـات أرملـة

إذا نعـاك لأهـل المغـرب النـاعى

إن ابن مـروان قد حانـت منيتـه

فاحتـل لنفسـك يا روح بن زنبـاع

ولا يـغـرنـك أبـكـار منعمـة

واسمع هديت مقال الناصح الواعى

ورجع إلى مكانه بالدهليز، فبات فيه، فلما أصبح روح خرج إلى الصلاة فتبعه غلمانه، والفتى متنكر فى جملتهم مختلط بهم، فلما عاد روح وافتتح باب حجرته تبين الكتابة وقرأها، فراعه ذلك وأنكره، وقال : ما هذا ؟ فوالله ما يدخل

حجرتى إنسى سواى، ولا حظ لى فى المقام بالعراق ثم نهض إلى بشر، فقال له: يا ابن أخى، أوصنى بما أحببت من حاجة أو سبب عند أمير المؤمنين، قال : أو تريد الشخوص ياعم؟ قال : نعم ، قال: ولم ؟ هل أنكرت شيئًا أو رأيت قبيحًا لا يسعك المقام عليه؟ قال : لا والله، بل جزاك الله عن نفسك وعن سلطانك خيراً، ولكن أمر حدث ، ولابد لى من الانصراف إلى أمير المؤمنين فاقسم عليه أن يخبره، فقال له : إن أمير المؤمنين قد مات أو هو ميت إلى أيام، قال : ومن أين علمت بذلك؟ فأخبره بخبر الكتابة، وقال : ليس يدخل حجرتى غيرى وغير جاريتى فلانه، وما كتب ذلك إلا الجن أو الملائكة، فقال له بشر : أقم فإنى أرجو أن لا يكون لهذا حقيقة، فلم يثنه شىء، وسار إلى الشام، فأقبل بشر على الشراب والطرب، فلما لقى روح عبد الملك أنكر أمره، وقال : ما إقدامك إلا لحادثة حدثت على بشر، أو لأمر كرهته، فاثنى على بشر، وحمد سيرته، وقال : لا بل لأمر لا يمكننى ذكره حتى تخلو، فقال عبد الملك لجلسائه: انصرفوا، وخلا بروح، فأخبره بقصته وأنشده الأبيات ، فضحك عبد الملك حتى استغرق، وقال ثقلت على بشر وأصحابه حتى احتالوا لك بما رأيت، فلا تُرع.

ولما اتصل قتل مصعب بأخيه عبد الله أضرب عن ذكره حتى تحدث بذلك العبيد والإماء فى سكك المدينة ومكة، فصعد المنبر وجبينه يرشح عرقا، فقال : الحمد لله ملك الدنيا والآخرة، يؤتى الملك من يشاء، وينزع الملك ممن يشاء، ويعز من يشاء، ويذل من يشاء، بيده الخير، وهو على كل شىء قدير، ألا إنه لن يذل الله من كان الحق معه، ولن يعز من كان أولياء الشيطان حزبه، إنه أتانا خبر من العراق أحزننا وأفرحنا، وهو قتل مصعب، فأما الذى أحزننا من ذلك فإن لفراق الحميم لوعة يجدها حميمه عند المصيبة، ثم يرعوى من بعد ذلك إلى كريم

الصبر وجميل العزاء، وأما الذى أفرحنا فإن القتل له شهادة، ويجعل الله لنا وله فى ذلك الخيرة، أما والله إنا لانموت حتفًا كميته آل أبى العاص وإنما نموت قعصاً بالرماح، وقتلا تحت ظلال السيوف، ألا وإن الدنيا عارية من الملك القهار الذي لا يزول سلطانه ولا يتبدل، فإن تُقبل الدنيا عليّ لا آخذها أخذ الأشر البطر، وإن تُدبر عنى لا أبكى عليها بكاء الحزين المهين.

فأتى الحجاج الطائف، فأقام بها شهوراً، ثم زحف إلى مكة، فحاصر ابن الزبير بها، وكتب إلي عبد الملك: إنى قد ظفرت بأبي قُبيس ، فلما ورد كتابه على عبد الملك بحصار ابن الزبير بمكة والظفر بأبى قُبيس كبر عبد الملك فكبر من معه فى داره، واتصل التكبير بمن في جامع دمشق فكبروا، واتصل ذلك بأهل الأسواق فكبروا ثم سألوا عن الخبر، فقيل لهم : إن الحجاج حاصر ابن الزبير بمكة وظفر بأبى قُبيس، فقالوا: لا نرضي حتى يحمله إلينا مكبلا على رأسه برنس على جمل يمر بنا فى الأسواق الترابى الملعون، وكان حصار الحجاج لابن الزبير بمكة هلال ذى القعدة سنة اثنتين وسبعين، وفيها قتل مصعب وما ذكرنا من قول أهل دمشق في ابن الزبير فذكره عمر ابن شبة النميرى عن ابن عاصم ومنع ابن الزبير الحجاج أن يطوف بالبيت، ووقف الحجاج بالناس بعرفة محرما فى درع ومغفر، وهو من أبناء إحدى وثلاثين سنة، ونحر ابن الزبير بمكة، ولم يخرج إلى عرفة بسبب الحجاج، فكانت مدة حصار الحجاج لابن الزبير بمكة خمسين ليلة.

ودخل ابن الزبير على أمه أسماء بنت أبى بكر الصديق رضى الله عنها وقد بلغت من السن مائة سنة لم تقع لها سن، ولا ابيض لها شعر، ولم ينكر لها عقل، فقال : يا أمه، كيف تجدينك؟ قالت : إنى لشاكية يابنى، فقال لها : إن فى

الموت راحة، قالت : لعلك تمناه لى ، وما أحب أن أموت حتى يأتى على أحد طرفيك: إما قُتلت فاحتسبك ، وإما ظفرت فقرت عينى بك ، وأوصى عبد الله بما يحتاج من أمره وأمر نسائه إذا سمعن الواعية عليه أن يضممن أمه أسماء إليهن، وكان عروة بن الزبير على رأى عبد الملك بن مروان، وكانت كتب عبد الملك بن مروان إلى الحجاج متضلة يأمره بتعاهد عروة وأن لا يسوءه فى نفسه وماله، فخرج عروة إلى الحجاج، ورجع إلى أخيه فقال له : هذا خالد بن عبد الله بن خالد بن أسيد وعمرو بن عثمان بن عفان يعطيانك أمان عبد الملك على ما أحدثت أنت ومن معك، وأن تنزل أى البلاد شئت، لك بذلك عهد الله وميثاقه، وغير ذلك من الكلام، فأبى عبد الله قبول ذلك، وقالت له أمه أسماء : أى بنىَّ، لا تقبل خُطة تخاف على نفسك منها مخافة القتل، مت كريمًا، وإياك أن تؤسر، أو تعطى بيديك، فقال : يا أمه، إنى أخاف أن يمثل بى بعد القتل، فقالت : يا بنى، وهل تتألم الشاة من ألم السلخ بعد الذبح؟ ودخلوا على ابن الزبير فى المسجد وقت الصلاة، وقد التجأ إلى البيت وهم ينادون : يا ابن ذات النطاقين.

ونظر إلى طائفة منهم قد أقبلوا نحوه بالسيوف، فقال لأصحابه: من هؤلاء؟ قالوا : أهل مصر ، قال : قتلة عثمان أمير المؤمنين ورب الكعبة، فحمل عليهم ، فضرب رجلا منهم به أدمة فقده [١]، وقال : صبراً يا ابن حام[٢]، وتكاثر عليه الرجال من أهل الشام ومصر، فلم يزل يضرب فيهم حتى أخرجهم عن المسجد، ورجع إلى البيت.

---

(١) شقه .

(٢) يشير إلى حام بن نوح - عليه السلام - .

فاستلم الحجر، ثم تكاثروا عليه، فحمل عليهم، فأتاه حجر فصك جبينه فأدماهوأوضحه(١).

فكشفهم عن المسجد، ورجع على من بقى من أصحابه عند البيت، فقال لهم: ألقوا أغماد السيوف، وليصن كل رجل منكم سيفه كما يصون وجهه، لا ينكسر سيف أحدكم فيقعد كالمرأة، ولا يسأل رجل منكم : أين عبد الله، من يسأل عنى فإننى فى الرعيل الأول.

وتكاثر أهل الشام عليه ألوفاً من كل باب، فحمل عليهم، فشدخ بالحجارة، فانصرع ، وأكب عليه موليان له .

حتى قتلوا جميعا، وتفرق من كان معه من أصحابه، وأمر به الحجاج فصلب بمكة، وكان مقتله يوم الثلاثاء، لأربع عشرة ليلة خلت من جمادى الأولى، سنة ثلاث وسبعين. رضى الله عنه ، فهو أول مولود ولد بالمدينة وفرح به المسلمون وحنكة رسول الله ﷺ وقد كان صوما قواما إذا قام يصلى كأن على رأسه الطير وكانت الطيور تحسبه عودا من شدة خشوعه فى الصلاة وطول قيامه.

وكلمت أسماء أمه الحجاج فى دفنه، فأبى عليها، فقالت للحجاج: أشهد إنى لسمعت رسول الله ﷺ يقول : " يخرج من ثقيف كذاب ومُبير(٢)" فأما الكذاب فهو المختار، وأما المبير فما أظنك إلا هو .

وأقام الحجاج واليا على مكة والمدينة والحجاز واليمن واليمامة ثلاث

---

(١) كشف عظام رأسه .

(٢) المبير : الهالك .

سنين، ثم جمع له العراق بعد موت بشر بن مروان بالبصرة.

ومات جابر بن عبد الله الأنصارى فى أيام عبد الملك بالمدينة، وذلك فى سنة ثمان وسبعين، وقد ذهب بصره، وهو ابن نيف وتسعين سنة.

وقد كان قدم إلى معاوية بدمشق، فلم يأذن له أياما، فلما أذن له قال : يا معاوية، أما سمعت رسول الله ﷺ يقول : " من حجب ذا فاقة وحاجة حجبه الله يوم القيامة، يوم فاقته وحاجته" فغضب معاوية، وقال له : لقد سمعته يقول : " إنكم ستلقون بعدى أثرة، فاصبروا حتى تردوا على الحوض" أفلا صبرت ؟ قال: ذكرتنى ما نسيت، وخرج فاستوى على راحلته ومضى، فوجه إليه معاوية بستمائة دينار، فردها اليه.

وقال لرسوله: قل له والله يا ابن آكلة الأكباد لا وجدت فى صحيفتك حسنة أنا سببها أبداً.

ومات محمد بن على بن أبى طالب، ابن الحنفية فى سنة إحدى وثمانين في أيامه بالمدينة، ودفن بالبقيع، وصلى عليه أبانُ بن عثمان بن عفان بإذن ابنه أبى هاشم، وكان محمد يكنى بأبى القاسم، وقبض وهو ابن خمس وستين سنة وقيل : إنه خرج إلى الطائف هارباً من ابن الزبير فمات بها، وقيل : إنه مات ببلاد أيلة، وقد تنوزع فى موضع قبره، وكان له من الولد: الحسن، وأبو هاشم، وعبد الله ، وجعفر الأكبر، وحمزة، وعلى لأم ولد، وجعفر الأصغر وعون ، أمهما أم جعفر والقاسم ، وإبراهيم.

وكتب ابن الحنفية إلى عبد الملك: إن الحجاج قد قدم بلدنا وقد خفته فأحب أن لا تجعل له على سلطاناً بيد ولا لسانٍ، فكتب عبد الملك إلى الحجاج: إن

محمد بن على كتب إلي يستعفينى منك، وقد أخرجت يدك عنه، فلم أجعل لك عليه سلطانًا بيدٍ ولا لسانٍ، فلا تتعرض له، فلقيه فى الطواف فعض علي شفته، ثم قال : لم يأذن لى فيك أمير المؤمنين، فقال له محمد : ويحك أو ما علمت أن لله تبارك وتعالى فى كل يوم وليلة ثلاثمائة وستين لحظة، أو قال نظرة، لعله أن ينظر إلى منها بنظرة، أو قال يلحظنى بلحظة، فيرحمنى فلا يجعل لك على سلطانًا بيد ولا لسان، قال : فكتب بها الحجاج إلى عبد الملك ، فكتب بها عبد الملك إلي ملك الروم وكان قد توعده، فكتب إليه ملك الروم : ليست هذه من سجيتك ولا من سجية آبائك، ما قالها إلا نبى، أو رجل من أهل بيت نبى.

وذكر الشعبى قال : أنفذنى عبد الملك إلي ملك الروم، فلما وصلت إليه جعل لا يسألنى عن شيء إلا أجبته، وكانت الرسل لا تطيل الإقامة عنده، فحبسنى أياما كثيرة، حتى استحببت خروجى ، فلما أردت الانصراف قال لى : من أهل بيت المملكة أنت ؟ قلت : لا ، ولكنى رجل من العرب فى الجملة، فهمس بشيء، فدفعت إلى رقمة، وقيل لى : إذا أديت الرسائل عند وصولك إلى صاحبك أوصل إليه هذه الرقعة، قال : فأديت الرسائل عند وصولى إلى عبد الملك، ونسيت الرقعة فلما صرت فى بعض الدار إذ بدأت بالخروج تذكرتها فرجعت فأوصلتها إليه، فلما قرأها قال لى : أقال لك شيئًا قبل أن يدفعها إليك؟ قلت: نعم، قال لى من أهل بيت المملكة أنت ؟ قلت : لا ، ولكنى رجل من العرب فى الجملة، ثم خرجت من عنده، فلما بلغت الباب ردتت، فلما مثلت بين يديه قال لى: أتدرى ما فى الرقعة؟ قلت : لا ، قال : اقرأها، فلما قرأتها فإذا فيها: عجبت من قوم فيهم مثل هذا كيف ملكوا غيره، فقلت له : والله لو علمت مافيها ما حملتها، وإنما قال هذا لأنه لم يرك، قال : أفتدرى لم كتبها؟ قلت : لا ، قال : حسدنى عليك وأراد

أن يغريني بقتلك، قال : فتأدي ذلك إلى ملك الروم، فقال : ما أردت إلا ما قال.

وذكر عن معاوية عبد الملك فقال : هو آخذ بثلاث، وتارك لثلاث: آخذ بقلوب الناس إذا حدث، وبحسن الاستماع إذا حُدث، وبأيسر الأمرين إذا خولف، تارك للمُماراه، تارك للغيبة، وتارك لما يعتذر منه.

وقال لعبد الملك بعض جلسائه يومًا: أريد الخلوة بك، فلما خلا به قال له عبد الملك : بشرط ثلاث خصال: لا تُطر نفسى عندك فأنا أعلم بها منك، ولا تغتب عندى أحداً فلست أسمع منك، ولا تكذبنى فلا رأى لمكذب، قال : أتأذن لى فى الانصراف ؟ قال : إذا شئت.

وذكر الهيثم وغيره من الإخباريين أن عبد الملك بلغه عن عامل من عماله أنه قبل الهدايا، فأشخصه إليه، فلما دخل عليه قال له : أقبلت هدية منذ وليت؟ قال له: يا أمير المؤمنين، بلادك عامرة، وخراجك موفور، ورعيتك على أفضل حال، قال : أجب فيما سألتك عنه، أقبلت هدية منذ وليتك ؟ قال : نعم ، قال : إن كنت قبلت ولم تعوض إنك للئيم، ولئن كنت أنلت مُهديها من غير مالك أو استكفيته مالم يكن مثله مستكفاه إنك لخائن جائر، وما أتيت أمر لا تخلو فيه من دناءة أو خيانة أو جهل مصطنع ، وأمر بصرفه من عمله.

وحدث المنقرى عن الضبى قال : قال الوليد بن إسحاق : قال ابن عباس : كانت عاتكة بنت يزيد بن معاوية ـ وأمها أم كلثوم بنت عبد الله ابن عامرـ تحت عبد الملك بن مروان، فغضبت عليه، فطلب رضاها بكل شىء، فأبت عليه وكانت أحب الناس إليه، فشكا ذلك إلى خاصته، فقال له عمرو بن بلال رجل من بنى أسد كان قد تزوج بنت زنباع الجذامى: مالى عليك إن أرضيتها ؟ قال : حكمك،

فخرج وجلس ببابها يبكى فقالت له خاصتها: مالك تبكى أبا حفص ؟ قال : فزعت إلى ابنة عمى ، فاستأذنوا لى عليها، فأذنت له وبينهما ستر، فقال : قد عرفت حالى مع أمراء المؤمنين معاوية ويزيد ومروان وعبد الملك، ولم يكن لى غير ابنين فعدا أحدهما على الآخر فقتله، فقال أمير المؤمنين: أنا قاتل المعتدى ، قلت له : أنا ولىُّ الدم وقد عفوت، فأبي علىّ وقال : ما أحب أن أعود رعيتى هذا، وهو قاتله بالغداة، فأنشدك الله إلا ما طلبته منه، فقالت : لا أكلمه، قال : ما أظنك تكسبين شيئًا هو أفضل من إحياء نفس، ولم يزل بها خواصها وخدمها وحاشيتها حتى قالت : على بثيابى، فلبست، وكان بينها وبين عبد الملك باب، وكانت قد ردمته، فأمرت بفتحه، ثم دخلت فأقبل الخصى يشتد فقال : يا أمير المؤمنين، هذه عاتكة ، قال : ويلك !! ورأيتها؟ قال : نعم، إذ طلعت وعبد الملك على سريره، فسلمت ، فسكت، فقالت : أما والله لولا مكان عمرو بن بلال ما أتيتك، آلله[1] أن عدا أحد أبنيه على الآخر فقتله وهو ولى الدم وقد عفا عنه أعزمت لتقلته ! قال : إى والله وهو راغم، فأخذت بيده فأعرض عنها، فأخذت برجله فقبلتها ، فقال : هو لك ، وتراضيا بعد أن نكحها ثلاثا وراح عبد الملك فجلس مجلسه للخاصة، فدخل عمرو ابن بلال، فقال له : يا أبا حفص، ألطفت الحيلة فى القيادة، ولك الحكم، قال : يا أمير المؤمنين ألف دينار ومزرعة بما فيها من الآلات والدقيق ، قال : هى لك ، قال : وفرائض لولدى وأهل بيتى، قال : وذلك كله، وبلغ عاتكة الخبر ، فقالت : ويلى على القواد، إنما خدعنى.

وكتب عبد الملك إلي الحجاج أن صف لى الفتنة، فكتب إليه : إن الفتنة تشب بالنجوى، وتحصد بالشكوى، وتنتج بالخطب، فكتب إليه إنك قد أصبت

---

(١) أى أنشدك الله أى تسأله بالله .

وأحسنت الصفة، فإن أردت أن يستقيم لك من قبلك فخذهم بالجماعة، وأعطهم عطاء الفرقة، وألصق بهم الحاجة.

لما بلغ عبد الملك خلع ابن الأشعث صعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال : إن أهل العراق استعجلوا قدرى قبل انقضاء أجلى، اللهم لا تسلطنا على من هو خير منا، ولا تسلط علينا من نحن خير منه، اللهم سلط سيف أهل الشام على أهل العراق حتى يبغ رضاك، فإذا بلغه فلا تجاوز به سخطك.

وكتب عبد الملك إلي الحجاج : أنت عندى سالم، فلم يعرف ما أراد بذلك ؛ فكتب إلى قتيبة بن مسلم يسأله عن ذلك، وبعث الكتاب مع رسول فلما ورد على قتيبة وناوله الكتاب ضرط الرسول ، فخجل واستحيا ، فقرأه قتيبة وأراد أن يقول له اقعد فقال : اضرط، قال : قد فعلت، فاستحيا قتيبة وقال : ما أردت إلا أن أقول لك اقعد فغلطت، فقال : قد غلطت أنا وغلطت أنت، قال قتيبة : ولا سواء ، أغلط أنا من فمى وتغلط أنت من استك، أعلم الأمير أن سالماً كان عبداً لرجل، وكان عنده أثيراً، وكان يُسعى به إليه كثيراً. فأراد عبد الملك أنك عندى بمنزلة سالم، فلما أتى الحجاج بالرسالة كتب له عهداً على خراسان.

وقد روى نحو هذا الخبر عن رجل كان فى مجلس خالد بن عبد الله القسرى فضرط، فلما حضر الغداء قام ذلك الرجل، فقال له خالد : اقعد، فأبى ، فقال له : أقسمت عليك لتضرطن، قال : قد ضرطت، فخجل خالد، واعتذر إليه، وأمر له بمال.

وأهدى إلى عبد الملك أترسة مكللة بالدر والياقوت، فأعجبته، وعنده جماعة من خاصته وأهل خلوته، فقال لرجل من جلسائه اسمه خالد : اغمز منها ترساً،

وأراد أن يمتحن صلابته، فقام فغمزه فضرط، فاستضحك عبد الملك، فضحك جلساؤه، فقال : كم دية الضرطة؟ فقال بعضهم : أربعمائة درهم وقطيفة، فأمر له بذلك.

فقال عبد الملك : أعطوه أربعة آلاف درهم، ولا حاجة لنا فى ضراطك.

وحج عبد الملك فى بعض أعوامه : فأمر الناس بالعطاء ، فخرجت بدرة مكتوب عليها "من الصدقة" فأبى أهل المدينة من قبولها وقالوا : إنما كان عطاؤنا من الفيء . فقال عبد الملك وهو على المنبر: يا معشر قريش ، مثلنا ومثلكم أن أخوين فى الجاهلية خرجا مسافرين، فنزلا فى ظل شجرة تحت صفاة ، فلما دنا الرواح خرجت إليهما من تحت الصفاة حية تحمل دينارا فألقته إليهما، فقالا: إن هذا لمن كنز، فأقاما عليها ثلاثة أيام كل يوم تخرج إليهما دينارا، فقال أحدهما لصاحبه : إلى متى ننتظر هذه الحية؟ ألا نقتلها ونحفر هذا الكنز فنأخذه؟ فنهاه أخوه، وقال له : ما تدرى لعلك تعطب ولا تدرك المال، فأبى عليه، وأخذ فأسا معه ورصد الحية حتى خرجت، فضربها ضربة جرحت رأسها ولم تقتلها، فثارت الحية فقتلته، ورجعت إلى جحرها، فقام أخوه فدفنه، وأقام حتى إذا كان من الغد خرجت الحية معصوباً رأسها ليس معها شيء، فقال لها : يا هذه إنى والله ما رضيت ما أصابك، ولقد نهيت أخى عن ذلك، فهل لك أن نجعل الله بيننا أن لا تضرينى ولا أضرك، وترجعين إلى ما كنت عليه؟ قالت الحية: لا، قال : ولم ذلك ؟ قالت : إنى لأعلم أن نفسك لا تطيب لى أبداً وأنت ترى قبر أخيك، ونفسى لا تطيب لك أبداً وأنا أذكر هذه الشجة. أنشدهم شعر النابغة :

فقالت : أرى قبرا تراه مقابلى    وضربة فأس فوق رأسى فاقرة

فيا معشر قريش، وليكم عمر بن الخطاب فكان فظا غليظا مُضيقا عليكم، فسمعتم له وأطعتم، ثم وليكم عثمان فكان سهلا ليناً كريماً فعدوتم عليه فقتلتموه، وبعثنا عليكم مسلماً يوم الجرة فقتلتموه، فنحن نعلم يا معشر قريش أنكم لا تحبوننا أبدا وأنتم تذكرون يوم الحرة، ونحن لا نحبكم أبداً ونحن نذكر مقتل عثمان.

وحدث المدائنى وابن دأب أن روح بن زنباع جليس عبد الملك رأى منه إعراضاً وجفوة ، فقال للوليد بن عبد الملك : أما ترى ما أنا فيه من أمير المؤمنين بإعراضه عنى بوجهه حتى لقد فغرت السباع بأفواهها نحوى وأهوت بمخالبها إلى وجهى ؟ فقال له الوليد: احتل له فى حديث تضحكه به كما احتال مرزبان نديم سابور بن سابور ملك فارس، قال روح : وما كان من خبره مع الملك ؟ قال الوليد: كان مرزبان هذا من سُمار سابور، فظهرت له من سابور جفوة، فلما علم ذلك تعلم نُباح الكلاب، وعُواء الذئاب، ونهيق الحمير، وزقاء الديوك ، وشجيج البغال، وصهيل الخيل، ومثل هذا، ثم احتال حتى توصل إلى موضع يقرب من مجلس خلوة الملك وفراشه، وأخفى أثره، فلما خلا الملك نبح نُباح الكلاب، فلم يشك الملك أنه كلب، فقال الملك: انظروا ما هذا؟ فعوى عُواء الذئاب، فنزل الملك عن سريره، فنهق نهيق الحمير، فمضى الملك هارباً، ومضى الغلمان يتبعون الأثر والصوت، فكلما دنوا منه ترك ذلك الصوت وأحدث صوتا آخر من أصوات البهائم، فأحجموا عنه، ثم اجتمعوا فاقتحموا عليه فأخرجوه، فلما نظروا إليه قالوا للملك: هذا مرزبان المضحك، فضحك الملك ضحكا شديداً، وقال له : ويلك !! ما حملك عى هذا؟ قال : إن الله مسخنى كلباً وذئباً وحماراً

وكل خلق لما غضبت على ، فأمر الملك بالخلع عليه، ورده إلي مرتبته التى كان فيها، وتجدد للملك به مسرور، فقال روح للوليد: إذا اطمأن المجلس بأمير المؤمنين فاسألنى عن عبد الله بن عمر هل كان يمزح أو يسمع مُزاحا؟ قال : الوليد: أفعل، وكان ابن عمر صاحب سلامة لا يمزح ولا يعرف شيئاً عن المزاح، فتقدم الوليد وسبقه بالدخول، فتبعه روح، فلما اطمأن بهما مجلس عبد الملك قال الوليد لروح ، يا أبا زرعة، هل كان ابن عمر يمزح أو يسمع المزح؟ قال روح: حدثنى ابن أبى عتيق أن امرأته عاتكة بنت عبد الرحمن المخزومية. هجته فقالت:

ذهب الإله بما تعيش بـه      وقُمرت عيشك أبا قمــر

انفقت مالك غير محتشم      فى كل زانية وفى الخمر

وكان ابن أبى عتيق صاحب غزل وفكاهة، فأخذ هذين البيتين في رقعة وخرج فإذا هو بابن عمر، فقال : يا أبا عبد الرحمن، انظر فى هذه الرقعة وأشر على برأيك فيها، فلما قرأها عبد الله استرجع، فقال له : ما ترى فيمن هجانى بهذا الشعر، قال : أرى أن تعفو وتصفح، قال : والله يا أبا عبد الرحمن لئن لقيته بناحية لأفعلن به[1] ، فأخذت ابن عمر أفكل ورعدة واربد لونه، وقال : مالك غضب الله عليك، قال : ما هو إلا ما قلت لك، وافترقا، فلما كان بعد أيام لقيه فأعرض عنه ابن عمر، فقال : يا أبا عبد الرحمن، إنى لقيت صاحب البيتين وفعلت به، فصُعق عبد الله بن عمر فلما رأى ما حل به دنا منه وقال له فى أذنه: إنها امرأتى فقام ابن عمر فقبل ما بين عينيه وضحك، وقال : أحسنت فزدها، فضحك عبد الملك حتى فحص برجله، وقال له : قاتلك الله يا روح، ما أطيب

(١) جاءت فى مروج الذهب بلفظ بذئ وجملة تبدأ بنون وياء وكاف .

حديثك ! ومد يده إليه ، فقام إليه روح فأكب عليه وقبل أطرافه، وقال : يا أمير المؤمنين، ألذنب فاعتذر، أم لملالة فأصطبر وأرجو عاقبتها؟ قال : لا والله ما ذاك لشيء تكرهه، ثم عاد إلى أحسن حالاته.

وقد حكى مثل هذا عن عبد الملك بن مهلهل الهمذاني، وكان سميراً لسليمان بن المنصور ، وكان سليمان قد جفاه، فأتاه يوما فى قائم الظهيرة واحتدام الهجيرة فاستأذن، فقال له الحاجب: ليس هذا بوقت إذن على الأمير، فقال له : أعلمه بمكاني، فدخل فاستأذن له ، فقال لسليمان: مره يسلم قائما ويخفف، فخرج الحاجب فأذن له وأمره بالتخفيف، فدخل فسلم قائما ثم قال : أصلح الله الأمير، إني انصرفت بالأمس إلى نحو منزلي وقد أمسيت ، فبينا أنا فى طريقى إذ أذن مؤذن، فدنوت، ثم صعدت إلى مسجد مغلق فصعدت ثم صعدت ثم صعدت، قال سليمان: فبلغت السماء فكان ماذا؟ قال : فتقدم إنسان إما كردى أو طمطمانى فأم القوم بكلام ما أفهمه ولغة ما أعرفها ، فقال : ويل لكل زممة زما مالا وعده، قال : يريد ويل لكل همزة لمزة الذى جمع مالا وعدده، فإذا خلفه سكران ما يعقل سكراً، فلما سمع قراءته ضرب بيديه ورجليه وجعل يقول : أيرعبكى در ليلكا فى حر (الفرْج) أم قارئك ومصليك، فضحك سليمان حتى تمرّغ على فراشه، وقال : ادن منى يا أبا محمد، فأنت أطيب أمة محمد، ثم دعا بخلعة، وقال : الزم الباب واغد فى كل يوم ، وعاد إلى أحسن حالاته عنده.

# أيام الوليد بن عبد الملك

## موجز :

وبويع الوليد بن عد الملك بدمشق فى اليوم الذى توفى فيه عبدُ الملك ، وتوفى الوليد بدمشق للنصف من جمادى الآخرة من سنة ست وتسعين ؛ فكانت ولايته تسع سنين وثمانية أشهر وليلتين ، وهلك وهو ابن ثلاث وأربعين سنة ، وكان يكنى بأبى العباس .

## أخباره ، وسيره
## وما كان من الحجاج فى أيامه

### خلق الوليد وولده :

كان الوليد جباراً عنيداً ، ظلوما غشوما ، وخلف من الولد أربعة عشر ذكراً ، منهم يزيد ، وعمرو ، وبشر العالم ، والعباس ، وكان يدعى فارس بنى مروان لشهامته ، فعدل الوليد بالأمر عن ولده بعده اتباعا لوصية عبد الملك على حسب ما رتبها ، وكان نقش خاتمه « يا وليد أنك ميت » فيقول : لاها الله ، لا خالفت ما أمرنى به أبى ، إنى لميت.

### بناء مسجدى دمشق والمدينة :

وفى سنة سبع وثمانين ابتدأ الوليد ببناء المسجد الجامع بدمشق، وبناء مسجد الرسول صلى الله عليه وسلم بالمدينة ، فأنفق عليهما الأموال الجليلة ، وكان المتولى للنفقة على ذلك عمر بن عبد العزيز رحمه الله تعالى .وحكى عثمان بن مرة الخولانى قال : لما ابتدأ الوليد ببناء مسجد دمشق وجد فى حائط

المسجد لوحا من حجارة فيه كتابة باليونانية ، فعرض على جماعة من أهل الكتاب، فلم يقدروا على قراءته، فوجَّهَ به إلى وهب بن مُنَبِّه ، فقال : هذا مكتوب فى أيام سليمان بن داود عليهما السلام ، فقرأه فإذا فيه : بسم الله الرحمن الرحيم ، يا ابن آدم ، لو عاينت ما بقى من يسير أجلك ، لزهدت فيما بقى من طول أملك ، وقصرت عن رغبتك وحيلك ، وإنما تلقى ندمك ، إذا زَلَّتَ بك قدمك وأسلمك أهلك وحشم وانصرف عنك الحبيب ، وودَّعَك القريب ، ثم صرت تدعى فلا تجيب ، فلا أنت إلى أهلك عائد ، ولا فى عملك زائد ، فاغتنم الحياة قبل الموت ، والقوة قبل الفوت ، وقبل أن يؤخذ منك بالكَظْم ، ويحال بينك وبين العمل؛ وكتب زَمَنَ سليمان بن داود ؛ فأمر الوليد أن يكتب بالذهب على اللازورد فى حائط المسجد : ربُّنَا الله ، لا نعبد إلا الله ، أمر ببناء هذا المسجد ، وهدم الكنيسة التى كانت فيه عبدُ الله الوليدُ أميرُ المؤمنين فى ذى الحجة سنة سبع وثمانين .

## بين الوليد والحجاج :

ووفد الحجاج بن يوسف على الوليد ، فوجده فى بعض نُزَهه ، فأستقبله فلما رآه ترجَّلَ له ، وقبَّلَ يده ، وجعل يمشى وعليه درع وكنانة وقوس عربية ، فقال له الوليد : اركب يا أبا محمد ، فقال : دعنى يا أمير المؤمنين أستكثر من الجهاد ؛ فإن ابن الزبير وابن الأشعث شغلانى عنك، فعزم عليه الوليد حتي ركب، ودخل الوليد داره ، وتفضل فى غلالة، ثم أذن للحجاج فدخل عليه فى حاله تلك وأطال الجلوس عنده ، فبينما هو يحادثه إذ جاءت جارية فسارَّت الوليد ومضت ، ثم عادت فسارته ثم انصرفت ، فقال الوليد للحجاج : أتدرى ما قالت هذه يا أبا محمد ؟ قال : لا والله ، قال : بعثْتُهَا إلىَّ ابنةُ عمى أمُّ البنين بنتُ عبد

العزيز تقول : ما مجالستك لهذا الأعرابى المتسلّحِ فى السلاح وأنت فى غلالة ؟ فأرسلْتُ إليها أنه الحجاج ، فراعها ذلك ، وقالت : والله ما أحب أن يخلو بك وقد قتل الخلق ، فقال الحجاج : يا أمير المؤمنين ، دَعْ عنك مفاكهة النساء بزخرف القول ، فإنما المرأة ريحانة وليست بقهرمانة ، فلا تطلعهن على سرك ، ولا مكايدة عدوك، ولا تُطعْهن فى غير أنفسهن ، ولا تشغلهن بأكثر من زينتهن ، وإياك ومشاورتهن فى الأمور فإن رأيهن إلى أفْنٍ ، وعزمَهُنَّ إلى وَهْنٍ ، واكفف عليهن من أبصارهن بحُجبك ، ولا تملك الواحدة منهن من الأمور ما يجاوز نفسها ، ولا تطمعها أن تشفع عندك لغيرها ، ولا تطل الجلوس معهن والخلوة بهن ، فإن ذلك أوفر لعقلك ، وأبْيَنُ لفضلك ، ثم نهض الحجاج فخرج.

## بين الحجاج وأم البنين :

ودخل الوليد على أم البنين فأخبرها بمقالة الحجاج ، فقالت : يا أمير المؤمنين أحِبُّ أن تأمره غداً بالتسليم علىَّ ، فقال : أفعل ، فلما غدا الحجاج على الوليد قال له : يا أبا محمد ، سِرْ إلى أم البنين فسلم عليها ، فقال : أعْفِنى من ذلك يا أمير المؤمنين ، فقال : لا بد من ذلك ، فمضى الحجاج إليها ، فحجبته طويلا ، ثم أذنت له فأقرته قائماً ، ولم تأذن له فى الجلوس ، ثم قالت : إيه يا حجاج ، أنت الممتَنُّ على أمير المؤمنين بقتل ابن الزبير وابن الأشعث ؟ أما والله لولا أن الله جعلك أهْوَنَ خلقه ما ابتلاك برمى الكعبة ، ولا بقتل ابن ذات النِّطاقين ، وأول مولود فى الإسلام ، وأما ابن الأشعث فقد والله وإلى عليك الهزائم ، حتى لُذْتَ بأمر المؤمنين عبد الملك فأغاثك بأهل الشام وأنت فى أضيق من القرن ، فأظَلَّتْك رماحهم ، وأنجاك كفاحهم وطالما نفض نساء أمير المؤمنين المسك من غدائرهن وبِعْنَه فى الأسواق فى أرزاق البعوث إليك ، ولولا ذلك لكنت

أذل من النَّقَد ، وأما ما أشرت به على أمير المؤمنين من ترك لذاته والامتناع من بلوغ أوطاره من نسائه فإن كنَّ ينفرجن عن مثل ما انفرجَتْ به عنك أمُّك فما أحَقَّه بالأخذ عنك والقبول منك ، وإن كن ينفرجن عن مثل أمير المؤمنين فإنه غير قابل منك ولا مُصْغٍ إلى نصيحتك ، قاتل الله الشاعر وقد نظر إليك وسنان غزالة الحرورية بين كتفيك حيث يقول :

أَسَدٌ عليَّ وفي الحروب نعامــة  فزعاء تفزع من صفير الصافر

هلا بَرَزْتَ إلى غزالة في الوغى  بل كَان قلبك في جناحَيْ طـائر

ثم قالت لجواريها أخْرِجْنَهُ عني ، فدخل إلى الوليد من فَوْره ، فقال : والله يا أمير المؤمنين ما سكنت حتى كان بطن الأرض أحَبَّ إلي من ظاهرها ، فضحك الوليد حتى فحص برجله ، ثم قال : يا أبا محمد ما كنت فيه ؟ ، إنها بنت عبد العزيز.

ولأم البنين هذه أخبار كثيرة في الجود وغيره .

## موت علي ابن الحسين السجاد :

وفي سنة خمس وتسعين قبض علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب في ملك الوليد ، ودفن بالمدينة في بقيع الغَرْقَد مع عمه الحسن بن علي، وهو ابن سبع وخمسين سنة ، ويقال : إنه قبض سنة أربع وتسعين ، وكل عقب الحسين من علي بن الحسين هذا وهو السجاد على ما ذكرنا ، وذو الثفنات، وزين العابدين .

## موت عبد الملك بن مروان :

وذكر المدائنى قال : دخل الوليد على أبيه عبد الملك عند وفاته ، فجعل يبكى عليه وقال : كيف أصبح أمير المؤمنين ؟ فقال عبد الملك :

ومشـتغل عنا يريد بنا الردى ومستعبرات والعيون سواجم

أشار بالمصراع الأولى إلى الوليد ، ثم حَوَّل وجهه عنه ، وأشار بالمصراع الثانى إلى نسائه ، وهن المستعبرات .

وذكر العتبى وغيره من الأخباريين أن عبد الملك لما سأله الوليد عن خبره وهو يجود بنفسه أنشأ يقول :

كم عائد رجلا وليس يعـوده إلا لينظـر هـل يـراه يمـوت

وقيل : إن عبد الملك نظر إلى الوليد وهو يبكى عليه عند رأسه فقال :

## و صية عبد الملك عند موته :

يا هذا ، أحنين الحمامة ؟ إذا أنامتُ فشمر واتزرْ ، والبسْ جلد نمر ، وضع سيفك على عاتقك، فمن أبدي ذات نفسه لك فأضرب عنقه ، ومن سكت مات بدائه ، ثم أقبل عبد الملك يذم الدنيا فقال :"إن طويلك لقصير ، وإن كثيرك لقليل ، وإن كنا منك لفى غرور ، ثم أقبل على جسيع ولده فقال : أوصيكم بتقوى الله فإنها عصْمة باقية ، وجُنَّة واقية ، فالتقوى خير زاد ، وأفضل فى المعاد ، وهى أحصن كهف ، وليعطف الكبير منكم على الصغير ، وليعرف الصغير حق الكبير ، مع سلامة الصدور ، والأخذ بجميل الأمور ، وإياكم والبغى والتحاسد ، فبهما هلك الملوك الماضون ، وذوو العز المكين ، يا بنى ، أخوكم مسلمة نابكم

الذى تفترون عنه ، ومِجَنُّكم الذى تستجنون به ، اصْدُروا عن رأيه ، وأكرموا الحجاج ؛ فإنه الذى وطّأ لكم هذا الأمر ، وكونوا أولاداً أبراراً ، وفى الحوب أحراراً ، وللمعروف مناراً ، وعليكم السلام .

وسأله بعض شيوخ بنى أمية – وقد فرغ من وصية أولاده هذه – قال : كيف تجدك يا أمير المؤمنين ؟ قال : كما قال الله عز وجل : (ولقد جئتمونا فُرَادَى كم خلقناكم أول مرة ، وتركتم ما خَوَّلْنَاكم وراء ظهوركم) إلى قوله (وما كنتم تزعمون) فكان هذا آخر كلام سمع منه .

فلما قضى سَجَّاه الوليد ، ثم صعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال :

لم أر مثلها مصيبة ، ولا مثلها نعمة ، فقدت الخليفة ، وتقلدت الخلافة ، فإنا لله وإنا إليه راجعون على المصيبة ، والحمد لله رب العالمين على النعمة ، ثم دعا الناس إلى بيعته فبايعوا ، ولم يختلف عليه أحد .

## موت عبيد الله ابن العباس :

ومات فى أيام الوليد عبيد الله بن العباس بن عبد المطلب ، وذلك فى سنة سبع وثمانين ، وكان جواداً كريماً ، وذكر أن سائلا وقف عليه فقال له : تصدق مما رزقك الله ؛ فإنى نبئت أن عبيد الله بن العباس أعطى سائلا ألف درهم واعتذر إليه ، فقال : وأين أنا من عبيد الله ؟ قال له : وأين أنت منه فى الحسب أم فى كثرة المال ؟ قال : فيهما جميعاً ، قال : إن الحسب فى الرجل مروءته وحسن فعله ، فإذا فعلت ذلك كنت حسيباً ، فأعطاه ألفى درهم واعتذر إليه ، فقال له السائل : إن لم تكن عبيد الله فأنت خير منه ، وإن كنت هو فأنت اليوم خير منك أمس ، فأعطاه ألفاً أيضاً ، فقال : لئن كنت عبيد الله إنك لأسمح أهل

دهرك ، وما إخا لك إلا من رَهْطٍ فيهم محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأسألك بالله أأنت هو؟ قال : نعم ، قال : والله ما أخطأت إلا باعتراض الشك بين جوانحى ، وإلا فهذه الصورة الجميلة والهيئة المنيرة لا تكون إلا فى نبى أو عترة نبى .

وذكر أن معاوية وصله بخمسمائة ألف درهم ، ثم وَجَّه له من يتعرَّف له خبره ، فانصرف إليه فأعلمه أنه قسمها فى سُمَّاره وإخوانه حصصاً بالسوية ، وأبقى لنفسه مثل نصيب أحدهم ، فقال معاوية : إن ذلك ليسوءنى ويسرنى ، فأما الذى يسرنى فإن عبد مناف والده ، وأما الذى يسوءنى فقرابته من أبى تراب[1] دونى .

قال المسعودى : وقد قدمنا خبر مقتل ابنى عبيد الله فيما سلف، وهما عبد الرحمن وقُثَم ، وما رثتهما به أمهما أم حكيم جويرية بنت فارط بن خالد الكنانية .

### عبيد الله ابن العباس وبسر بن أرطاة :

وقد كان عبيد الله بن العباس دخل يوماً على معاوية وعنده قاتلُهما بُسْرُ ابن أرْطَاةَ العامرى ، فقال له عبيد الله : أيها الشيخ أنت قاتل الصبيين ؟ قال : نعْم ، قال : والله لوددت أن الأرض أنبتتنى عندك يومئذ ، فقال له بُسْرٌ : فقد أنبتتك الساعة ، فقال عبيد الله : ألا سيف ، فقال بُسْرٌ : هاك سيفى ، فلما هوى عبيد الله إلى السيف ليتناوله قبض معاوية ومَنْ حضر على يد عبيد الله قبل أن يقبض على السيف ، ثم أقبل معاوية على بُسْرٍ فقال : أخزاك الله من شيخ !! قد

---

(١) يقصد على بن أبى طالب (رضى الله عنه)

كبرت وذُهِل عقلك ، تعمد إلى رجل موتور من بنى هاشم فتدفع إليه سَيْفَكَ ، إنك لغافل عن قلوب بنى هاشم ، والله لو تمكن من السيف لبدأ بنا قبلك ، قال عبيد الله : ذلك والله أردت .

وكان على عليه السلام - حين أتاه خبر قتل بُسْرٍ لا بنى عبيد الله قُثَمَ وعبد الرحمن - دعا على بسر ، فقال : اللهم اسلبه دينه وعقله ، فخرف الشيخ حتى ذُهِل عقله ، واشتهر بالسيف فكان لا يفارقه ، فجعل له سيف من خشب ، وجعل بين يديه زق منفوح يضربه ، وكلما تخرق أبدل ، فلم يزل يضرب ذلك الزق بذلك السيف ، حتى مات ذاهل العقل يلعب بخرئه ، وربما كان يتناول منه ثم يقبل على مَنْ يراه فيقول : انظروا كيف يطعمنى هذان الغلامان ابنا عبيد الله؟ وكان ربما شدت يداه إلى وراء منعاً من ذلك فأنجى ذات يوم فى مكانه ، ثم أهوى بفيه فتناول منه ، فبادروا إلى منعه ، فقال : أنتم تمنعوننى وعبدُ الرحمن وقثَم يطعماننى ، ومات بسر فى أيام الوليد بن عبد الملك سنة ست وثمانين .

## موت عبد الله ابن عتبة بن مسعود الهذلى :

وفيها مات عبد الله بن عتبة بن مسعود الهذلى ، وعتبة مهاجر ، وهو أخو عبد الله بن مسعود بن غافل بن حبيب بن سمح بن مخزوم بن صبح ابن كاهل بن الحارث بن تميم بن سعد بن هذيل بن مدركة بن الياس بن مضر بن نزار ، وكانت الرياسة فى الجاهلية فى صبح بن كاهل بن الحارث بن تميم بن سعد بن هذيل ، وكان عبيد الله ولد عبد الله بن عتبة من كبار أهل العلم ، وذكر ابن أبى خيثمة قال : سمعت ابن الأصبهانى يقول : قال سفيان : قال الزهرى : كنت أظن أنى نلت من العلم ، حتى جالست عبيد الله بن عبد الله فكأنما هو البحر .

## مقتل سعيد ابن جبير :

وفى سنة أربع وتسعين قَتَلَ الحجاجُ سعيدَ بن جُبَيْرٍ ، فذكر عون بن أبى راشد العبدى قال : لما ظفر الحجاج بسعيد بن جبير وأوصل إليه قال له : ما اسمك ؟ قال : اسمى سعيد بن جبير ، قال : بل شقى بن كسير ، قال : أبى كان أعلم باسمى منك ، قال : لقد شقيت وشقى أبوك ، قال له : الغيب إنما يعلمه غيرك ، قال : لأبدلنك بالدنيا ناراً تلظى ، قال : لو علمت أن ذلك بيدك ما اتخذت إلهاً غيرك ، قال : فما قولك فى الخلفاء ؟ قال : لست عليهم بوكيل ، قال: فاختر أى قتلة تريد أن أقتلك ، قال : بل اختر يا شقى لنفسك ، فوالله ما تقتلنى اليوم بقتلة إلا قتلتك فى الآخرة بمثلها ، فأمر به الحجاج ، فأخرج ليقتل ، فلما ولى ضحك ، فأمر الحجاج برده ، وسأله عن ضحكه، فقال : عجبت من جراءتك على الله وحلم الله عنك ، فأمر به فذبح ، فلم كبَّ لوجهه قال : أشهد أن لا إلهَ إلا الله وحده لا شريك له ، وأن محمداً عبده ورسوله ، وأن الحجاج غير مؤمن بالله ثم قال : اللهم لا تسلط الحجاج على أحد يقتله من بعدى ، فذبح واحتز رأسه .

ولم يعش الحجاج بعده إلا خمس عشرة ليلة حتى وقعت فى جوفه الأكلة فمات من ذلك ، ويروى أنه كان يقول بعد قتل سعيد : يا قوم ، مالى ولسعيد بن جبير ؟ كلما عزمت على النوم أخذ بحلقى .

## بين الوليد وأخيه سليمان :

واشتكى الوليد ، فبلغه عن أخيه سليمان تمَنّ لموته لما له من العهد بعده ، فكتب إليه الوليد يعتب عليه الذى بلغه .

فأجابه سليمان : فهمتُ ما قال أمير المؤمنين ، ووالله لئن كنت تمنيت ذلك لما يخطر بالبال إنى لأول لا حقٍ به ومنعىٍّ إلى أهله ، فعلام أتمنى زوال مدة لا يلبث متمنيها إلا بقدر ما يحل السفر بمنزل ثم يظعنون عنه ؟ وقد بلغ أميرَ المؤمنين ما لم يظهر من لفظى ، ولا يرى من لحظى ، ومتى سمع أمير المؤمنين من أهل النميمة ، ومن ليست له روية أوشك أن يسرع فى فساد النيات ، ويقطع بين ذوى الأرحام والقرابات ،

فكتب إليه الوليد : ما أحسن ما اعتذرت به ، وحذوت عليه ، وأنت الصادق فى المقال ، والكامل فى الفعال ، وما شىء أشبه بك من اعتذارك ، ولا أبعد مما قيل فيك ، والسلام .

وكان الوليد متحنناً على إخواته ، مراعياً لسائر ما أوصاه به عبد الملك ، وكان كثير الإنشاد لأبيات قالها عبد الملك حين كتب إليه بوصيته منها:

انْفُوا الضغائن وعليكم ... عند المغيب وفى حضور المَشْهَدِ
فصلاحُ ذات البين طولُ بقائكم ... إن مُدَّ فى عمرى وإن لم يمدد
فلمثل ريب الدهر ألَّفَ بينكم ... بتواصل وتراحم وتودُّدُ
حتى تلين جلودكم وقلوبكم ... بمسوَّدٍ منكم وغير مسود
إن القداح إذ اجتمعن فَرَامَهَا ... بالكسر ذو حَنَقٍ وبَطْشٍ باليدِ
عَزَّتْ فلم تكسر، وإن هى بُدِّدت ... فالوهن والتكسير للمتبدد

## وصية عبد الملك لأولاده :

وكان عبد الملك مواظباً على حث أولاده على اصطناع المعروف ، وبعثهم على مكارم الأخلاق ، وقال لهم : يا بنى عبد الملك ، أحسابكم أحسابكم ، صونوها ببذل أموالكم ، فما يبالى رجل منكم ما قيل فيه من الهجو بعد قول الأعشى :

تبيتون فى المَشْتَى مِلاَء بطونكم     وجاراتكم غَرْثَى يبتن خمائصا

وما يبالى قوم ما قيل فيهم من المدح بعد قول زهير :

على مكثريهم حَقٌّ من يعتريهم     وعند المقلين السماحةُ والبذلُ

حدث عبد الله بن إسحاق بن سلام ، عن محمد بن حبيب ، قال : صعد الوليد المنبر فسمع صوت ناقس فقال : ما هذا ؟ قيل : البيعة ، فأمر بهدمها ، وتولى بعض ذلك بيده ، فتتابع الناس يهدمون ، فكتب إليه الأخرم ملك الروم : إن هذه البيعة قد أقرها مَنْ كان قبلك ، فإن يكونوا أصابوا فقد أخطأت ، وإن تكن أصبت فقد أخطأوا ، فقال : مَنْ يجيبه ؟ فقال الفرزدق : أنا ، فكتب إليه (وداود وسليمان إذ يحكمان فى الحرث إذ نفشت فيه غنم القوم وكنا لحكمهم شاهدين ، ففهمناها سليمان ، وكلا آتينا حكماً وعلماً).

## موت الحجاج :

ومات الحجاج فى سنة خمس وتسعين ، وهو ابن أربع وخمسن سنة بواسط العراق ، وكان تأمُّرُهُ على الناس عشرين سنة ، وأحصى من قتله صبراً سوى من قتل فى عساكره وحروبه فوجد مائة وعشرين ألفاً ، ومات وفى حبسه

خمسون ألف رجل ، وثلاثون ألف مرأة ، منهن ستة عشر ألفاً مجردة ، وكان يحبس النساء والرجال فى موضع واحد ، ولم يكن للحبس ستر يستر الناس من الشمس فى الصيف ولا من المطر والبرد فى الشتاء ، وكان له غير ذلك من العذاب .

وذكر أنه ركب يوماً يريد الجمعة ، فسمع ضجة ، فقال : ما هذا ؟ فقيل له : المحبوسون يضجون ويشكون ما هم فيه من البلاء ، فالتفت إلى ناحيتهم وقال : ( اخسأوا فيها ولا تكلمون ) فيقال : إنه مات فى تلك الجمعة ، ولم يركب بعد تلك الركبة .

قال المسعودى : ووجدت فى كتاب عيون البلاغات مما اختبر من كلام الحجاج قوله : ما سلبت نعمة إلا بكفرها ، ولا تَمَتْ إلا بشكرها . وقد كان الحجاج تزوج إلى عبد الله بن جعفر بن أبى طالب حين أَمْلَقَ عبدُ الله وافتقر .

## موت عبد الله ابن جعفر :

وقد كان عبد الله بن جعفر بن أبى طالب من الجود بالموضع المعروف ، ولما قلَّ ما لُه سمع يوم الجمعة فى المسجد الجامع وهو يقول : اللهم إنك قد عودتنى عادة فعودتُهَا عبادَكَ ، فإن قطعتها عنى فلا تبقنى ، فمات فى تلك الجمعة ، وذلك فى أيام عبد الملك بن مروان وصلى عليه أبَانُ بن عثمان بمكة؛ وقيل : بالمدينة ، وهى السنة التى كان بها السيل الجحاف الذى بلغ الركن وذهب بكثير من الحجاج .

وفى هذه السنة كان الطاعون العامُّ بالعراق والشام ومصر والجزيرة والحجاز وهى سنة ثمانين .

وقبض عبد الله بن جعفر وهو ابن سبع وستين ، وولد بالحبشة حين هاجر جعفر إلى هنالك ، وقيل : إن مولده كان فى السنة التى قبض فيها النبى صلى الله عليه وسلم ، وقيل غير ذلك .

وذكر المبرد والمدائنى والعتبى وغيرهم من الإخباريين أن عبد الله عوتب على كثرة إفضاله ، فقال : إن الله تعالى عَودنى أن يُفْضِل علىَّ ، وعَوَّدْتُه أن أفضل على عباده ، فأكره أن أقطع العادة عنهم فيقطع العادة عنى .

ووفد عبد الله على معاوية ، بدمشق ، فعلم به عمرو بن العاص قبل دخوله دمشق ، أخبره بذلك مولى له كان قد سار مع ابن جعفر من الحجاز فتقدمَّه بمرحلتين إلى دمشق ، فدخل عمرو على معاوية وعنده جماعة من قريش من بنى هاشم وغيرهم : منهم عبد الله بن الحارث بن عبد المطلب ، فقال عمرو : قد آتاكم رجل كثير الخلوات بالتمَّنى ، والطرقات بالتغُّنى ، آخذ للسلف ، منقاد بالسرف ، فغضب عبد الله بن الحارث ، وقال لعمرو : كذبت وأَهْلُ ذلك أنت ، ليس عبد الله كما ذكرت ، ولكنه لله ذَكُور ، ولبلائه شَكُور ، وعن الخنا[1] نَفُور ، ماجد مهذب كريم سيد حليم ، إن ابتدأ أصاب ، وإن سئل أجاب ، غير حَصِر ولا هياب ، ولا فَحاش ولا سَبَّاب، كالهِزَبْر الضرِّغام ، الجرىء المقدام ، والسيف الصمام ، والحسيب القمقام ، وليس كمن اختصم فيه من قريش شرارها ، فغلب عليه جَزَّارها ، فأصبح ألأمها حسباً ، وأدناها منصباً ، يلوذ منها بذليل ، ويأوى إلى قليل ، وليت شعرى بأى حسب تتناول ؟ أو بأى قدم تتعرض ؟ غير أنك تعلو بغير أركانك ، وتتكلم بغير لسانك ، ولقد كان أبر فى الحكم ، وأبين فى الفَضْل ، أن يكفَّكَ ابن أبى سفيان عن وَلوعك بأعراض قريش ، وأن يكعمك

(١) الخنا : الفحش .

كعام الضبع فى وجارها ، ولست لأعراضها بوفى ، ولا حسابها بكفى ، وقد أتيح لك ضَيْغم شَرِس ، للأقران مختلس ، وللأرواح مفترس ، فهمَّ عمرو أن يتكلم ، فمنعه معاوية من ذلك ، وقال عبد الله بن الحارث : لا يُبْقِ إلا على نفسه، والله إن لسانى لحديد ، وإن جوابى لعتيد ، وإن قولى لسديد ، وإن أنصارى لشُهُود ، فقام معاوية وتفرق القوم .

ولعبد الله بن جعفر بن أبى طالب أخبار حسان فى الجود والكرم وغير ذلك من المناقب.

## كتاب من عبد الملك إلى الحجاج لم يفهمه :

وكتب الحجاج إلى عبد الملك يغلظ له أمر الخوارج مع قَطَرِى ، فكتب إليه: أما بعد ، فإنى أحمل إليك السيف ، وأوصيك بما أوصى به البكرى زيداً ، فلم يفهم الحجاج ما عَنَاه عبد الملك ، وقال : مَنْ جاء بتفسير ما أوصى به البكرى زيداً فله عشرة آلاف درهم ، فورد رجل من الحجاز يتظلم من بعض عماله ، فقيل له : أتعلم ما أوصى به البكرى زيداً ؟ قال :نعم ، قالوا : فأت الحجاج به ولك عشرة آلاف درهم ، فأتاه فأحضره ، فقال : أوصاه بأن قال :

أقــول لزيــد لا تبــربر فإنــهم    يرون المنايــا دون قتــلك أو قتــلى

وإن عضت الحرب الفروس بنا بها    فعرضه حد السيف مثلك أو مثلــى

فقال الحجاج : صدق أمير المؤمنين وصدق البكرى .

## كتاب من الحجاج إلى المهلب :

وكتب إلى المهلب : إن أمير المؤمنين أوصانى بما أوصى به البكرى زيداً ،

وأنا أوصيك به وبما أوصى به الحارث بن كعب بنيه ، فأتى المهلب بوصيته إذا فيها : يَا بَنِىَّ ، كونوا جميعاً ولا تكونوا شتَّى فتفرقوا ، وبروا قبل أن تبروا ، فموت فى قوة وعز ، خير من حياة فى ذل وعجز ، فقال المهلب : صدق البكرى والحارث بن كعب .

وكتب عبد الملك إلى الحجاج : جَنِّبْنِى دماء آل أبى طالب ؛ فإنى رأيت الملك استوحش من آل حرب حين سفكوا دماءهم ، فكَان الحجاج يتجنبها خوفاً من زوال الملك عنهم ، لا خوفاً من الخالق عز وجل .

## ليلى الأخيلية والحجاج :

ودخلت ليلى الأخيلية على الحجاج فقالت : أصلح الله الأمير !! أتيت لإخلاف النجوم ، وقلة الغيوم ، وكَلَب البرد ، وشدة الجَهْد ، قال : فأخبرينى عن الأرض ، قالت : الأرض مقشعرة ، والفجاج مغبرة ، والمقتر مقل ، وذو العيال مختل ، والبائس معتل ، والناس مُسْنِتُونَ ، رحْمَةَ الله يرجون ، قال : أى النساء تختارين تنزلين عندها ؟ قالت : سَمِّهِن لى ، قال : عندى هند بنت المهلب ، وهند بنت أسماء بن خارجة، فاختارتها فدخلت عليها ، فصَبَّتْ حليها عليه حتى أثقلها؛ لا ختيارها إياها ودخلها علها دون مَنْ سواها .

## ابن عم للحجاج يطلب منه أن يوليه فيمتحنه فيوليه فينجح:

حدثنا المنقرى قال : حدثنا العتبى ، عن أبيه ، قال : قدم على الحجاج ابن عم له أعرابى من البادية فنظر إليهُ يولِّى الناس ، فقال له : أيها الأمير ، لم لا تولينى بعض هذا الحضر ؟ فقال الحجاج : هؤلاء يكتبون ويحسبون وأنت لا تحسب ولا تكتب ، فغضب الأعرابى وقال : بلى إنى والله لأحْسَبُ منهم حسباً ،

وأكتب منهم يداً ، فقال له الحجاج : فإن كان كما تزعم فاقسم ثلاثة دراهم بين أربعة أنفس ، فما زال يقول : ثلاثة دراهم بين أربعة ، ثلاثة بين أربعة ، لكل واحد منهم درهم يبقى الرابع بلا شيء ، كم هم أيها الأمير ؟ قال : هم أربعة ، قال : نعم أيها الأمير ، قد وقفت على الحساب ، لكل واحد منهم درهم ، وأنا أعطى الرابع منهم درهماً منْ عندى وضرب بيده إلى تكته فاستخرج منها درهما ، وقال : أيكم الرابع فلاها الله ما رأيت كاليوم زوراً مثل حساب هؤلاء الحضريين ، فضحك الحجاج ومَنْ معه ، وذهب بهم الضحك كل مذهب ، ثم قال الحجاج : إن أهل إصبهان كسروا خَرَاجهم ثلاث سنين ، كلما أتاهم وَالٍ أعجزوه ، فلأرمينهم ببدوية هذا وعنجهيته ، فأخْلِقْ به أن ينجب ، فكتب له عهده على إصفهان ، فلما خرج استقبله أهل إصفهان واستبشروا به ، وأقبلوا عليه يقبلون يده ورجله ، وقد استغمروه ، وقالوا : أعرابى بدوى ماذا يكون منه ؟ فلما أكثروا عليه قال : أعينوا عَلَى أنفسكم تقبيلكم أطرافى وأخِّرُوا عنى هذه الهيآت، أما يشغلكم ما أخرجنى له الأمير ؟ فلما استقر فى داره بأصبهان جمع أهلها فقال لهم : ما لكم تَعْصُونَ ربكم وتغضبون أميركم وتنقصون خراجكم ؟ فقال قائلهم : جَوْر مَن كان قبلك ، وظلم من ظلم ، قال : فما الأمر الذى فيه صلاحكم ؟ فقالوا : تؤخرنا بالخراج ثمانية أشهر ونجمعه لك ، قال : لكم عشرة وتأتونى بعشرة ضمناء يضمنون ، فأتوه بهم ، فلما توثَّقَ منهم أمهلهم ، فلما قرب الوقت رآهم غير مكترثين لما يدنو من الأجل ، فقال لهم ، فلم ينتفع بقوله ، فلما طال به ذلك جمع الضمناء وقال لهم : المال ، فقالوا : أصابنا من الآفة ما نقض ذلك ، فلما رأى ذلك منهم آلى أن لا يفطر - وكان فى شهر رمضان - حتى يجمع ماله أو يضرب أعناقهم ، ثم قَدَّم أحدهم فضرب عنقه ، وكتب عليه

فلان بن فلان أدى ما عليه ، وجعل رأسه فى بدرة[1] وختم عليها ، ثم قَدَّم الثانى ففعل به مثل ذلك ، فلما رأى القوم الرءوس تبذر وتجعل فى الأكياس بدلا من البِدَرِ قالوا : أيها الأمير، توقَّفْ علينا حتى نحضر لك المال ففعل ، فأحضروه فى أسرع وقت ، فبلغ ذلك الحجاج ، فقال: إنا معاشر آل محمد - يعنى جَدَّه - وَلَدُنَا نجيب ، فكيف رأيتم فراستى فى الأعرابى ؟ ولم يزل عليها والياً حتى مات الحجاج.

## إبراهيم التميمى فى سجن الحجاج :

وحبس الحجاج إبراهيم التميمى بواسط ، فلما دخل السجن وقف على مكان مشرف ونادى بأعلى صوته : يا أهل بلاء الله فى عافيته ، ويا أهل عافية الله فى بلائه ، اصبروا ، فنادوه جميعاً : لبيك ، لبيك ، ومات فى حبس الحجاج، وإنما كان الحجاج طلب إبراهيم النخعى فنجا ، ووقع إبراهيم التميمى.

وحكى الأعمش قال : قلت لابراهيم النخيمى : اين كنت حين طلبك الحجاج ؟ فقال : بحيث يقول الشاعر :

عوى الذئب فاستأنست بالذئب إذ عوى

وصــوت إنســان فكــدت أطــير

## الحجاج يسأل ابن القرية عن النساء :

سأل الحجاج ابن القِرِّيَّة : أىّ النساء أحمد ؟ قال : التى ف بطنها غلام ، وفى حجرها غلام ، ويسعى لها مع الغلمان غلام ، قال : فأىّ النساء شَرٌّ؟ قال : الشديدة الأذى ، الكثيرة الشَّكْوَى ، المخالفة لما تهوى ، فقال : أىّ النساء أعجب

(١) البدرة : كيس يوضع به عشرة آلاف درهم .

إليك ؟ قال : الشفاء العطبول ، المنعاج الكسول ، التى لم يَشِنْهَا قصر ولا طول ، فقال : فأىّ النساء أبغض إليك ؟ قال : الرعينة القصيرة ، الباهق الشريرة ، قال: فأخبرنى عن أفضل النساء مَخْبراً وأطيبهن أعطافاً ؟ قال : أفضل النساء الغَضَة البَضّة ، التى أعلاها قضيب ، وأسفلها كثيب ، اللَّعْساء الورهاء، التى لم تذهب طولاً فى انحطاط ، ولم تلصق قصراً فى إفراط ، الجَعْدة الغدائر ، السَّبْطَة الضفائر ، الضخمة المآكم ، الطَّفْلَة البراجم ، إذ رأيت أناملها شبهتها بالمدارى ، وإذا قامت خلتها سارية من السوارى ، فتلك تهيج المشتاق ، وتُحْيِى العاشق بالعناق .

## أيام سليمان بن عبد الملك

**موجز :**

وبويع سليمان بن عبد الملك بدمشق فى اليوم الذى كانت فيه وفاة الوليد ، وذلك يوم السبت للنصف من جمادى الآخرة سنة ست وتسعين من الهجرة ، وتوفى سليمن بمرج دَابِقٍ من أعمال جند قنسرين يوم الجمعة لعشر بقين من صفر سنة تسع وتسعين ؛ فكانت ولايته سنتين وثمانية أشهر وخمس ليالٍ ، وهلك وهو ابن تسع وثلاثين سنة ، وعهد إلى عمر بن عبد العزيز ، وقيل : إن وفاة سليمان كانت يوم الجمعة لعشر خَلَوْن من صفر سنة تسع وتسعين ، وإن ولايته سنتان وتسعة أشهر وثمانية عشر يوماً .

وقد تنوزع فى مقدار سنِّ سليمان : فذكر بعضهم أنه قُبض وهو ابن خمس وأربعين سنة ، ومنهم مَنْ زعم أنه كان ابن ثلاث وخمسين ، وقيل قُبض وهو بن تسع وثلاثين سنة .

## خطبته أول ما ولى الخلافة

ولما أفْضَى الأمر إلى سليمان صعد المنبر ، فحمد الله وأثنى عليه، وصلى على رسوله ، ثم قال : الحمد لله الذى ما شاء صنع ، وما شاء أعطى، وما شاء منع ، وما شا رفع ، وما شاء وضع ، أيها الناس ، إن الدنيا دار غرور وباطل وزينة وتقلُّب بأهلها ، تُضْحِك باكيها ، وتبكى ضاحكها ، وتخيف آمنها ، وتؤمن خائفها ، وتثرى فقيرها ، وتفقر مثريها ميالة بأهلها عباد الله ، اتخذوا كتاب الله إماماً ، وارْضُوا به حكماً ، واجعلوه لكم هادياً ودليلاً ، فإنه ناسخ ما قبله ، ولا ينسخه ما بعده ، واعلموا عباد الله أنه ينفى عنكم كيد الشيطان ومطامعه ، كما يجلو ضوء الشمس الصبح إذا أسفر ، وإدبار الليل إذا عسعس ، ثم نزل وأذن للناس بالدخول عليه ، وأقر عمال من كان قبله على أعمالهم ، وأقر خالد بن عبد الله القَسْرِى على مكة .

### خالد القسرى فى مكة :

وقد كَان خالد أحْدَثَ بمكة أحداثاً : منها أنه أدار الصفوف حول الكعبة ، وقد كَان قبل ذلك صفوف الناس فى الصلاة بخلاف ذلك وبلغه قول الشاعر:

ياحبذا الموسم من موقف وحبذا الكعبة من مسجد

وحبذا اللاتى تزاحمننا عند استلام الحجر الأسود

فقال خالد : أما إنهن لا يزاحمنك بعدها أبداً ، ثم أمر بالتفريق بين الرجال والنساء فى الطواف .

**كان سليمان أكولا :**

وكَان سليمان صاحب أكل كثير يجوز المقدار ، وكَان يلبس الثياب الرقاق وثياب الوَشْيِ ، وفى أيامه عمل الوشى الجيد باليمن والكوفة والإسكندرية ، ولبس الناس جميعاً الوشى جِباباً وأرْدِيةً وسراويل وعمائم وقلانس ، وكان لا يدخل عليه رجل من أهل بيته إلا فى الوَشْيِ ، وكذلك عُماله وأصحابه ومَنْ فى داره ، وكان لباسه فى ركوبه وجلوسه على المنبر ، وكان لا يدخل عليه أحد من خُدَّامه إلا فى الوَشْيِ ، حتى الطباخ ؛ فإنه كان يدخل إليه فى صدره وشى وعلى رأسه طويلة وشى ، وأمر أن يكفن فى الوشى المثقلة وكان شبعه فى كل يوم من الطعام مائة رطل بالعراقى ، وكان ربما أتاه الطباخون بالسفافيد التى فيها الدجاج المشوية وعليه جُبَّة الوشى المثقلة فلنهمه وحرصه على الأكل يُدخِل يده فى كمه حتى يقبض على الدجاجه وهى حارة فيفصلها .

وذكر الأصمعى قال : ذكرت للرشيد نَهَمَ سليمان وتناوله الفراريج بكمه من السفافيد ، فقال : قاتلك الله فما أعلمك بأخبارهم ، إنه عرضَتْ علىَّ جباب بنى أمية ، فنظرت إلى جباب سليمان وإذا كل جبة منها كمها أثر كانه أثر دهن، فلم أدرما ذلك حتى حدثتنى بالحديث ، ثم قال : على بجباب سليمان ، فأتى بها ، فنظرنا فإذا تلك الآثار فيها ظاهرة ، فكسانى منها جُبة ، فكان الأصمعى ربما يخرج أحيانا فيها فيقول : هذه جُبة سليمان التى كسانيها الرشيد .

وذكر أن سليمان خرج من الحمام ذات يوم وقد اشتدَّ جوعه ، فاستعجل الطعام ، ولم يكن فرغ منه ، فأمر أن يقدم عليه ما لحق من الشواء ، فقدم إليه

عشرون خروفا ، فأكل أجوافها كلها مع أربعين رقاقة ، ثم قرب بعد ذلك الطعام فأكل مع ندمائه كأنه لم يأكل شيئاً .

وحكى أنه كان يتخذ سلال الحلوى ، ويجعل ذلك حول مرقده ، فكان إذا قام من نومه يمدُّ يده فلا تقع إلا على سلة يأكل منها .

**لبس سليمان فأعجبته نفسه :**

حدث المنقرى ، عن العتبى ، عن إسحاق بن إبراهيم بن الصباح بن مروان - وكان مولى لبنى أمية من أرض البلقاء من أعمال دمشق ، وكان حافظاً لأخبار بنى أمية - قال : لبس سليمن يومَ الجمعة فى ولايته لباساً شهر به ، وتعطر ، ودعا بتخت فيه عمائم ، وبيده مرآة ، فلم يزل يعتمُّ بواحدة بعد أخرى حتى رضى منها بواحدة ، فأرخى من سُدُولها ، وأخذ بيده مخصرة ، وعلا المنبر ناظراً فى عطفيه ، وجمع جمعه ، وخطب خطبته التى أرادها ، فأعجبته نفسه ، فقال : أنا الملك الشاب ، السيد المهاب، الكريم الوهاب ، فتمثلت له جارية من بعض جواريه وكان يتحظّاها ، فقال لها : كيف ترين أمير المؤمنين؟ قالت : أراه مُنَى النفس وقُرَّة العين ، لولا ما قال الشاعر ، قال : وما قال الشاعر ؟ قالت : قال :

| | |
|---|---|
| أنت نعم المتا ع لو كنت تبقى | غير أن لا بقـاء للإنسـان |
| أنت من لا يريبنا منك شئ | علـم الله غـير أنـك فانى |

فدمعت عيناه وخرج على الناس باكياً ، فلما فرغ من خطبته وصلاته دعا بالجارية ، فقال لها : ما دعاك إلى ما قلت لأمير المؤمنين ؟ قالت : والله ما رأيت أمير المؤمنين اليوم ولا دخلت عليه ، فأكبره ذلك ، ودعا بِقَيِّمَةِ جواريه فصدقتها

فى قولها ، فراع ذلك سليمن ، ولم ينتفع بنفسه ، ولم يمكث بعد ذلك إلا مُدَيْدَة حتى توفى .

وكان سليمان يقول : قد أكلنا الطيب ، ولبسنا اللين ، وركبنا الْفَارِهَ ، ولم يبق لى لذة إلا صديق أطرح معه فيما بينى وبينه مؤنه التحفظ .

## بين سليمان و كاتب الحجاج

وأدخل عليه يزيد بن أبى مسلم كاتب الحجاج والمستولى عليه ، وهو مكبل بالحديد ، فلما رآه ازْدَرَاهُ ، فقال : ما رأيت كاليوم قط ، لعَنَ الله رجلا أجَرَّكَ رَسَنَه ، وحكمك فى أمره ، فقال له يزيد : لا تفعل يا أمير المؤمنين ، فإنك رأيتنى والأمر عنى مُدْبر ، وعليك مُقْبل ، ولو رأيتنى والأمر مقبل علىَّ لا ستعظمت منى ما استصغرت ، ولا ستجللت منى ما استحقرت ، قال : صدقت فاجلس لا أم لك ، فلما استقر به المجلس قال له سليمان : عزمت عليك لتخبرنى عن الحجاج ما ظنك به أتراه يَهْوى بعدُ فى جهنم أم قد استقر فيها ؟ قال : يا أمير المؤمنين، لا تقل هذا فى الحجاج ، فقد بذل لكم نصحه ، وأحْقَنَ دونكم دمه ، وأمَّنَ وليكم، وأخاف عدوكم ، وإنه يوم القيامة لَعَنْ يمين أبيك عبد الملك ، ويسار أخيك الوليد ، فاجعله حيث شئت ، فصاح سليمان : اخْرُجْ عنى إلى لعنة الله ، ثم التفت إلى جلسائه فقال : قبحه الله !! ما كان أحسن ترتيبه لنفسه ولصاحبه ، ولقد أحسن المكافأة ، أطلقوا سبيله .

## بين سليمان وأبى حازم الأعرج

ودخل عليه أبو حازم الأعرج ، فقال : يا أبا حازم ، مالنا نكره الموت ؟ قال : لأنكم عمرتم دنياكم وأخربتم آخرتكم ، فأنتم تكرهون النقلة من العمران

إلى الخراب ، قال : فأخبرنى كيف القدومُ على الله ؟ قال : أما المحسن فكالغائب يأتى أهله مسروراً ، وأما المسيء فكالعبد الآبق يأتى مولاه مَحْزوناً ، قال : فأى الأعمال أفضل ؟ قال : أداء الفرائض مع اجتناب المحارم ، قال : فأى القول أعْدَلُ ؟ قال : كلمة حق عند من تخاف وترجو ، قال : فأى الناس أعْقَلُ ؟ قال : من عمل بطاعة الله ، قال : فأى الناس أجهل ؟ قال : من باع آخرته بدنيا غيره ، قال عِظْنِى وأوجز ، قال : يا أمير المؤمنين ، نَزِّه ربك وعَظِّمه بحيث أن يراك تجتنب ما نهاك عنه ولا يفقدك من حيث أمرك به ، فبكى سليمان بكاءً شديداً ، فقال له بعض جلسائه : أسرفت ويحك على أمير المؤمنين ، فقال له أبو حازم : اسكت فإن الله عز وجل أخَذَ الميثاق على العلماء ليبيننه الناس ولا يكتمونه ثم خرج ، فلما صار إلى منزله بعث إليه سليمان بمال ، فرده ، وقال للرسول : قل له والله يا أمير المؤمنين ما أرضاه لك ، فكيف أرضاه لنفسى ؟ .

## بين سليمان وأعرابى:

وذكر إسحاق بن إبراهيم الموصلى قال : حدثنى الأصمعى ، عن شيخ من المَهَالِبَة ، قال : دخل أعرابى على سليمان فقال له : يا أمير المؤمنين ، إنى أريد أن أكلمك بكلام فافهمه ، فقال له سليمان : إنا نجود بسعة الاحتمال على من لا نرجو نصحه ، ولا نأمن غِشّه ، وأرجو أن تكون الناصح جَيْباً ، المأمون غيباً ، فهات ، قال : يا أمير المؤمنين ، أما إذ أمنتُ بادرة غضبك فسأطلق لسانى بما خَرِسَتْ به الألسُنُ من عظتك تأدِيَةً لحق الله وحق أمانتك ، يا أمير المؤمنين، إنه قد تَكَنَّفَكَ رجال أساءُوا الاختيار لأنفسهم ، وابتاعوا دنياهم بدينهم، ورضاك بسخط ربهم ، خافوك فى الله ولم يخافوا الله فيك ، حَرْب للآخرة وسلم للدنيا ، فلا تأمنهم على ما يأمنك الله عليه ، فإنهم لم يأتوا إلا ما فيه تضييع

وللأمة خسف وعسف ، وأنت مسئول عما اجترموا ، وليسوا مسئولين عما اجترمت ، فلا تُصلِحْ دنياهم بفساد آخرتك ، فإن أعظم الناس غبناً بائع آخرته بدنيا غيره ، فقال له سليمان : أما أنت يا أعرابى فقد سَلَلْتَ علينا لسانَكَ ، وهو أقطع من سيفك ، فقال : أجل يا أمير المؤمنين ، لك لا عليك، فقال سليمان : أما وأبيك يا أعرابى لا تزال الغربُ بسلطاننا لأكناف العز مُتَبَوِّئَةً، ولا تزال أيام دولتنا بكل خير مُقْبلة ، ولئن ساسكم ولاة غيرنا ليُحْمَدَنَّ منا ما أصبحتم تذمُّون، فقال الأعرابى : أم إذا رجع الأمر إلى ولد العباس عم الرسول صلى الله عليه وسلم وصِنْو أبيه ووارث ما جعله الله له أهلا فلا ، فتغافل سليمان كأنْ لم يسمع شيئاً ، وخرج الأعرابى فكان آخر العهد به ، هذا الخبر أخبرنى به بعضُ شيوخ ولد العباس بمدية السلام مدينة أبى جعفر المنصور ، وهو ابن ديهة المنصورى ، عن أبيه ، عن على بن جعفر النوفلى ، عن أبيه ، وذلك فى سنة ثلثمائة .

## سليمان يصف معاوية :

وذُكِرَ معاوية بن أبى سفيان فى مجلس سليمان ، فصلّ على روحه وأرواح من سلف من آبائه ، وقال : كان والله هزْ له جداً ، وجده علماً ، والله ما رُئى مثل معاوية ، كان والله غضبه حلماً ، وحلمه حكماً ، وقيل : إن هذا الكلام لعبد الملك .

## خالد القسرى فى العراق

وكتب سليمان إلى خالد بن عبد الله القَسْرِى وهو على العراق فى رجل استجار به من قريش ، وكان هرب من خالد ، أن لا يعرض له ، فاتاه بالكتاب فلم يَفُضّه حتى ضربه مائه سوط ، ثم قرأه ، فقال : هذه نقمه أراد الله أن ينتقم

بها منك لتركى قراءة الكتاب ، ولو كنت قرأته لأنفذت ما فيه ، فخرج القرشى راجعاً إلى سليمان ، فسأله الفرزدق وأناس ممن كان بالباب عما صنع خالد ، فأخبرهم ، فلما بلغ سليمان ذلك وجه إلى خالد مَنْ ضربه مائة سوط.

## بين سليمان وعمر ابن عبد العزيز :

وقال سليمان لعمر بن عبد العزيز يوماً وقد أعجبه سلطانه : كيف ترى ما نحن فيه ؟ قال : سرور لولا أنه غرور ، وحياة لولا أنه موت ، وملك لولا أنه هلك، وحسن لولا أنه حزن ، ونعم لولا أنه عذاب أليم ، فبكى سليمان من كلامه .

## سليمان على الضد من الوليد

وكان سليمان بخلاف الوليد ، وعلى الضد منه فى الفصاحة والبلاغة ، وقد كان الوليد أفسد فى أرض لعبد الله بن يزيد بن معاوية ، فشكا ذلك أخوهُ خالد بن الوليد إلى عبد الملك ، فقال له عبد الملك : ( إن الملوك إذا دخلوا قرية أفسدوها) الآية ، فقال له خالد : (وإذا أردنا أن نهلك قرية أمرنا مترفيها ففسقوا فيها) الآية ، فقال عبد الملك : أفى عبد الله تتكلم وبالأمس دخل علىَّ فغير فى لسانه ولحن فى كلامه ؟ فقال : أفعلى الوليد تَعول ؟ قال : إن كان الوليد يلحن فسليمان أخوه ، قال خالد : وإن كان عبد الله لحاناً فأخوه خالد ، فقال الوليد : أتتكلم ولست فى العير ولا فى النفير ، قال خالد : ألم تسمع ما يقول أمير المؤمنين ، أنا والله ابن العير والنفير ، ولو قلت حُبَيْلَات وغُنَيْمَات والطائف ورحم الله عثمان ، قلنا : صدقت ، أراد بذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم نَفَى الحكم بن أبى العاص إلى الطائف فصار راعياً حتى رَدَّه عثمان .

## غضب سليمان على خالد القسرى :

وغضب سليمان على خالد القسرى ، فلما دخل عليه قال : يا أمير المؤمنين، إن القدرة تُذْهِب الحفيظة ، وإنك تَجِلُّ عن العقوبة ، فإن تَعْفُ فأهل لذلك أنت ، وإن تعاقب فأهل ذلك أنا ، فعفا عنه .

وذم رجل فى مجلس سليمان الكلام ، فقال سليمان : إنه من تكلم فأحسن قَدَر على أن يصمت فيحسن وليس مَنْ صمت فأحسن قَدَر على أن يتكلم فيحسن .

ووقف سليمان على قبر ولده أيوب وبه كان يكنى ، فقال : اللهم إنى أرجوك له ، وأخافك عليه فحقق رجائى ، وآمن خوفى .

# ذكر خلافة

# عمر بن العزيز بن مروان بن الحكم

**موجز :**

واستخلف عمر بن عبد العزيز يوم الجمعة لعشر بقين من صفر سنة تسع وتسعين ، وهو اليوم الذي مات فيه سليمان ، وتوفى بِدَيْرِ سِمْعَانَ من أعمال حمص مما يلى بلاد قنسرين يوم الجمعة لخمس يَقِينَ من رجب سنة إحدى ومائة ؛ فكانت خلافته سنتين وخمسة أشهر وخمسة أيام ، وقُبض وهو ابن تسع وثلاثين سنة ، وقبره مشهور فى هذا الموضع ، مُعَظَّم يَغْشَاه كثير من الناس من الحاضرة والبادية ، لم يتعرض لنبشه فيما سلف من الزمان كما تعرض لقبور غيره من بنى أمية .

وأمه بنت عاصم بن عمر بن الخطاب ، رضى الله عنه !

وقيل : إنه قُبض وهو ابن أربعين سنة ، وقيل : إحدى وأربعين سنة .

وقد تنوزع أيضاً فى مقدار مدته فى الخلافة .

## أخباره ، وسيره ، وزهده

## ( رضى الله عنه )

**كيف آلت الخلافة لعمر :**

لم تكن خلافة عمر فى عهد تقدم ، وكان السبب فيها أن سليمان لما حضرته الوفاة بمرج دابق دعا رجاء بن حَيْوَة ومحمد بن شهاب الزهرى

ومكحولا وغيرهم من العلماء ممن كان فى عسكره غازياً ونافراً ، فكتب وصيته، وأشهدهم عليه ، وقال : إذا أنا متُّ فأذِّنوا بالصلاة جامعة ، ثم اقرؤا هذا الكتاب على الناس ، فلما فُرِغ من دَفْنه نودى : الصلاة جامعةً ، فاجتمع الناس وحضر بنو مروان فاشْرَأبُّوا للخلافة ، وتَشَوَّفُوا نحوها ، فقام الزهرى فقال : أيها الناس ، أرضيتم مَنْ سَمَّاه أمير المؤمنين سليمان فى وصيته ؟ فقالوا : نعم، فقرأ الكتاب فإذا اسم عمر بن عبد العزيز ومِنْ بعده يزيد بن عبد الملك ، فقام مكحول فقال : أين عمر بن عبد العزيز ؟ وكان عمر فى أواخر الناس ، فاسترجع حين دُعِىَ باسمه مرتين أو ثلاثاً ، فأتاه قوم فأخذوا بيده وعَضُدَيه ، فأقاموه ، وذهبوا به إلى المنبر فصعد وجلس على المرقاة الثانية ، وللمنبر خمس مَرَاقِىَ ، فكان أول من بايعه من الناس يزيد بن عبد الملك ، وقام سعيد وهشام فانصرفا ولم يبايعا ، وبايع الناس جميعاً ، ثم بايع سعيد وهشام بعد ذلك بيومين .

## خلق عمر ودينه :

وكان عمر فى نهاية النسك والتواضع ، فصرف عُمَّال مَنْ كان قبله من بنى أمية ، واستعمل أصلَحَ من قدر عليه ، فسلك عُمَّاله طريقته ، وترك لَعْنَ على عليه السلام على المنابر ، وجعل مكانه (ربنا اغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان ، ولا تجعل فى قلوبنا غلاً للذين آمنوا ، ربنا إنك غفور رحيم ) وقيل : بل جعل مكان ذلك (إن الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذى القربى ، وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغى ) الآية ، وقيل : بل جعلهما جميعاً ، فاستعمل الناس ذلك فى الخطبة إلى هذه الغاية .

## بين السدى و عمر :

ولما استخلف عمر دخل عليه سالم السدى ، وكان من خاصته ، فقال له عمر : أسَرَّكَ ما وَليتُ أم ساءك ؟ فقال : سرنى للناس وساءنى لك ، قال : إنى أخاف أن أكون قد أوْبَقْتُ نفسى ، قال : ما أحْسَنَ حالك إن كنت تخاف ، إنى أخاف عليك أن لا تخاف ، قال : عِظْنِي ، قال : أبونا آدم أُخرج من الجنة بخطيئة واحدة .

## من طاوس إلى عمر :

وكتب طاوس إلى عمر : إن أردت أن يكون عملك خيراً كله فاستعمل أهل الخير ، فقال عمر : كفى لها موعظة .

## أول خطبة لعمر :

ولما أفضى إليه الأمر كان أول خطبة خطب الناس بها أن قال : أيها الناس، إنما نحن من أصول قد مضت وبقيت فروعها ، فما بقاء فرع بعد أصله؟ وإنما الناس فى هذه الدنيا أغراض تنتضل فيهم المنايا ، وهم فيها نُصُب المصائب مع كل جَرْعة شَرَقٌ ، وفى كل أكلة غَصَص ، لا ينالون نعمة إلا بفراق أخرى ، ولا يعمر معمر منكم يوماً من عمره إلا بهدم آخر من أجله .

## بين عمر و عامله على المدينة :

وكتب إلى عامله بالمدينة أن أقسم فى ولد على بن أبى طالب عشرة آلاف دينار ، فكتب إليه : إن علياً قد وُلِدَ له فى عدة قبائل من قريش ففى أى ولده ؟ فكتب إليه : لو كتبت إليك فى شاة تذبحها لكتبت إلىَّ أسوداء أم بيضاء ، إذا

أتاك كتابى هذا فاقْسِمْ فى ولد علىّ من فاطمة رضوان الله عليهم عشرة آلاف دينار ، فطالما تَخَطَّتهم حقوقهم ، والسلام .

## خطبة أخرى :

وخطب فى بعض مقاماته فقال بعد حمد الله تعالى والثناء عليه : أيها الناس إنه لا كتاب بعد القرآن ، ولا نبى بعد محمد صلى الله عليه وسلم ، ألا وإنى لست بقاضٍ ، ولَكنى منفذ ، ألا وإنى لست بمبتدع ، ولكنى مُتَّبع ، إن الرجل الهارب من الإمام الظالم ليس بعاصٍ ، ولكن الإمام الظالم هو العاصى ، ألا لا طاعة لمخلوق فى معصية الخالق .

## تقدير ملك الروم لعمر :

وبعث عمر وفداً إلى ملك الروم فى أمر من مصالح المسلمين ، وحَقّ يدعوه إليه ، فلما دخلوا إذا ترجمان يفسِّرُ عليه ، وهو جالس على سرير ملكه ، والتاج عل رأسه ، والبطارقة عن يمينه وشماله ، والناس على مراتبهم بين يديه ، فأدى إليه ما قصدوا له ، فتلقاهم بجميل ، وأجابهم بأحسن الجواب ، وانصرفوا عنه فى ذلك اليوم ، فلما كان فى غداة غَدٍ أتاهم رسوله ، فدخلوا عليه ، فإذا هو قد نزل عن سريره ووضع التاج عن رأسه ، وقد تغيرت صفاته التى شاهدوه عليها كأنه فى مصيبة ، فقال : هل تدرون لماذا دعوتكم ؟ قالوا : لا ، قال : إن صاحب مسلحتى التى تلى العرب جاءنى كتابه فى هذا الوقت أن ملك العرب الرجل الصالح قد مات ، فما ملكوا أنفسهم أن بَكَوْا ، فقال : ألَكم تبكون ، أو لدينكم ، أو له ؟ قالوا : نبكى لأنفسنا ولديننا وله ، قال لا تبكوا له وابكوا لأنفسكم ما بدا لكم ، فإنه قد خرج إلى خيرٍ مما خلف ، قد كان يخاف أن يدع

طاعة الله فلم يكن الله ليجمع عليه مخافة الدنيا ومخافة الآخرة ، لقد بلغنى من بره وفضله وصدقه ما لو كان أحد بعد عيسى يُحْيى الموتى لظننت أنه يُحْيى الموتى ، ولقد كانت تأتينى أخباره باطناً وظاهراً فلا أجد أمره مع ربه إلا واحداً، بل باطنه أشد حين خلوته بطاعة مولاه ، ولم أعجب لهذا الراهب الذى قد ترك الدنيا وعبد ربه على رأس صومعته ، ولكنى عجبت من هذا الذى صارت الدنيا تحت قدمه فزهد فيها ، حتى صار مثل الراهب ، إن أهل الخير لا يبقون مع أهل الشر إلا قليلاً .

## وصية الأعرج :

وكتب عمر إلى أبى حازم المدنى الأعرج إلى أن أوصانى وأَوْجِزْ ، فكتب إليه : كأنك يا أمير المؤمنين بالدنيا لم تكن وبالآخرة لم تزل ، والسلام.

توقيع لعمر إلى عامل له :

إما عَدَلْتَ ، وإما اعتزلت ، والسلام .

## زهده بعد الخلافة :

ذكر المدائنى قال : كان يُشترى لعمر قبل خلافته الحلّة بألف دينار ، فإذا لبسها استخشنها ولم يستحسنها ، فلما أتته الخلافة كان يُشترى له قميص بعشرة دراهم فإذا لبسه إستلانه .

وخرج مع جماعة من أصحابه فمر بالمقبرة فقال لهم : قفُوا حتى آتى قبور الأحبَّة فأسلم عليهم ، فلما توسَّطها وقف فسلم وتكلم وانصرف إلى أصحابه فقال : ألا تسألونى ماذا قلت لهم وما قيل لى ؟ فقالوا : وما قلت يا

أمير المؤمنين وما قيل لك ؟ قال : مررت بقبور الأحبة فسلمت عليهم فلم يردُّوا، ودعوت فلو يجيبوا فبينا أن كذلك إذا نوديت : يا عمر ، أما تعرفنى ؟ أنا الذى غيرت محاسن وجوههم ، ومزقت الأكفان عن جلودهم ، وقطعت أيديهم ، وأبَنْتُ أكفهم عن سواعدهم ، ثم بكى حتى كادت نفسه أن تطفأ ، فوالله ما مضى بعد ذلك إلا أيام حتى لحق بهم .

### من مطرف إلى عمر :

وذكر المدائنى قال : كتب مطرف إلى عمر : أما بعد ، فإن الدنيا دار عقوبة ، لها يجمع مَنْ لا عقل له ، وبها يغتر مَنْ لا علم له ، فكن بها كالمداوى جرحه ، واصبر على شدة الدواء ، لما تخاف من عاقبة الداء .

### بين عمر وعبد له :

وذكر بعض الأخباريين أن عمر فى عنفوان حداثته جنى عليهم عبدٌ له أسود جناية ، فبطحه وهمَّ ليضربه ، فقال له العبد : يا مولاى ، لم تضربنى ؟ قال : لأنك جنيت كذا وكذا ، قال : فهل جَنَيْتَ أنت جناية قط غضب بها عليك مولاك ؟ قال عمر : نعم ، قال : فهل عَجَّل عليك العقوبة ؟ قال : اللهم لا ، قال العبد : فلم تعجل على ولم يعجل عليك ؟ فقال له : قم فأنت حر لوجه الله ، وكان ذلك سبب توبته .

وكان عمر يكثر هذا الكلام فى دعائه فيقول : يا حليما لا يَعْجَلُ على من عصاه .

## بين عمر وغلام ورد عليه فى وفد الحجاز :

وذكر جماعة من الأخباريين أن عمر لما ولى الخلافة قدم عليه وفود العرب ووفد عليه وفد الحجاز ، فاختار الوفد غلاماً منهم ، فقدموه عليهم ليبدأ بالكلام ، فلما ابتدأ الغلام بالكلام وهو أصغر القوم سناً قال عمر : مهلا يا غلام ليتكلم من أسَنُّ منك فهو أولى بالكلام فقال : مهلا يا أمير المؤمنين ، إنما المرء بأصغريْهِ لسانه وقلبه ، فإذا منح الله العبد لساناً لا فظاً ، وقلباً حافظاً، فقد استجاد له الحلية ، يا أمير المؤمنين ، ولو كان التقدم بالسن لكان فى هذه الأمة من هو أسن منك ، قال : تكلم يا غلام ، قال : نعم يا أمير المؤمنين ، نحن وفود التهنئة لا وفود المرزئة ، قدمنا إليك من بلدنا ، نحمد الله الذى مَنَّ بك علينا ، لم يخرجنا رغبة ولا رهبة ، أما الرغبة فقد أتانا منك إلى بلدنا ، وأما الرهبة فقد أمَّنَنَا الله بعدلك مِنْ جورك ، فقال : عظنا يا غلام وأوجز ، قال : نعم يا أمير المؤمنين ، إن أناساً من الناس غرهم حلم الله عنهم ، وطول أملهم ، وحسن ثناء الناس عليهم ، فلا يغرنك حلم الله عنك ، وطول أملك ، وحسن ثناء الناس عليك ، فَتَزِلّ قدمك ، فنظر عمر فى سن الغلام ، فإذا هو قد أتت عليه بِضْعَ عَشْرَةَ سنةً، فأنشد عمر رحمه الله يقول :

تعلم فليس المــرء يولــد عالما ... وليس أفو علم كمن هو جاهل

وإن كبير القــوم لا علم عنـده ... صغير إذا التفت عليه المحافل

## عمر والخوارج :

وقد كان خرج فى أيام عمر شوذب الخارجى ، وقوى أمره فيمن خرج معه من المحكمة (فرقة من الخوارج) من ربيعة وغيرها ، فحدث عباد بن عباد

المهلبى ، عن محمد بن الزبير الحنظلى ، قال : أرسلنى عمر إليهم ، وأرسل معى عون بن عبد الله بن عتبة بن مسعود ، وكان خروجهم بالجزيرة ، وكتب عمر معنا إليهم كتاباً ، فأتيناهم فأبلغناهم كِتابه ورسالته ، فبعثوا معنا رجلين منهم أحدهما من بنى شيبان والآخر فيه حبشية وهو أَحَدُّهما لساناً وعارضة ، فقدمنا بهم على عمر بن عبد العزيز وهو بخناصرة ، فصعدنا إليه إلى غرفة هو فيها ومعه ابنه عبد الملك وكَاتبه مُزَاحم ، فذكَرنا مكانهما ، فقال : فَتِّشوهما لئلا يكون معهما حديد، ففعلنا ، فلما دخلا قالا : السلام عليك ، ثم جلسا ، فقال لهما عمر : أخبرانى ما الذى أخرجكم مخرجكم هذا ؟ وما نَقَمتم علينا ؟ فتكلم الذى فيه حبشية فقال : واللّه ما نقمنا عليك فى سيرتك ، وإنك لتجرى بالعدل والإحسان ، ولكن بيننا وبينك أمر إن أنت أعطيتناه فنحن منك وأنت منا ، وإن منعتَنَاه فلست منا ولسنا منك ، فقال عمر : وما هو ؟

قال : رأيناك خالفت أعمال أهل بيتك ، وسميتها المظالم ، وسلكت غير سبيلهم ، فإن زعمت أنك على هدى وهم على ضلال فالعنهم وتبرأ منهم ، فهذا الذى يجمع بيننا وبينك أو يفرق ، فتكلم عمر فقال : إنى قد علمت أنكم لم تخرجوا مخرجكم هذا لِدُنْياً ، ولكن أردتم الآخرة وأخطأتم طريقها ، وإنى سائلكم عن أمور ، فبالله لتصدقنى عنها ، أرأيتما أبا بكر وعمر ، أليسا من أسلافكم وممن تتولونهما وتشهدون لهما بالنجاة ؟ قالا : بلى ، قال : فهل علمتم أن أبا بكر حين قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم وارتَدَّتْ العرب قاتلهم فسفك الدماء وأخذ الأموال وسَبَى الذرارى ؟ قالا : نعم ، قال : فهل علمتم أن عمر حين قام بعد أبى بكر رد تلك السبايا إلى أصحابها ؟ قالا : نعم ، قال : فهل برئ عمر من أبى بكر ؟ قالا لا، قال : أفرأيتم أهل النهروان ، أليسو من

أسلافكم وممن تتولون وتشهدون لهم بالنجاة ؟ قالا : بلى ، قال : فهل علمتم أن أهل الكوفة حين خرجوا إليهم كَفُّوا أيديهم فلم يسفكوا دماً ولم يخيفوا آمناً ولم يأخذوا مالا ؟ قالا : نعم ، قال : فهل علمتم أن أهل البصرة حين خرجوا إليهم مع الشيبانى وعبد الله بن وهب الراسبى وأصحابه استعرضوا الناس يقتلونهم ، ولقوا عبد الله بن خَبَّاب بن الأرتّ صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقتلوه وقتلوا جاريته ، ثم صبَّحُوا حيا من أحياء العرب فاستعرضوهم فقتلوا الرجال والنساء والأطفال حتى جعلوا يُلْقُون الصبيان فى قدور الأَطِ وهى تفور ؟ قالا قد كان ذلك ، قال : فهل تبرأ أهل البصرة من أهل الكوفة وأهل الكوفة من أهل البصرة ؟ قلا : لا ، قال : فهل تَبَرَّءون أنتم من لرصدى الطائفتين ؟ قالا : لا، قال : أرأيتم الدين واحداً أم اثنين ؟ قالا : بل واحداً، قال : فهل يَسَعُكم فيه شئ يعجز عنى ؟ قالا : لا ، قال : فكيف وسعكم أن توليتم أبا بكر وعمر ، وتولى أحدهم صاحبه ، وتوليتم أهل البصرة وأهل الكوفة، وتولى بعضهم بعضاً، وقد اختلفوا فى أعظم الأشياء فى الدماء والفروج والأموال ، ولا يسعنى فيما زعمتم إلا لعن أهل بيتى والتبرؤ منهم ؟ أرأيتم لَعْنَ أهل الذنوب فريضة مفروضةً لابُدَّ منها ، فإن كنت كذلك فاخبرنى أيها المتكلم متى عَهْدُك بلعن فرعون ؟ قال : ما أذكر متى لعنته ، قال : ويحك !! لم لا تلعن فرعون وهو أخْبَثُ الخلق ويسعنى فيما زعمت لعن أهل بيتى والتبرؤ منهم ؟ ويحكم ! إنكم قوم جُهَّال ، أردتم أمراً فأخطأتموه ، فأنتم تردُّون على الناس ما قَبلَه منهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ويأمن عندكم من خاف عنده ، ويخاف عندكم من أمن عنده ، قالا : ما نحن كذلك ، قال عمر : بل سوف تقرون بذلك الآن ، هل تعلمون أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بُعث إلى الناس وهم عَبَدَة أوثان فدعاهم إلى خَلْع الأوثان

وشهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ، فمن فعل ذلك حقَنَ دمه ، وأحرزَ ماله ، ووجبت حرمته ، وكانت له أسوة المسلمين ؟ قالا، نعم ، قال : أفلستم أنتم تَلْقَوْنَ من يخلع الأوثان ويشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله فتستحلوا دمه وماله ، وتلقون مَنْ ترك ذلك وأباه من اليهود والنصارى وسائر الأديان فيأمن عندكم وتحرمون دمه ، قال الحبشى : ما سمعت كاليوم قَطُّ حُجَّةً أبْينَ وأقرب مأخذاً من حجتك ، أما أنا فأشهد أنك على الحق وأنا برئ ممن برئ منك .

فقال عمر للشيبانى : فأنت ما تقول ؟ قال : ما أحْسَنَ ما قلت، وأبْيَنَ ماوصفت ، لكنى لا أفتات على المسلمين بأمر أعرض قولك عليهم فأنظر ما حجتهم ، قال : فأنت أعلم ، فانصرف ، وأقام الحبشى ، فأمر له عمر بعطائه ، فمكث خمسة عشر يوماً ثم مات ، ولحق الشيبانى بأصحابه فقتل معهم بعد موت عمر رحمه الله تعالى .

## بعض علماء الخوارج :

من علمائهم اليمان ، وله كتب فى مذاهبهم ، وعبد الله بن يزيد الأباضى ، وأبى مالك الحضرمى ، وقعنب ، وغير هؤلاء من علمائهم ، وقد كان اليمان بن رباب من علية علماء الخوارج ، وأخوه على بن رباب من عليه علماء الرافضة ، هذا مقدَّم فى أصحابه ، وهذا مقدَّم فى أصحابه ، يجتمعان فى كل سنة ثلاثة أيام يتناظران فيها ، ثم يفترقان ، ولا يسلم أحدهما على الآخر ولا يخاطبه ، وكذلك كان جعفر بن المبشر من علماء المعتزلة حُذَّاقها وزهادها ، وأخوه حنش بن المبشر من علماء أصحاب الحديث ورؤساء الحشوية بالضد من أخيه جعفر ،

وطالت بينهما المناظرة والمباغضة والتباين ، وإلى كل واحد منهما ألا يخاطب الآخر إلى أن لحق بخالقه ، وجعفر بن المبشر وجعفر بن حرب من علماء البغداديين من المعتزلة ، وكان عبد الله ابن يزيد الأباضى بالكوفة تختلف إليه أصحابه يأخذون منه ، وكان خرازاً شريكا لهشام ابن الحكم ، وكان هشام مقدّماً فى القول بالجسم والقول بالإمامة على مذهب القطعية يختلف إليه أصحابه من الرافضية يأخذون عنه ، وكلاهما فى حانوت واحد ، ولم يجر بينهما مُسابّة ، ولا خروج عما يوجبه العلم وقضية العقل وموجب الشرع وأحكام النظر والسير .

وذكر أن عبد الله ابن يزيد الأباضى قال لهشام بن الحكم فى بعض الأيام: تَعْلَم ما بيننا من المودَّة ودوام الشركة ، وقد أحببتُ أن تُنْكِحنى ابنتك فاطمة ، فقال له هشام : إنها مؤمنة ، فأمسك عبد الله ، ولم يُعاوِده فى شئ من ذلك ، إلى أن فَرّقَ الموت بينهما .

## رأى عمر ابن عبيد فيه :

وذكرنا عن عمرو بن عُبَيْد (١) أنه يقول : أخذ عمر بن عبد العزيز الخلافة بغير حقها ، ولا باستحقاق لها ، ثم استحقها بالعدل حين أخذها .

ولعمر رحمة الله عليه خطب وأخبار حسان غير .

---

(١) من علماء المعتزلة كان كثير العبادة .

# أيام يزيد بن عبد الملك بن مروان

وملَكَ يزيد بن عبد الملك فى اليوم الذى توفى فيه عمر بن عبد العزيز وهو يوم الجمعة لخمس بَقِين من رجب إحدى ومائة ، ويكنى أبا خالد ، وأُمه عاتكة بنت يزيد بن معاوية بن أبى سفيان ، وتوفى يزيد بن عبد الملك بإربد من أرض البلقاء من أعمال دمشق يوم الجمعة لخمس بَقِين من شعبان سنة خمس ومائة ، وهو ابن سبع وثلاثين سنة ، فكانت ولايته أربع سنين وشهراً ويومين .

## أخباره ، وسيره

## وجمل من ما كان فى أيامه

### حبه سلامة القس :

كان الغالبُ على يزيد بن عبد الملك حُبَّ جاريته يقال لها سَلاَّمة القَسَّ وكانت لسهيل بن عبد الرحمن بن عوف الزهرى ، فاشتراها يزيد بثلاثة آلاف دينار ، فأعجب بها ، وغلبت على أمره ، وفيها يقول عبد الله بن قيس الرقَيَّات :

لقد فتن الدنيا وسلامة القسـا فلم يتركا للقس عقلا ولا نفسا

فاحتالت أم سعيد العثمانية جَدَّتُه بشراء جارية يقال لها حَبَابة قد كان فى نفس يزيد بن عبد الملك قديماًمنها شئ ، فغلبت عليه ، ووهب سَلاَّمَة لأم سعيد ، فَعَذَلَهُ مسلمة بن عبد الملك لما عم الناس من الظلم والجور، باحتجابه وإقباله على الشرب واللهو ، وقال له : إنما مات عُمَر أمس ، وقد كان من عدله ما قد علمت، فينبغى أن تظهر للناس العدل ، وترفض هذا اللهو ، فقد اقتدى بك عُمَّالك فى سائر أفعالك وسيرتك ، فارتَدَعَ عما كان عليه ، فاظهر الإقلاع والندم ، وأقام

على ذلك مدة مديدة ، فغلظ ذلك على حَبَابة ، فبعثت رى الأحوص الشاعر ومَعْبد المغنى : انظرا ما أنتما صانعان ، فقال الأحوص فى أبيات له :

ألا لا تلمه اليـــوم أن يتبلـــدا فقد غلب المحزون أن يتجلـــدا

وغَنَّاه مَعْبد ، وأخذته حَبَابة، فلما دخل عليها يزيد قالت : يا أمير المؤمنين اسمع مَنِّى صوتاً واحداً ثم افعل ما بَدَالك، وغَنَّتْه، فلما فرغت منه جعل يردد قولها :

فى العيش إلا ما تلذ وتشتهى وإن لام فيه ذو الشنان وفنـدا

وعاد بعد ذلك إلى لَهْوِه وَقَصْفِه ، وَرفَضَ ما كان عليه .

وكتب فى عهد عمر إلى يزيد : إذا أمكنتك القدرة بالعزة فاذكر قدرة الله عليك ، وقيل : إن هذا الكلام كتب به عمر إلى بعض عماله ، وفيه زيادة - على ما ذكره الزبير بن بكار - وهى : إذا أمكنتك القدرة من ظلم العباد فاذكر قدرة الله عليك بما تأتى إليهم ، واعلم أنك لا تأتى إليهم أمراً إلا كان زائلاعنهم باقياً عليك ، وأن الله يأخذ للمظلوم من الظالم ، ومنها ظلمت من أحد فلا تظلمنَّ من لا ينتصر عليك إلا بالله تعالى .

## موت حبابة وجزع يزيد عليها :

واعتَلّتْ حبابة فأقام يزيد أياماً لا يظهر للناس ، ثم ماتت فأقام أياماً لا يدفنها جزعاً عليها حتى جَيّضفَتْ ، فقيل : إن الناس يتحدثون بجزعك ، وإن الخلافة تجلُّ عن ذلك ، فدفنها وأقام على قبرها ، فقال :

فإن تسل عنك النفس أو تدع الهوى فباليأس تسـلوا لنفس لا بالتجلـــد

ثم أقام بعدها أياماً قلائل ومات .

حدث أبو عبيد الله محمد بن ربراهيم ، عن أبيه ، عن إسحاق الموصلى ، عن أبى الحُوَيْرث الثقفى قال : لما ماتت حَبَابة حزن عليها يزيد بن عبد الملك حزنا شديداً، وضَمَّ إليه جويرية لها كانت تحدثها فكانت تخدمه ، فتمثلت الجارية يوماً :

كفى حزنا للهائم الصب أن يرى   منازل من يهوى معطلة قفرا

فبكى حتى كاد أن يموت ، ولم تزل تلك الجويرية معه يتذكر حَبَّابة حتى مات .

وكان يزيد ذات يوم فى مجلسه وقد غنَّته حبابة وسَلاَّمة فطرب طرباً شديداً ثم قال : أريد أن أطير ، فقالت له حَبابة : يا مولاى ، فعلى مَنْ تَدَع الأمة وتدعنا .

وكان أبو حمزة الخارجى إذا ذكَرَ بنى مروان وعابهم ذكر يزيد بن عبد الملك فقال : أقْعَدَ حَبَابة عن يمينه وسَلاَّمة عن يساره ، ثم قال : أريد أن أطير ، فطار إلى لعنة الله وأليم عذابه .

## يزيد ابن المهلب يخرج على يزيد ابن عبد الملك :

قال السعودى : وقد كان يزيد بن المهلّب بن أبى صُفْرة هرب من سجن عمر بن عبد الغزيز ، حين أثقل ، وذلك فى سنة إحدى ومائة ،وصار إلى البصرة وعليها عَدىُّ بن أرْطَاةَ الفَزَارى ، فأخذه يزيد بن المهلب، فأوثقه ثم خرج يريد الكوفة مخالفا على يزيد بن عبد الملك ، وحشدت له الأزد وأخلافها ، وانحاز إليه

أهله وخاصته ، وعظم أمره ، واشتدت شَوْكته ، فبعث إليه يزيد أخاه مَسْلمة بن عبد الملك ، وابن أخيه العباس ابن الوليد بن عبد الملك ، فى جيش عظيم ، فلما شارَفاه رأى يزيد بن المهلب فى عسكره اضطرابا ، فقال : ما هذا الاضطراب؟ قيل : جاء مَسْلمة والعباسَ قال : فوالله ما مَسْلمة إلا جرادة صفراء، وما العباس إلا نسطوس بن نطوس ، وما أهل الشام إلا طَغَام قد حشدوا ما بين فلاح وزراع ودباغ وسفلة ، فأعيرونى أكفكم ساعة واحدة تصفعونها خراطيمهم، فما هى إلا غدوة أو رَوْحَة حتى يحكم الله بيننا وبين القوم الظالمين ، على بفرسى ، فأتى بفرس أبلق ، فركب غير متسلح ، فالتقى الجيشان فاقتتلوا قتالاً شديداً، ولى أصحاب يزيد عنه ، فقتل يزيد فى المعركة ، وصبروا إخوته أنفسهم، فقتلوا جميعاً ، فلما ورد الخبر على يزيد بن عبد الملك استبشر ، وأخذ الشعراء يهجون آل المهلب ، إلا كثيراً ، فإنه امتنع من ذلك فقال له يزيد : حَرَّكتك الرحم يا أبا صخر ، لأنهم يمانيون .

## صنيع يزيد فى آل المهلب :

ويعث يزيد هلال بن أحْوَزَ المازنى فى طلب آل المهلب ، وأمره أن لا يلقى منهم من بلغ الحلم إلا ضرب عنقه ، فأتبعهم حتى أتى قندابيل من أرض السند وأتى هلال بغلامين من آل المهلب ، فقال لأحدهما : أدركت ؟ قال : نعم ، ومدَّ عنقه ، فكان الآخر أشفق عليه فَعَضَّ شفته لئلا يظهر جزعا فضرب عنقه ، وأثخن القتل فى آل المهلب حتى كاد أن يفنيهم ، فذكر أن آل المهلب مكثوا بعد إيقاع هلال هم عشرين سنة يولد فيهم الذكور فلا يموت منهم أحد .

## بين ابن هبيرة والشعبى وابن سيرين والحسن البصرى :

وقد كان يزيد ابن عبد الملك - حين ولى عمر بن هُبَيْرة الفزازى العراق ، وأضاف إليه خراسان واستقام أمره هنالك - بعث ابن هُبَيْرة إلى الحسن ابن أبى الحسن البصرى وعامر بن شرحبيل الشعبى ومحمد بن سيرين ، وذلك فى سنة ثلاث ومائة ، فقال لهم : إن يزيد بن عبد الملك خليفة الله استخلفه على عباده، وأخذ ميثاقهم بطاعته ، وأخذ عَهْدنا بالسمع والطاعة ، وقد ولانى ماترون، يكتب إلى بالأمر من أمره فأنفذه ، وأقلده ما تقلده من ذلك ، فما ترون ؟ فقال ابن سيرين والشعبى قولاً فيه تقية ، فقال عمر : ما تقول يا حسن ؟ فقال الحسن : يا ابن هبيرة خف الله فى يزيد ، ولا تخف يزيد فى الله ، إن الله يمنعك من يزيد ، وإن يزيد لا يمنعك من الله ، وأوشك أن يبعث إليك ملكا فيزيلك عن سريرك ويخرجك من سعة قصرك إلى ضيق قبرك ، ثم لا ينجيك إلا عملك ، يا ابن هبيرة ، إنى أحذرك أن تعصى الله ؛ فإنما جعل الله هذا السلطان ناصراً لدين الله وعباده ، فلا تتركن دين الله وعباده بسلطان الله ، فإنه لا طاعة لمخلوق فى معصية الخالق .

وحكى فى هذا الخبر أن ابن هبيرة أجازهم ، وأضعف جائزة الحسن، فقال الشعبى : سفسفنا فسفسف لنا .

## بين يزيد وأخيه هشام :

وذكر أن يزيد بن عبد الملك بلغه أن أخاه هشام بن عبد الملك ينتقصه، ويتمنى موته، ويعيب عليه لهوه بالقينات، فكتب إليه يزيد : أما بعد فقد بلغنى استثقالك حياتى، واستبطاؤك موتى، ولعمرى إنك بعدى لواهى الجناح ،

أجذم الكف ، وما استوجبت منك ما بلغنى عنك ، فأجابه هشام : أما بعد ، فإن أمير المؤمنين متى فرغ سمعه لقول أهل الشنان وأعداء النعم يوشك أن يقدح ذلك فى فساد ذات البين ، وتقطع الأرحام ، وأمير المؤمنين بفضله وما جعله الله أهلاً له أولى أن يتغمد ذنوب أهل الذنوب، فأما أنا فمعاذ الله أن أستثقل حياتك أو أستبطى ، وفاتك ، فكتب إليه يزيد نحن مغتفرون ما كان منك ، ومكذبون ما بلغنا عنك ، فاحفظ وصية عبد الملك إياناً ، وقوله لما فى ترك التباغى والتخاذل ، وما أمر به وحض عليه من صلاح ذات البين واجتما ع الأهواء ؛ فهو خير لك ، وأملك بك،

فلما أتى الكتاب هشاماً ارتحل إليه ، فلم يزل فى جواره مخافة أهل البغى والسعاية حتى مات يزيد .

**وفاة عطاء ابن يسار :**

وممن مات فى أيام يزيد بن عبد الملك عطاء بن يسار مولى ميمونة زوج النبى صلى الله عليه وسلم ، ويكنى أبا محمد ، وهو ابن أربع وثمانين سنة ، وذلك فى سنة ثلاث ومائة .

**موت جماعة من العلماء :**

وفيها مات مجاهد بن جبر ، مولى قيس بن السائب المخزومى ، ويكنى أبا الحجاج ، وهو ابن أربع وثمانين سنة .

وجابر بن يزيد ، مولى الأزد ، من أهل البصرة ، ويكنى أبا الشعثاء ، ويزيد بن الأصم ، من أهل الرقة ، وهو ابن أخت ميمونة زوج النبى صلى عليه وسلم .ويحيى بن وثاب الأسدى ، مولى بنى كنانة كان .

وأبو بردة بن أبى موسى الأشعرى ، واسمه عامر ، كوفى .

وفى سنة أربع ومائة مات وهب بن منبه ، ويقال : مات سنة عشر ومائة .

وفى سنة أربع ومائة هذه أيضاً مات طاوس .

وفى سنة خمس ومائة مات عبد الله بن حبير ، مولى العباس بن عبد المطلب ، ويقال : إنه مولى العباس .

وقيل : إن طاوس بن كيسان - ويكنى أبا عبد الرحمن - مولى بجير الحميرى مات بمكة سنة ست ومائة ، وصلى عليه هشام بن عبد الملك .

وفى سنة سبع ومائة مات سليمان بن يسار ، مولى ميمونة زوج النبى صلى الله عليه وسلم وهو أخو عطاء بن يسار ويكنى أبا أيوب ، وهو ابن ثلاث وسبعين سنة ، بالمدينة ، وقيل : إنه مات فى سنة ثمان ومائة.

وفى سنة ثمان ومائة مات القاسم بن محمد بن أبى بكر الصديق .

ومات الحسن بن أبى الحسن البصرى ، ويكنى أبا سعيد ، وفى سنة عشر ومائة ، واسم أبيه يسار مولى لامرأة من الأنصار ، ومات وله تسع وثمانون سنة وقيل : تسعون سنة ، وكان أكبر من محمد بن سيرين ، ومات محمد بعده بمائة ليلة.

### محمد بن سيرين وإخوته :

ليلة فى هذه السنة وهو ابن إحدى وثمانين سنة ، وقيل : ابن ثمانين ، وكان أولاد سيرين خمسة إخوة : محمد ، وسعيد ، ويحيى ، وخالد ، وأنس

بنى سيرين ، وسيرين مولى أنس بن مالك ، والخمسة قد رووا السنن ، ونقلت عنهم .

وفى سنة خمس عشرة ومائة مات الحكم بن عتبة الكندى ، وقيل : إنه مات فيها عطاء بن أبى رباح .

وفى سنة ثلاث وعشرين ومائة مات أبو بكر محمد بن مسلم بن عبيد الله ابن عبد الله بن شهاب الزهرى ، وذكر الواقدى أنه مات سنة أربع وعشرين ومائة .

# أيام هشام بن عبد الملك بن مروان

**موجز :**

ونويع هشام بن عبد الملك فى اليوم الذى توفى فيه أخوه يزيد بن عبد الملك ، وهو يوم الجمعة لخمس بقين من شوال سنة خمس ومائة ، وقبض يزيد وله يومئذ ثمان وثلاثون سنة ، وقيل : أربعون سنة ، وتوفى هشام بن عبد الملك بالرصافة من أرض قنسرين يوم الأربعاء لست خلون من شهر ربيع الآخر سنة خمس وعشرين ومائة ، وهو ابن ثلاث وخمسين سنة؛ فكانت ولايته تسع عشرة سنة وسبعة أشهر وإحدى عشرة ليلة .

## أخباره ، وسيره

**أو صافه وأخلاقه :**

وكان هشام أحول خشناً فظاً غليظاً ، يجمع الأموال ، ويعمر الأرض، ويستجيد الخيل ، وأقام الحلبة فاجتمع له فيها من خيله وخيل غيره أربعة آلاف فرس ، ولم يعرف ذلك فى جاهلية ولا إسلام لأحد من الناس ، وقد ذكرت الشعراء ما اجتمع له من الخيل ، واستجاد الكسى والفرش ، وعدد الحرب ولأمتها واصطنع الرجال ، وقوى الثغور ، واتخذ القنى والبرك بطريق مكة ، وغير ذلك من الآثار التى أتى عليها داود بن على فى صدر الدولة العباسية .

وفى أيامه عمل الخز والقطف الخز ، فسلك الناس جميعاً فى أيامه مذهبه ، ومنعوا ما فى أيديهم ، فقل الإفضال ، وانقطع الرفد ، ولم ير زمان أصعب من زمانه .

## استشهاد زيد بن على :

وفى أيامه استشهد زيد بن على بن الحسين بن على رضى الله عنهم، وذلك فى سنة إحدى وعشرين ومائة ، وقيل : بل فى سنة اثنتين وعشرين ومائة ، وقد كان زيد بن على شاور أخاه أبا جعفر بن على بن الحسين بن على ، فأشار عليه بأن لا يركن إلى أهل الكوفة ؛ إذ كانوا أهل غدر ومكر ، وقال له : بها قتل جدك على ، وبها طعن عمك الحسن وبها قتل أبوك الحسين وفيها وفى أعمالها شتمنا أهل البيت ، وأخبره بما كان عنده من العلم فى مدة ملك بنى مروان ، وما يتعقبهم من الدولة العباسية ، فأبى إلا ما عزم عليه من المطالبة بالحق ، فقال له : إنى أخاف عليك يا أخى أن تكون غدا المصلوب بكناسة الكوفة ، وودعه أبو جعفر ، وأعلمه أنهما لا يلتقيان.

وقد كان زيد دخل على هشام بالرصافة ، فلما مثل بين يديه لم ير موضعاً يجلس فيه ، فجلس حيث انتهى به مجلسه ، وقال : يا أمير المؤمنين، ليس أحد يكبر عن تقوى الله ، ولا يصغر دون تقوى الله ، فقال هشام : اسكت لا أم لك ، أنت الذى تنازعك نفسك فى الخلافة ، وأنت ابن أمة ، قال: يا أمير المؤمنين ، إن لك جواباً إن أحببت أجبتك به ، وإن أحببت أمسكت عنه ، فقال : بل أجب ، قال : إن الأمهات لا يقعدن بالرجال عن الغايات ، وقد كانت أم إسماعيل أمة لأم إسحاق صلى الله عليهما وسلم ، فلم يمنعه ذلك أن بعثه الله نبياً ، وجعله للعرب أباً ، فأخرج من صلبه خير البشر محمداً صلى الله عليه وسلم ، فتقول لى هذا وأنا ابن فاطمة وابن على .

فمضى عليها إلى الكوفة وخرج عنها ، ومعه القراء والأشراف ، فحاربه يوسف بن عمر الثقفى ، فلما قامت الحرب انهزم أصحاب زيد ، وبقى فى جماعة يسيرة ، فقاتلهم أشد قتال ،

وحال المساء بين الفريقين ، فراح زيد مثخناً بالجراح ، وقد أصابه سهم فى جبهته ، فطلبوا من ينزع النصل ، فأتى بحجام من بعض القرى ، فاستكتموه أمره ، فاستخرج النصل ، فمات من ساعته ، فدفنوه فى ساقية ماء ، وجعلوا على قبره التراب والحشيش ، وأجرى الماء على ذلك ، وحضر الحجام مواراته فعرف الموضع ، فلما أصبح مضى إلى يوسف متنصحاً ، فدله على موضع قبره ، فاستخرجه يوسف ، وبعث برأسه إلى هشام ، فكتب إليه هشام : أن أصلبه عريانا ، فصلبه يوسف كذلك ، ففى ذلك يقول بعض شعراء بنى أمية يخاطب آل أبى طالب وشيعتهم من أبيات :

صلبنا لكم زيدا على جذع نخلة ولم أر مهديا على الجذع يصلب

وبنى تحت خشبته عموداً ، ثم كتب هشام إلى يوسف يأمره بإحراقه وذروه فى الرياح .

### صنيع العباسيين بقبور الأمويين :

قال المسعودى : وحكى الهيثم بن عدى الطائى ، عن عمرو بن هانئ ، قال : خرجت مع عبد الله بن على لنبش قبور بنى أمية فى أيام أبي العباس السفاح ، فانتهينا إلى قبر هشام ، فاستخرجناه صحيحاً ما فقدنا منه إلا خورمة أنفه، فضربه عبد الله بن على ثمانين سوطاً ، ثم أحرقه ، واستخرجنا سليمان من أرض دابق ، فلم نجد منه شيئاً إلا صلبه

وأضلاعه ورأسه ، فأحرقناه ، وفعلنا ذلك بغيرهما من بنى أمية ، وكانت قبورهم بقنسرين ، ثم انتهينا إلي دمشق ، فاستخرجنا الوليد بن عبد الملك ، فما وجدنا فى قبره قليلاً ولا كثيراً ، واحتفرنا عن عبد الملك فما وجدنا إلا شؤون رأسه ، ثم احتفرنا عن يزيد بن معاوية فما وجدنا فيه إلا عظما واحداً، ووجدنا مع لحده خطاً أسود كأنما خط بالرماد فى الطول فى لحده، ثم اتبعنا قبورهم فى جميع البلدان ، فأحرقنا ما وجدنا فيها منهم .

وقد ذكر أبو بكر بن عياش وجماعة من الأخباريين أن زيداً مكث مصلوباً خمسين شهراً عرياناً ، فلم ير له أحد عورة ، ستراً من الله له ، وذلك بالكناسة بالكوفة، فلما كان فى أيام الوليد بن يزيد بن عبد الملك وظهر ابنه يحيى بن زيد بخراسان كتب الوليد إلى عامله بالكوفة : أن أحرق زيداً بخشبته ، ففعل ذلك به ، وأذرى رماده فى الرياح على شاطئ الفرات .

**فرق الزيدية من الشيعة :**

سميت الزيدية بهذا الاسم ، بخروجهم مع زيد بن على بن الحسين بن على بن أبى طالب رضى الله عنهم ، هذا ، وقد قيل غير ذلك ، وهناك خلاف بين الزيدية الإمامية، والفرق بين هذين المذهبين ، وكذلك غيرهم من فروق الشيعة وغيرهم وقد ذكر جماعة من مصنفى كتب المقالات والأراء والديانات من آراء الشيعة وغيرهم كأبى عيسى محمد بن هارون الوراق وغيره،

أن الزيدية كانت فى عصرهم ثمانية فرق : أولها الفرقة المعروفة بالجارودية وهم أصحاب أبى الجارود زياد ابن المنذر العبدى ، وذهبوا إلى

أن الإمامة مقصورة فى ولد الحسن والحسين ، دون غيرهما ، ثم الفرقة الثانية المعروفة بالمرئية ، ثم الفرقة الثالثة المعروفة بالأبرقية ، ثم الفرقة الرابعة المعروفة باليعقوبية ، وهم أصحاب يعقوب بن على الكوفى ، ثم الفرقة الخامسة المعروفة بالعقبية ، ثم الفرقة السادسة المعروفة بالأبترية ، وهم أصحاب كثير الأبتر والحسن بن صالح بن يحيى ، ثم الفرقة السابعة المعروفة بالجريرية ، وهم أصحاب سليمان بن جرير ، ثم الفرقة الثامنة المعروفة باليمانية، وهم أصحاب محمد بن اليمان الكوفى ، وقد زاد هؤلاء فى المذهب ، وفرعوا مذاهب على ما سلف من أصولهم ،

وكذلك فرق أهل الإمامة فكانوا على ما ذكر من سلف من أصحاب الكتب ثلاثاً وثلاثين فرقة ، وقد ذكرنا تنازع القطيعية بعد مضى الحسن بن على بن محمد بن على بن موسى بن جعفر بن محمد بن على بن الحسين بن على بن أبى طالب رضى الله عنهم ، وما قالت الكيسانية ، وما تباينت فيه وغيرها من سائر طوائف الشيعة ، وهم ثلاث وسبعون فرقة ، دون ما تباينوا فيه من التفريع ، وتنازعوا فيه من التأويل ، والغلاة أيضاً ثمان فرق : المحمدية منهم أربع ، والمعتزلة أربع ، وهم العلوية، وما قالوه من دلائل ظهور المنتظر الموعود بظهوره ، وما ذهب إليه كل فريق منهم فى ذلك من أصحاب الدور والسرو والتشريق ، وغيرهم من الإمامية .

### بين هشام ورجل من أهل حمص :

وعرض هشام يوماً الجند بحمص ، فمر به رجل من أهل حمص وهو على فرس نفور، فقال له هشام : ما حملك على أن تربط فرساً نفوراً؟ فقال الحمصى : لا والرحمن الرحيم يا أمير المؤمنين ، ما هو بنفور ، ولكنه

أبصر حولتك فظن أنها عين غزوان البيطار ، فقال له هشام : تنح فعليك وعلى فرسك لعنة الله ، وكان غزوان البيطار نصرانياً ببلاد حمص كأنه هشام فى حولته وكشفته .

### هشام والأبرش الكلبى وجارية من جوارى هشام :

وبينما هشام ذات يوم جالساً خالياً وعنده الأبرش الكلبى إذ طلعت وصيفة لهشام عليها حلة ، فقال للأبرش : مازحها ، فقال لها الأبرش هبى لى حلتك ، فقالت له : لأنت أطمع من أشعب ، فقال لها هشام : ومن أشعب ؟ فقالت : كان مضحكاً بالمدينة ، وحدثته بعض أحاديثه ، فضحك هشام ، وقال : اكتبوا إلى إبراهيم بن هشام - وكان عامله على المدينة - فى حملة إلينا ، فلما ختم الكتاب أطرق هشام طويلاً ، ثم قال : يا أبرش ، هشام يكتب إلى بلد رسول الله صلى الله عليه وسلم ليحمل إليه منه مضحك ؟ لاهاً الله ،

إذا أنت طاوعت الهوى قادك الهوى

إلى بعض ما فيـه عليـك مقـــال

### وأوقف الكتاب بخل هشام :

وذكر أن هشاماً أهدى له رجل طائرين ، فأعجب بهما ، فقال له الرجل : جائزتى يا أمير المؤمنين ، قال ويلك وما جائزة طائرين ؟ قال له : ما شئت ، قال : خذ أحدهما ، فقصد الرجل لأحسنهما فأخذه ، فقال له هشام : وتختار أيضاً ؟ قال : نعم والله أختار ، فقال : دعه ، وأمر له بدريهمات .

ودخل هشام بستاناً له ومعه ندماؤه فطافوا به ، وبه من كل الثمار ، فجعلوا يأكلون ويقولون : بارك الله لأمير المؤمنين ، فقال : وكيف يبارك لى فيه وأنتم تأكلونه ؟ ! ثم قال : ادع قيمه ، فدعا به ، فقال له : اقلع شجرة واغرس فيه زيتوناً حتى لا يأكل منه أحد شيئاً .

وكتب إليه ابنه سليمان : إن بغلتى قد عجزت ، فإن رأى أمير المؤمنين أن يأمر لى بدابة ، فكتب إليه هشام : قد فهم أمير المؤمنين كتابك، وما ذكرت من ضعف دابتك ، وقد ظن أن ذلك من قلة تعاهدك لعلفها ، وضياع العلف ، فقم عليها بنفسك ، ولعل أمير المؤمنين يرى رأيه فى حملانك .

ونظر هشام إلى رجل على برذون طخارى ، فقال : من أين لك هذا ؟ قال : حملنى عليه الجنيد بن عبد الرحمن ، قال : وقد كثرت الطخارية حتى ركبها العامة ؟ لقد مات عبد الملك وفى مربطه واحد طخارى ، فتنافس فيه ولده ، حتى ظن من فاته أن الخلافة فاتته ، قال الرجل : فحسدنى إياه .

وقد كان أخوه مسلمة مازحه قبل أن يلى الأمر ، فقال له : يا هشام أتؤمل الخلافة وأنت جبان بخيل ! فقال : والله إنى عليم حليم .

**السواس من بنى أمية :**

وذكر الهيثم بن عدى والمدائنى وغيرهما أن السواس من بنى أمية ثلاثة : معاوية ، وعبد الملك ، وهشام ، وختمت به أبواب السياسة وحسن السيرة ، وأن المنصور كان في أكثر أموره وتدبيره وسياسته متبعاً لهشام بن عبد الملك فى أفعاله ، لكثرة ما كشفه عن أخبار هشام وسيره .

# أيام الوليد بن يزيد بن عبد الملك بن (مروان)

**موجز :**

وبويع الوليد بن يزيد فى اليوم الذى توفى فيه هشام ، وهو يوم الأربعاء لست خلون من شهر ربيع الآخر سنة خمس وعشرين ومائة ، ثم قتل بالخبراء يوم الخميس لليلتين بقيتا من شهر جمادى الآخرة سنة ست وعشرين ومائة ؛ فكانت ولايته سنة وشهرين واثنين وعشرين يوماً ، وقتل وهو ابن أربعين سنة ، والموضع الذى قتل فيه دفن فيه ، وهى قرية من قرى دمشق تعرف بالخبراء .

## أخباره ، وسيره

**ظهور يحيى ابن زيد ومقتله :**

ظهر فى أيام الوليد بن يزيد : يحيى بن زيد بن على بن الحسين بن على بن أبى طالب عليهم السلام ، بالجوزجان من بلاد خراسان ، منكراً للظلم وما عم الناس من الجور ، فسير إليه نصر بن سيار سلم بن أحوز المازنى ، فقتل يحيى فى المعركة بقرية يقال بها أرعونة ، ودفن هناك ، وقبره مشهور مزور رلى هذه الغاية ، وليحيى وقائع كثيرة ، وقتل فى المعركة بسهم أصابه في صدغه ، فولى أصحابه عنه يومئذ واحتز رأسه ، فحمل إلى الوليد ، وصلب جسده بالجوزجان ، فلم يزل مصلوباً إلى أن خرج أبو مسلم صاحب الدولة العباسية ، فقتل أبو مسلم سلم بن أحوز ، وأنزل جثة يحيى فصلى عليها فى جماعة أصحابه ودفنت هناك ، وأظهر أهل خراسان النياحة على يحيى بن زيد سبعة أيام فى سائر أعمالها فى

حال أمنهم على أنفسهم من سلطان بنى أمية ، ولم يولد فى تلك السنة بخراسان مولود إلا وسمى بيحيى أو بزيد ؛ لما داخل أهل خراسان من الجزع والحزن عليه .

وكان ظهور يحيى فى آخر سنة خمس وعشرين ، وقيل : فى أول سنة ست وعشرين ومائة، وكان يخيى يوم قتل يكثر من التمثل بشعر الخنساء .

**لهو الوليد وخلاعته :**

وكان الوليد بن يزيد صاحب شراب ولهو وطرب وسماع للغناء ، وهو أول من حمل المغنين من البلدان إليه ، وجالس الملهين ، وأظهر الشرب والملاهى والعزف ، وفى أيامه كان ابن سريج المغنى ، ومعبد ، والغريض ، وابن عائشة ، وابن محرز ، وطويس ، ودحمان ، وغلبت عليه شهوة الغناء فى أيامه ، وعلى الخاص والعام ، واتخذ القيان ، وكان متهتكاً ماجناً خليعاً، وطرب الوليد لليلتين خلتا من ملكه .

وقيل للوليد : ما بقى من لذاتك ؟ قال : محادثة الإخوان فى الليالى القمر ، على الكثبان العفر .

**الوليد وشراعة ابن زيد :**

وبلغ الوليد عن شراعة بن زيد ورود حسن عشرة وحلاوة مجالسة فبعث فى إحضاره ، فلما أدخل إليه قال : إنى ما بعثت إليك لأسألك عن كتاب ولا سنة، قال : ولست من أهلهما، قال : إنما أسألك عن القهوة ، قال: سل عن أى ذلك شئت يا أمير المؤمنين ، قال : ما تقول فى الشراب ؟ قال: عن إيه تسأل ؟ قال : ما تقول فى الماء ؟ قال : يشاركنى فيه البغل

والحمار، قال : فنبيذ الزبيب ؟ قال : خمار وأذى ، قال : فنبذ التمر ؟ قال : ضراط كله ، قال : فالخمر ؟ قال : شقيقة روحى ، وأليفة نفسى ، قال : فما تقول فى السماع ؟ قال : يبعث مع التانى على ذكر الأشجان ، ويجدد اللهو على مواقع الأحزان ، ويؤنس الخلى الوحيد ، ويسر العاشق الفريد ، ويبرد غليل القلوب ، ويثير من خواطر الضمائر خطرة ليست من الملاهى لغيره ، يسرع ترقيها فى أجزاء الجسد ، فتهيج النفس ، وتقوى الحس ، قال : فأى المجالس أحب إليك ؟ قال : ما رأيت فيه السماء من غير أن ينالنى فيه أذى، قال : فما تقول في الطعام ؟ قال : ليس لصاحب الطعام اختيار ما وجده أكله ، فاتخذه الوليد نديماً .

**سمير الوليد يتحدث عنه :**

وأخبر أبو خليفة الفضل بن الحباب الجمحى القاضى ، عن محمد بن سلام الجمحى ، قال : حدثنى رجل من شيوخ أهل الشام عن أبيه ، قال: كنت سميراً للوليد بن يزيد ، فرأيت ابن عائشة القرشى عنده وقد قال له : غنى ، فغناه .

فقال له الوليد: أحسنت والله يا أميرى، أعد بحق عبد شمس ، فأعاد، فقال : أحسنت والله ، بحق أمية أعد، فأعاد، فجعل يتخطى من أب إلى أب ويأمره بالإعادة ، حتى بلغ نفسه ، فقال : أعد بحياتى ، فأعاد ، فقام إلى ابن عائشة فأكب عليه ولم يبق عضواً من أعضائه إلا قبله، وقال: واطرباه واطرباه، ونزع ثيابه فألقاها على ابن عائشة ، وبقى مجرداً إلى أن أتوه بثياب غيرها، ودعا له بألف دينار فدفعت إليه ، وحمله على بغلة له وقال : اركبها على بساطى ، وانصرف فقد تركتنى على أحر من جمر الغضى .

### من خواص اليشب :

وقد كان حمل إليه جفنه من البلور ـ وقيل : من الحجر المعروف باليشب ـ وقد ذهب جماعة من الفلاسفة إلى أن من شرب فيه الخمر لا يسكر ، فأمر الوليد فملئت خمراً وطلع القمر وهو يشرب وندماؤه معه ، فقال : أين القمر الليلة ؟ فقال بعضهم : فى البرج الفلانى ، فقال له آخر منهم : بل هو فى الجفنة ـ وقد كان القمر تبين فى شعاع الجوهر وصورته فى ذلك الشراب ـ فقال له الوليد : والله ما تعديت ما فى نفسى ، وطرب طرباً شديداً، وقال : لأصطحبن، هفت هفته، وهذا كلام فارسى تفسيره لأصطبحن سبعة أسابيع، فدخل عليه بعض حجابه فقال : يا أمير المؤمنين، إن بالباب جمعاً من وفود العرب وغيرهم من قريش ، والخلافة تجل عن هذه المنزلة ، وتبعد عن هذه الحال ، فقال : اسقوه ، فأبى ، فوضع فى فمه قمع وجعلوا يسقونه حتى خر ما يعقل سكراً .

وقد كان أبوه أراد أن يعهد إليه ، فلاستصغاره لسنه عهد إلى أخيه هشام ، ثم إلى الوليد من بعده .

### كان مغرما بالخيل :

وكان الوليد مغرما بالخيل وحبها وجمعها ، وإقامة الحلبة ، وكان السندى فرسه جواد زمانه ، وكان يسابق به فى أيام هشام ، وكان بقصر عن فرس هشام المعروف بالزائد ، وربما ضامه ، وربما جاء مصلياً .

### خيل الحلبة :

وأجرى الوليد بالرصافة، وأقام الحلبة ، وهى يومئذ ألف قارح ، ووقف

بها ينتظر الزائد ، ومعه سعيد بن عمرو بن سعيد بن العاص ، وكان له فيها جواد يقال له المصباح . فأقبل فرس ابن الوليد - ويقال له : الوضاح - أمام الخيل ؛ فلما دنا صرع فارسه ، وأقبل المصباح فرس سعيد يتلوه وعليه فارسه ، وهو فيما يرى سعيد يعد سابقاً . فضحك الوليد لما سمعه ، وخشى أن تسبق فرس سعيد ، فركض فرسه حتى ساوى الوضاح ، فقذف بنفسه عليه ، ودخل سابقاً ، فكان الوليد أول من فعل ذلك وسنه فى الحلبة ، ثم تلاه فى الفعل كذلك المهدى فى أيام المنصور ، والهادى فى أيام المهدى ، ثم عرضت على الوليد الخيل فى الحلبة الثانية ، فمر به فرس لسعيد ، فقال : لا نسابقك يا أبا عنبسة . فضحك الوليد ، وضمه إلى نفسه ، وقال : لا عدمت قريش أخاً مثلك. وللوليد بن يزيد أخبار حسان فى جمعه الخيول في الحلبة ، فإنه اجتمع له فى الحلبة ألف قارح ، وجمع بين الفرس المعروف بالزائد والفرس المعروف بالسندى ، وكانا قد برزا فى الجرى على خيول زمانهما ، وقد ذكر ذلك جماعة من الإخباريين وأصحاب التواريخ ، مثل ابن عفير والأصمعى وأبى عبيدة وجعفر بن سليمان .

## وفاة أبى جعفر محمد بن على ابن الحسين :

وفى أيام الوليد بن يزيد كانت وفاة أبى جعفر محمد بن على بن الحسين بن على بن أبى طالب رضى الله عنهم ، وقد تنوزع فى ذلك : فمن الناس من رأى أن وفاته كانت فى أيام هشام ، وذلك سنة سبع عشرة ومائة، ومن الناس من رأى أنه مات فى أيام يزيد بن عبد الملك ، وهو ابن سبع وخمسين سنة ، بالمدينة ، ودفن بالبقيع مع أبيه على بن الحسين ، وغيره من سلفه عليهم السلام .

# أيام يزيد وابراهيم ابنى الوليد بن عبد الملك بن مروان

**موجز :**

ولى يزيد بن الوليد بدمشق ليلة الجمعة لسبع بقين من جمادى الآخرة، فبايعه الناس بعد قتل الوليد بن يزيد ، وتوفى يزيد بن الوليد بدمشق يوم الأحد هلال ذى الحجة سنة ست وعشرين ومائة ، فكانت ولايته من مقتل الوليد ابن يزيد إلى أن مات خمسة أشهر وليلتين ، وقد كان إبراهيم بن الوليد زخوه قام بالأمر من بعده ، فبايعه الناس بدمشق أربعة أشهر ، وقيل: شهرين ، ثم خلع ، وكانت أيامه عجيبة الشأن من كثرة الهرج والاختلاط ، واختلاف الكلمة ، وسقوط الهيبة .

ودفن يزيد بن الوليد بدمشق بين باب الحابية وباب الصغير ، وهو ابن سبع ثلاثين سنة ، ويقال : ابن ست وأربعين سنة على الخلاف فى ذلك.

## لمع مما كان فى أيامهما

**و صف يزيد الناقص :**

كان يزيد بن الوليد أحول ، وكان يلقب بيزيد الناقص ، ولم يكن ناقصاً فى جسمه ولا عقله ، وإنما نقص بعض الجند من أرزاقهم ، فقالوا : يزيد الناقص ، وكان يذهب إلى قول المعتزلة وما يذهبون إليه فى الأصول الخمسة : من التوحيد ، والعدل ، والوعيد ، والأسماء والأحكام - وهو القول بالمنزلة بين المنزلتين - والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر .

## قول المعتزلة فى التوحيد :

وتفسير قولهم فيما ذهبوا إليه من الباب الأول - وهو باب التوحيد - وهو ما اجتمعت عليه المعتزلة من البصريين والبغداديين وغيرهم ، وإن كانوا فى غير ذلك من فروعهم متباينين ، من أن الله عز وجل لا كالأشياء وأنه ليس بجسم ولا عرض ولا عنصر ولا جزء ولا جوهر ، بل هو الخالق للجسم والعرض والعنصر والجزء والجوهر ، وأن شيئاً من الحواس لا يدركه فى الدنيا ، ولا فى الآخرة ، وأنه لا يحصره المكان ، ولا تحويه الأقطار ، بل هو الذى لم يزل ولا له زمان ولا مكان ولا نهاية ولاحد ، وأنه الخالق للأشياء المبدع لها لا من شئ ، وأنه القديم ، وأن ما سواه محدث .

## قولهم فى العدل :

وأما القول بالعدل - وهو الأصل الثانى - فهو أن الله لا يحب الفساد ، ولا يخلق أفعال العباد ، بل يفعلون ما أمروا به ونهوا عنه بالقدرة التى جعلها الله لهم وركبها فيهم ، وأنه لم يأمر إلا بما أراد ولم ينه إلا عما كره، وأنه ولى كل حسنة أمر بها ، برئ من كل سيئة نهى عنها ، لم يكلفهم ما لا يطيقونه ، ولا أراد منهم ما لا يقدرون عليه ، وأن أحداً لا يقدر على قبض ولا بسط إلا بقدرة الله التى أعطاهم إياها .

وهو المالك لها دونهم . يفنيها إذا شاء ويبقيها إذا شاء ، ولو شاء لجبر الخلق على طاعته ، ومنعهم اضطرارياً عن معصيته ، ولكان على ذلك قادراً، غير أنه لا يفعل ، إذ كان فى ذلك رفع للمحنة ، وإزالة البلوى .

### قولهم فى الوعيد :

أما القول بالوعيد - وهو الأصل الثالث - فهو أن الله لا يغفر لمرتكب الكبائر إلا بالتوبة ، وإنه الصادق فى وعده ووعيده ، لا مبدل لكلماته .

### قولهم فى المنزلة بين المنزلين :

وأما القول بالمنزلة بين المنزلتين - وهو الأصل الرابع - فهو أن الفاسق المرتكب للكبائر ليس بمؤمن ولا كافر ، بل يسمى فاسقاً ، على حسب ما ورد التوقيف بتسميته ، وأجمع أهل الصلاة على فسوقه .

قال المسعودى : وبهذا الباب سميت المعتزلة ، وهو الاعتزال ، وهو الموصوف بالأسماء والأحكام ، مع ما تقدم من الوعيد فى الفاسق من الخلود فى النار .

### قولهم فى الأمر بالمعروف :

وأما القول بوجوب الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر - وهو الأصل الخامس - فهو أن ما ذكر على سائر المؤمنين واجب ، على حسب استطاعتهم فى ذلك ، بالسيف فما دونه ، وإن كان كالجهاد ، ولا فرق بين مجاهدة الكافر والفاسق .

فهذا ما اجتمعت عليه المعتزلة ، ومن اعتقد ما ذكرنا من هذه الأصول الخمسة كان معتزلياً ؛ فإن اعتقد الأكثر أو الأقل لم يستحق اسم الاعتزال ، فلا يستحقه إلا باعتقاد هذه الأصول الخمسة ، وقد تنوزل فيما عدا ذلك من فروعهم .

وهناك فرق بين المعتزلة وأهل الإمامة وما بان به كل فريق منهم عن الآخر، إذ كانت المعتزلة وغيرها من الطوائف تذهب إلى أن الإمامة اختيار من الأمة ، وذلك أن الله عز وجل لم ينص على رجل بعينه ولا رسوله صلى الله عليه وسلم ، ولا اجتمع المسلمون عندهم على رجل بعينه، وأن اختيار ذلك مفوض إلى الأمة تختار رجلاً منها ينفذ فيها أحكامه ، سواء كان قريشاً أو غيره من أهل ملة الإسلام وأهل العدالة والإيمان ، ولم يراعوا فى ذلك النسب ولا غيره، وواجب على أهل كل عصر أن يفعلوا ذلك .

ذهب فريق إلى أن الإمامة قد تجوز فى قريش وغيرهم من الناس هو المعتزلة بأسرها وجماعة من الزيدية مثل الحسن بن صالح بن يحيى ، ومن قال بقوله .

ويوافق على هذا القول جميع الخوارج من الأباضية وغيرهم ، إلا النجدات من فرق الخوارج، فزعموا أن الإمامة غير واجب نصبها ، ووافقهم على هذا القول أناس من المعتزلة من تقدم وتأخر، إلا أنهم قالوا : إن عدلت الأمة ولم يكن فيها فاسق لم يحتج إلى إمام .

وذهب من قال بهذا القول إلى دلائل ذكروها ؛ منها قول عمر بن الخطاب رضى الله عنه : لو أن سالماً حى دخلتنى فيه الظنون ، وذلك حين فوض الأمر إلى أهل الشورى ، قالوا : وسالم مولى امرأة من الأنصار ، فلو لم يعلم عمر أن الإمامة جائزة فى سائر المؤمنين لم يطلق هذا القول ، ولم يتأسف على موت سالم مولى أبى حذيفة .

قالوا : وقد صح بذلك عن النبى صلى الله عليه وسلم أخبار كثيرة ،

منها قوله «اسمعوا وأطيعوا ولو لعبد أجدع» وقد قال الله عز وجل : (إن أكرمكم عند الله أتقاكم) .

وذهب أبو حنيفة، وأكثر المرجئة، وأكثر الزيدية من الجارودية وغيرها، وسائر فرق الشيعة والرافضة والراوندية ، إلى أن الإمامة لا تجوز إلا فى قريش فقط ؛ لقول النبى صلى الله عليه وسلم «الإمامة فى قريش» وقوله عليه السلام : «قدموا قريشاً ولا تقدموها» ولما احتج المهاجرون به على الأنصار يوم ثقيفة بنى ساعدة من أن الإمامة في قريش لأنهم إذا ولوا عدلوا ، ولرجوع كثير من الأنصار إلى ذلك .

ولما انفرد به أهل الإمامة من أن الإمامة لا تكون إلا نصاً من الله ورسوله على عين الإمام واسمه واشتهاره كذلك ، وفى سائر الأعصار لا تخلو الناس من حجة لله فيهم ظاهراً وباطناً ، على حسب استعماله التقية والخوف على نفسه ، واستدلوا بالنص على الإمامة ، وبدلائل كثيرة من العقول وجوامع من النصوص فى وجوبها ، وفى النص عليهم ، وفى عصمتهم ، من ذلك قوله عز وجل مخبراً عن إبراهيم : ﴿ إنى جاعلك للناس إماماً ﴾ ومسألة إبراهيم بقوله : ﴿ومن ذريتى﴾ وإجابة الله له بأنه ﴿لا ينال عهدى الظالمين﴾ .

قالوا : ففيما تلونا دلائل على أن الإمامة نص من الله ، ولو كان نصها إلى الناس ما كان لمسألة إبراهيم ربه وجه ، ولما كان الله قد أعلمه أنه اختاره ، وقوله ﴿لا ينال عهدى الظالمين﴾ دلالة على أن عهده يناله من ليس بظالم .

ووصف هؤلاء الإمام فقالوا : نعت الإمام فى نفسه : أن يكون معصوماً من الذنوب ، لأنه إن لم يكن معصوماً لم يؤمن أن يدخل فيما يدخل فيه غيره من الذنوب ؛ فيحتاج أن يقام عليه الحد ، كما يقيمه هو على غيره ، فيحتاج الإمام إلى إمام ، إلى غير نهاية ، ولم يؤمن عليه أيضاً أن يكون فى الباطن فاسقاً فاجراً كافراً ؛وأن يكون أعلم الخليقة ؛ لأنه إن لم يكن عالماً لم يؤمن عليه أن يقلب شرائع الله وأحكامة ، فيقطع من يجب عليه الحد ، ويحد من يجب عليه القطع ، ويضع الأحكام فى غير المواضع التى وضعها الله ، وأن يكون أشجع الخلق ؛ لأنهم يرجعون إليه فى الحرب، فإن جبن وهرب يكون قد باء بغضب من الله ، وأن يكون أسخى الخلق ؛ لأنه خازن المسلمين وأمينهم ، فإن لم يكن سخياً تاقت نفسه إلى أموالهم ، وشرهت إلى ما فى أيديهم ، وفى ذلك الوعيد الشديد بالنار ، وذكروا خصالا كثيرة ينال بها أعلى درجات الفضل لا يشاركه فيها أحد ، وأن ذلك كله وجد فى على بن أبى طالب وولده رضى الله عنهم : من السبق إلى الإيمان ، والهجرة، والقرابة ، والحكم بالعدل ، والجهاد فى سبيل الله ، والورع ، والزهد ، وأن الله قد أخبر عن بواطنهم وموافقتها لظواهرهم بقوله عز وجل، ووصفه لهم فيما صنعوه من الإطعام للمسكين واليتيم والأسير ، وأن ذلك لوجهه تعالى خالصاً، لا أنهم أبدوه بألسنتهم فقط وأخبر عن أمرهم فى المنقلب ، وحسن الموئل فى المحشر ، ثم إخباره عز وجل عمن أذهب عنهم من الرجس ، وفعل بهم من التطهير ، وغير ذلك مما أوردوه دلائل لما قالوه ، وأن عليا نص على ابنه الحسن ، ثم الحسين ، والحسين على على بن الحسين ، وكذلك من بعده إلى صاحب الوقت الثانى عشر .

ولأهل الإمامة من فرق الشيعة [1] كلام كثير فى الغيبة واستعمال التقية، وما يذكرونه من أبواب الأئمة والأوصياء ، وكذلك ما عليه غير أهل الإمامة من أصحاب الدور والسيرورة ، وما يراعونه من الظهور.

قال المسعودى : وكان خروج يزيد بن الوليد بدمشق مع شائعة من المعتزلة وغيرهم من أهل داريا والمزة من غوطة دمشق على الوليد بن يزيد ، لما ظهر من فسقه ، وشمل الناس من جوره .

**أم يزيد أم ولد :**

وكان يزيد بن الوليد أول من ولى هذا الأمر وأمه أم ولد ، وكانت أمه سارية بنت فيروز بن كسرى ، وهو الذى يقول فى ذلك :

أنا ابن كسرى ، وأبى مروان وقيصر جدى ، وجدى خاقان وكان يكنى بأبى خالد ، وأم أخيه إبراهيم أم ولد تدعى بدبرة ، والمعتزلة تفضل فى الديانة يزيد بن الوليد على عمر بن عبد العزيز .

**ظهور مروان ابن محمد (الحمار) :**

وفى سنة سبع وعشرين ومائة أقبل مروان بن محمد بن مروان من الجزيرة فدخل دمشق ، وخرج إبراهيم بن الوليد هارباً من دمشق ، ثم

---

(١) ليس هناك نص صريح على أن الأئمة منصوص عليهم ، وليس الإمام معصوما فليس معصوما من البشر إلا الأنبياء عليهم الصلاة والسلام ، وليس الإمام يعلم شئ كما يزعم الشيعة وهم يزعمون أن آخر الأئمة هو محمد بن الحسن العسكرى اختفى فى سرداب سمراء وأنه يرزق من نهرين نهر من لبن ونهر من عسل ويحيط به أسدان ، وأنه سيرجع ويملأ الأرض عدلا وكل هذا تخبط وافتراء .

ظفر به مروان فقتله وصلبه ، وقتل من مالأه ووالاه ، وقتل عبد العزيز بن الحجاج ، ويزيد ابن خالد القسرى ، وبدأ أمر بنى أمية يؤول إلى ضعف .

وذكر اليحصبى عن الخليل بن إبراهيم السبيعى ، قال : سمعت ابن الجمحى يقول : قال لى العلاء ابن بنت ذى الكلاع : إنه كان مؤانساً لسليمان بن عبد الملك لا يكاد يفارقه، وكان أمر المسودة بخراسان والمشرق قد بان، ودنا من الجبل، وقرب من العراق ، واشتد إرجاف الناس، ونطق العدو بما أحب فى بنى أمية وأوليائهم ، قال العلاء : فإنى لمع سليمان وهو يشرب حذاء رصافة أبيه ، وذلك فى آخر أيام يزيد الناقص ، وعنده حكم الوادى يغنيه .

فأجاد بما شاء ، فشرب سليمان بالرطل ، وشربنا معه ، حتى توسدنا أيدينا، فلم أنتبه إلا بتحريك سليمان إياى ، فقمت إليه مسرعاً ، فقلت له : ما شأن الأمير ؟ فقال لى : على رسلك ، رأيت كأنى فى مسجد دمشق، وكأن رجلاً فى يده خنجر وعليه تاج أرى بصيص ما فيه من جوهر.

فقلت : بل لا يكون ذلك ، وعجبت من حفظه ، ولم يكن من أصحاب ذلك ، فوجم ساعة ثم قال : يا حميرى بعيد ما يأتى به الزمان قريب ، قال: فما اجتمعنا على شراب بعد ذلك .

ودخلت سنة اثنتين وثلاثين ومائة ، وكان من أمر المسودة ومروان ابن محمد الجعدى ما كان .

## سبب زوال ملك الأمويين :

وذكر المنقرى قال : سئل بعض شيوخ بنى أمية ومحصليها عقيب زوال الملك عنهم إلى بنى العباس : ما كان سبب زوال ملككم ؟ قال : إنا شغلنا بلذاتنا عن تفقد ما كان تفقده يلزمنا ، فظلمنا رعيتنا ؛ فيئسوا من إنصافنا، وتمنوا الراحة منا ، وتحومل على أهل خراجنا ؛ فتخلوا عنا ، وخربت ضياعنا ، فخلت بيوت أموالنا ، ووثقنا بوزرائنا فآثروا مرافقهم على منافعنا، وأمضوا أموراً دوننا أخفوا علمها عنا ، وتأخر عطاء جندنا ، فزالت طاعتهم لنا ، واستدعاهم أعادينا ، فتظافروا معهم على حربنا ، وطلبنا أعداؤنا فعجزنا عنهم لقلة أنصارنا ، وكان استتار الأخبار عنا من أوكد أسباب زوال ملكنا .

# السبب فى العصبية بين النزارية واليمانية

## الكميت يعرض شعره على الفرزدق :

ذكر أبو الحسن على بن محمد بن سليمان النوفلى ، قال : حدثنى أبى، قال : لما قال الكميت بن زيد الأسدى - من أسد مضر بن نزار - الهاشميات قدم البصرة ؛ فأتى الفرزدق فقال : يا أبا فراس ، أنا ابن أخيك، قال : ومن أنت ؟ فانتسب له . فقال : صدقت فما حاجتك ؟ قال : نفث على لسانى ، وأنت شيخ مضر وشاعرها ، وأحببت أن أعرض عليك ما قلت ، فإن كان حسناً أمرتنى بإذاعته ، وإن كان غير ذلك أمرتنى بستره وسترته على ، فقال : يا ابن أخى ، أحسب شعرك على قدر عقلك ، فهات ما قلت راشداً فلما أنشده قال : لله درك يا بنى ، أصبت فأحسنت و إذ

عدلت عن الزعانف والأوباش ، إذاً لا يصرد سهمك ، ولا يكذب قولك ، ثم مر فيها ، فقال له : أظهر ثم أظهر وكد الأعداء ، فأنت والله أشعر من مضى وأشعر من بقى .

**الكميت يعرض شعره على أبى محمد بن على :**

فحينئذ قدم المدينة ؛ فأتى زبا جعفر محمد بن على بن الحسين بن على رضى الله عنهم ، فأذن له ليلاً وأنشده ، فلما بلغ من الميمية قوله :

وقتيل بالطف غودر منهم   بين غوغاء أمــة وطغــام

بكى أبو جعفر ، ثم قال : يا كميت ، لو كان عندنا مال لأعطيناك ، ولكن لك ما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لحسان بن ثابت : لا زالت مؤيداً بروح القدس ما ذببت عنا أهل البيت ، فخرج من عنده .

**ثم يعرضه على عبد الله ابن الحسن :**

فأتى عبد الله بن الحسن بن على ، فأنشده ، فقال : يا أبا المستهل ، إن لى ضيعة قد أعطيت فيها أربعة آلاف دينار ، وهذا كتابها ، وقد أشهدت لك بذلك شهوداً ، وناوله إياه ، فقال : بأبى أنت وأمى ، إنى كنت أقول الشعر فى غيركم أريد بذلك الدنيا والمال ، ولا والله ما قلت فيكم شيئاً إلا لله ، وما كنت لآخذ على شئ جعلته لله مالاً ولا ثمناً ؛ فالح عبد الله عليه ، وأبى من إعفائه ؛ فأخذ الكميت الكتاب ومضى ؛ فمكث أياماً ، ثم جاء إلى عبد الله فقال : بأبى أنت وأمى يا ابن رسول الله إن لى حاجة ، قال : وما هى ؟ وكل حاجة لك مقضية ، قال : كائنة ما كانت ؟ قال : نعم ، قال : هذا الكتاب تقبله وترتجع الضيعة ، ووضع الكتاب بين يديه ؛ فقبله عبد الله.

**عبد الله ابن جعفر يثيب الكميت :**

ونهض عبد الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر بن أبى طالب ؛ فأخذ ثوباً جلداً فدفعه إلى أربعة من غلمانه ، ثم جعل يدخل دور بنى هاشم ، ويقول : يا بنى هاشم ، هذا الكميت قال فيكم الشعر حين صمت الناس عن فضلكم ، وعرض دمه لبنى أمية ، فأثيبوه بما قدرتم ، فيطرح الرجل فى الثوب ما قدر عليه من دنانير ودراهم ،

وأعلم النساء بذلك ، فكانت المرأة تبعث ما أمكنها ، حتى إنها لتخلع الحلى عن جسدها ، فاجتمع من الدنانير والدراهم ما قيمته مائة ألف درهم، فجاء بها إلى الكميت ، فقال : يا أبا المستهل ، أتيناك بجهد المقل ، ونحن فى دولة عدونا ، وقد جمعنا لك هذا المال وفيه حلى النساء كما ترى ، فاستعن به على دهرك ،

فقال : بأبى أنت وأمى ، قد أكثرتم وأطيبتم ، وما أردت بمدحى إياكم إلا الله ورسوله ، ولم أك لاخذ لذلك ثمناً من الدنيا ، فأزدده إلى أهله ، فجهد به عبد الله أن يقبله بكل حيلة ، فأبى ، فقال : إن أبيت أن تقبل فإنى رأيت أن تقول شيئاً تغضب به بين الناس ، لعل فتنة تحدث فيخرج من بين أصابعها بعض ما تحب ،

فابتدأ الكميت وقال قصيدته التى يذكر فيها مناقب قومه من مضر بن نزار بن معد وربيعة بن نزار وإياد وأنمار ابنى نزار ، ويكثر فيها من تفضيلهم ، ويطنب فى وصفهم ، وأنهم أفضل من قحطان ؛ فغضب بها بين اليمانيةوالنزارية.

**دعبل الخزاعى يرد على الكميت :**

وقد نقض دعبل بن على الخزاعى هذه القصيدة على الكميت وغيرها، وذكر مناقب اليمن وفضائلها من ملوكها وغيرها ، وصرح وعرض بغيرهم ، كما فعل الكميت .

**كانت العصبية من دواعى زوال ملك بنى أمية :**

**وهى طويلة ، ونمى قول الكميت فى النزارية واليمانية ، وافتخرت نزار على اليمن ، وافتخرت اليمن على نزار ، وأدلى كل فريق بما له من المناقب، وتخربت الناس ، وثارت العصبية فى البدو والحضر ؛ فنتج بذلك أمر مروان بن محمد الجعدى ، وتعصبه لقومه من نزار على اليمن ، وانحراف اليمن عنه إلى الدعوة العباسية ، وتغلغل الأمر إلى انتقال الدولة عن بنى أمية ، ثم ما تلا ذلك من قصة معن بن زائدة باليمن ، وقتله أهلها تعصباً لقومه من ربيعة وغيرها من نزار ، وقطعه الحلف الذى كان بين اليمن وربيعة فى القدم ، وفعل عقبة بن سالم بعمان والبحرين ، وقتله عبد القيس وغيرهم من ربيعة وسائر نزار ممن بأرض البحرين وعمان كياداً لمعن ، وتعصباً من عقبة بن سالم لقومه من قحطان ، وغير ذلك مما تقدم وتأخر مما كان بين نزار وقحطان .**

# أيام مروان بن محمد بن مروان
# ابن الحكم، وهو الجعدى

**موجز :**

وبويع مروان بن محمد بن مروان بدمشق يوم الاثنين لأربع عشرة ليلة خلت من صفر سنة سبع وعشرين ومائة ، وقيل : إنما دعا إلى نفسه بمدينة حران من ديار مضر ، وبويع له بها ، وأمه أم ولد يُقال لها رباً ، وقيل : طرونة ، كانت لمصعب بن الزبير ، فصارت بعد مقتله لمحمد بن مروان أبيه، وكان مروان يكنى أبا عبد الملك ،

واجتمع أهل الشام على بيعته إلا سليمان بن هشام بن عبد الملك وغيره من بنى أمية ؛ فكانت أيامه منذ بويع بمدينة دمشق من أرض الشام إلى مقتله خمس سنين وعشرة أيام ، وقيل : خمس سنين وثلاثة أشهر ، وكان مقتله فى أول سنة اثنتين وثلاثين ومائة ، ومنهم من رأى أن ذلك كان فى المحرم ، ومنهم من رأى أن ذلك كان فى صفر ، وقيل غير ذلك مما تنازع فيه أهل التواريخ والسير على حسب تنازعهم فى مقدار ملكه : فمنهم من ذهب إلى أن مدته خمس سنين وثلاثة أشهر ، ومنهم من قال : خمساً وشهرين وعشرة أيام ، ومنهم من قال : خمسة أيام، وكان مقتله ببوصير قرية من قرى الفيوم بصعيد مصر ، وقد تنوزع فى مقدار سنة كتنازعهم فى مقدار ملكه ؛ فمنهم من زعم أنه قتل وهو ابن سبعين سنة، ومنهم من قال : ابن تسع وستين ، ومنهم من قال : اثنتين وستين ، ومنهم من قال : ثمان وخمسين .

# مقدار المدة من الزمان

# وما ملكت فيه بنوا أميه من الأعوام

**المدة إجمالا :**

كان جميع ملك بنى أمية إلى أن بويع أبو العباس السفاح ألف شهر كاملة لا تزيد ولا تنقص ؛ لأنهم ملكوا تسعين سنة ، وأحد عشر شهراً ، وثلاثة عشر يوماً .

**تفصيل المدة :**

قال المسعودى : والناس متباينون فى تواريخ أيامهم ، والمعول على ما نورده ، وهو الصحيح عند أهل البحث ومن عنى بأخبار هذا العالم ، وهو أن معاوية بن أبى سفيان ملك عشرين سنة ، ويزيد بن معاوية ثلاث سنين وثمانية أشهر وأربعة عشر يوماً ، ومعاوية بن يزيد شهراً وأحد عشر يوماً ، ومروان بن الحكم ثمانية أشهر وخمسة أيام ، وعبد الملك بن مروان إحدى وعشرين سنة وشهراً وعشرين يوماً ، والوليد بن عبد الملك تسع سنين وثمانية أشهر ويومين ، وسليمان بن عبد الملك سنتين وستة أشهر وخمسة عشر يوماً ، وعمر بن عبد العزيز رضى الله عنه سنتين وخمسة أشهر وخمسة أيام ، ويزيد بن عبد الملك أربع سنين وثلاثة عشر يوماً ، وهشام ابن عبد الملك تسع عشرة سنة وتسعة أشهر وتسعة أيام ، والوليد بن يزيد ابن عبد الملك سنة وثلاثة أشهر ، ويزيد بن الوليد بن عبد الملك شهرين وعشرة أيام ، وأسقطنا أيام إبراهيم بن الوليد بن عبد الملك كإسقاطنا أيام إبراهيم بن المهدى أن يعد فى الخلفاء العباسيين ، ومروان بن محمد بن

مروان خمس سنين وشهرين وعشرة أيام ، إلى أن بويع السفاح ، فتكون الجملة تسعين سنة وأحد عشر شهراً وثلاثة عشر يوماً ، يضاف إلى ذلك الثمانية أشهر التى كان مروان يقاتل فيها بنى العباس إلى أن قتل ، فيصير ملكهم إحدى وتسعين سنة وسبعة أشهر وثلاثة عشر يوماً .يوضع من ذلك أيام الحسن بن على - وهى خمسة أشهر وعشرة أيام - وتوضع أيام عبد الله بن الزبير إلي الوقت الذى قتل فيه - وهى سبع سنين وعشرة أشهر وثلاثة أيام - فيصير الباقى بعد ذلك ثلاثاً وثمانين سنة وأربعة أشهر ، يكون ذلك ألف شهر سواء .

وقد ذكر قوم أن تأويل قوله عز وجل : ﴿ ليلة القدر خير من ألف شهر ﴾ ما ذكرناه من أيامهم .

وقد روى عن ابن عباس أنه قال : والله ليملكن بنو العباس ضعف ما ملكته بنو أمية : باليوم يومين ، وبالشهر شهرين ، وبالسنة سنتين ، وبالخليفة خليفتين .

**مدة ملك بنى العباس :**

قال المسعودى : فملك بنو العباس في سنة اثنتين وثلاثين ومائة ، وانقضى ملك بنى أمية ؛ فلبنى العباس من وقت ملكهم إلى هذا الوقت - وهو سنة اثنتين وثلاثين وثلثمائة - مائتا سنة ، وذلك أن أبا العباس السفاح بويع له بالخلافة فى ربيع الآخر من سنة اثنتين وثلاثين ومائة ، وانتهينا من تصنيفنا من هذا الكتاب إلى هذا الموضع فى شهر ربيع الأول من سنة اثنتين وثلاثين وثلثمائة فى خلافة أبى إسحاق المتقى لله ، والله أعلم بما

يكون من أمرهم فيما يأتى به الزمان المستقبل بعد هذا الوقت من الأيام .وقد أتينا بحمد الله فيما سلف من كتابينا « أخبار الزمان» والأوسط على الغرر من أخبارهم ، والنوادر من أسمائهم ، والطرائف مما كان فى أيامهم وعهودهم، ووصاياهم ، ومكاتباتهم ، وأخبار الحوادث والخوارج فى أيامهم من الأزارقة والأباضية وغيرهم ، ومن ظهر من الطالبيين طالباً بحق أو آمراً بمعروف أو ناهياً عن منكر ، فقتل فى أيامهم ، وكذلك من تلاهم من بنى العباس إلى خلافة المتقى لله من سنتنا هذه ـ وهى سنة اثنتين وثلاثين وثلثمائة ـ وما ذكرنا فى هذا الباب من جوامع التاريخ قد يخالف ما تقدم بسطه باليوم أو العشرة أو الشهر عند ذكرنا لدولة كل واحد منهم وأيامه ، وهذا هو المعول عليه من تاريخهم وسنيهم ، والمفصل من مدتهم ، والله أعلم، ومنه التوفيق.

# الخاتمـــة

# فى مدينة الإسلام فى عهد الدولة الأموية وأسباب سقوطها

## الخلافة الإسلامية :

ليست الخلافة فى عهد الدولة الأموية مظهر الملك وأبهته واستشعرت سطوة الحكم وعظمتته فبعد أن كان الخلافاء الراشدون للناس كافة لا يمنعهم دون الخليفة حجاب ولا يصدهم عنه باب وجد فى العهد الأموى الحجاب والمقاصير فى المساجد الجامعة وبعد أن كان عمر بن الخطاب يقول على منبر الرسول الله: من رأى منكم فى اعوجاجاً فليقومه قال عبد الملك بن مروان فى خطبته بعد قتل ابن الزبير : ولا يأمرنى أحد يتقوى الله بعد مقامى هذا إلا ضربت عنقه وبعد أن كان الخليفة يختلط بالناس كأحدهم فى الأسواق والمجامع يأمر وينهى ويربى ويؤدب رأينا الوليد ابن عبد الملك تصرف له الناس من المسجد النبوى حينما أراد مشاهدته وأثر الصناعة فيه وكادوا يصرفون سعيد بن المسيب شيخ الفقهاء بالمدينة لولا جلال سنه واحترام الأمير عمر بن عبد العزيز له وبعد أن لم يكن للخليفة شارة يمتاز بها صرنا نقرأ الرويات عن قضيب الخلافة وخاتمها وتنشد للوليد بن يزيد بن عبد الملك حينما جاءه نعى عمه هشام بن عبد الملك .

وبعد أن كان الخلفاء بعيدين عن مظاهر الترف يجتزئ أحدهم بأقل ما يجتزئ به الضعفاء من رعيتهم ويتمنى بعد ذلك أن يخرج من الدنيا كفافاً لا عليه ولا له صرنا نرى بنى مروان قد انغمسوا فى الترف فاختيرت

لهم الألوان وتبسطوا بما لذ وطاب فسمعوا الأغانى من القيان كما يروى عن يزيد بن عبد الملك وابنه الوليد بن يزيد وبعد أن الخلفاء تختار من بيوت متعددة رأينا الخلافة فى هذه الدولة قد انحصرت فى بيت واحد يختار كل خليفة منهم ولى عهده من أهل بيته إما ابنه أو أخاه أو ابن عمه شأن الملك العقيم وبعد أن كانت الأمة تساس بوازع الدين وأثره فى النفس رأيناها تساس بقوة البطش وحد السيف حتى كان عبد الملك يقول للناس : تطلبون منا أن نسير فيكم بسيرة الشيخين أبى بكر وعمر ، أو تسيرن أنتم بسيرة الناس فى عهد أبى بكر عمر ؟ فكأنه يعتذر لهم عن قسوته فى معاملتهم بأنهم الذين حملوه على ذلك بما ظهر فيهم من بدع الأخلاق وكما تمثل يزيد ابن معاوية حينما جاءه الخبر بخلع أهل المدينة له :

هم بدلوا الحكم الذى فى سجيتى

فبـدلـت قومى غلظـة بليـــــان

على الجملة فإن مظاهر الملك قد ظهرت على هذه الدولة من أول وجودها كما أن الترف قد لحقها فى آخر أمرها وهو نتيجة طبيعية لانحصار الخلافة فى بيت واحد .

**الانتخابات والبيعة :**

جرى خلفاء بنى أمية على اختيار أولياء العهد فى حياتهم فكلهم كان مختاراً من سلفه ما عدا رأس هذه الدولة معاوية ابن أبى سفيان مروان ابن الحكم ويزيد بن الوليد بن عبد الملك ومروان بن محمد فإن أربعتهم قد أخذوها بالقوة ، فمعاوية اختاره أهل الشام فغالب بهم حتى استقر له لأمر

وإجتمعت عليه الحكمة ، ومراوان اختاره بعض أهل الشام عقب موت معاوية الثانى فغالب بهم حتى فاز بعض الفوز وتم الأمر لبنى أمية على يد ابنه عبد الملك ويزيد الثالث خرج على ابن عمه الوليد ابن يزيد الثانى حتى قتله وحل محله . ومروان ابن محمد دعا إلى نفسه عقب موت يزيد الثالث فبايعه قوم وكرهه آخرون ولم يزل فى أخذ ورد حتى ذلت دولتهم على يده .

أما من عدا هؤلاء الأربعة وهم تسعة الخلفاء فقد كانوا مختارين من قبل أسلافهم فيزيد الأول اختاره أبو معاوية . ومعاوية الثانى اختاره يزيد وعبد الملك اختاره مروان ، والوليد وسليمان اختاره أبوهما عبد الملك وعمر ويزيد اختارهما سليمان : الأول ابن عمه والثانى أخوه وهشام والوليد الثانى اختارهما يزيد : الأول أخوه . والثانى ابنه .

ولم يحصل فى عهد بنى أمية أن اختار أحدهم واحداً لولاية عهده بل كانوا دائماً يختارون من يلى عهدهم ومن بعده وهذه من أغلاطهم التى جربوا سوء تنائجها ولم يرعووا عنها وكانت سبباً مهماً من أسباب القضاء على دولتهم .

وكانوا يأخذون البيعة فى حياتهم لولاة عهودهم فإذا مات الخليفة جددت البيعة مرة ثانية تأكيداً للعهد والميثاق . وأول من يبايع أمراء البيت الأموى ثم يليهم القواد ثم أمراء الأمصار وهؤلاء يأخذون البيعة على من تحت إمرتهم وكانت البيعة على السمع والطاعة والعمل بكتاب الله وسنة رسوله ﷺ وقد شذوا أحياناً عن نص هذه البيعة إذا كانت عقب ثورة فقد أخذ مسلم ابن عقبة المرى البيعة على أهل المدينة بعد وقعة الحرة على أنهم خول ليزيد يحكم فى أنفسهم وأموالهم وأبنائهم وكان الحجاج بعد هزيمة

ابن الأشعث لا يبايع إلا من أقر على نفسه بالكفر بخروجه .

**إدارة البلاد :**

كانت البلاد الإسلامية تدار بمعرفة أمراء يختارهم الخلفاء وهم نواب عنهم . وكانت مقسمة إلى أمارات كبرى وهى :

١ ـ الحجاز : وينظم المدينة ومكة والطائف ويقيم الأمير بالمدينة وكان يضاف إلى ذلك أحياناً بلاد اليمن وأحياناً تكون مستقلة بأمير .

٢ ـ العراق : ينتظم الكوفة والبصرة وخراسان ، والأمير يقيم بأمير فى الكوفة بعض السنة وفى البصرة بعضها ، وكانت خرسان تستقل أحيانا بأمير يخاطب الخليفة رأسا وأحياناً وقد يضاف إلى إمارة العراق بلاد اليمامة .

٣ ـ الجزيرة وأرمينية : وتنظم بلاد الموصل وأذربيجان وولايات أرمينية.

٤ ـ أجناد الشام : كانت خمسة وهى : فلسطين والأردن ودمشق وحمص وقنسرين، وكانت قنسرين وكورها مضمومة إلى حمص، حتى كان يزيد بن معاوية فجعل قنسرين وأنطاكية ومنبج جنداً برأسه، وإنما سمى كل منهما جنداً ، لأنه يجمع كوراً ، والتجند التجمع ، قيل سميت كل ناحية بجند لأنهم كانوا يقبضون أعطيتهم فيه، والأقرب أن هذا هو أصل التسمية.

٥ ـ مصر وإفريقية تنظم بلاد مصر وشمال إفريقية ، وكانت إفريقية فى بعض الأحيان تستقل بوالى مصر .

٦ - بلاد الأندلس بعد فتحها تارة كانت تضم إلى إفريقية .

وكل أمير كان يختار من رجاله أمراء على الكور التى هى حدود إمارته .وكانت لأعمال التى ترجع إلى الخلفاء هى :

١ - إقامة الصلاة . .

٢ - قيادة الجيش .

٣ - جباية الخراج ، والصداقات ووضع ذلك مواضعه .

**٤ - القضاء بين الناس فى منازعتهم ، قد كان الأمير يقوم مقام الخليفة احياناً فى جميع ذلك ويقيم للمسلمين صلاتهم بنفسه ويقود الجند أو يختار من رجاله قائداً للجيش ويعين حابياً للخراج فيصرف منه حاجات الإمارة وأعطيات الجنود ويرسل بما يبقى الخليفة ويعين من شاء للقضاء بين الناس . وتارة كانوا يقصرون الولاة على الصلاة والحرب ولقضاء ويعين الخليفة عاملاً للخراج يرجع إليه رأساً .**

**الأمراء الذين كانت إليهم النيابة العامة كانوا متمتعين بما يسمى فى العراقى الحاضر بالإستقلال الإدارى فكانوا يتصرفون فى كل شئ ويعلمون الخليفة بما عندهم من الأمور العظيمة وأظهر ما كان هذا الإستقلال فى بلاد العراق فى عهد زياد بن أبى سفيان وإبنه عبد الله والحجاج بن يوسف وعمر بن هبيرة وخالد بن عبد الله القسرى إلا أن الحجاج كان أكبرهم إستقلالاً للثقة التى حازها عند عبد الملك وابنه الوليد .**

كانت المشاكل تحل والمنازعات تقضى فى حواضر الإمارات إلا أنه

لا مانع يمنع ذا ظلامة من أن يرفع أمره إلى الخليفة وقد ترفع عنه ظلامته.
وقد ضيق على الأمراء عمر ابن عبد العزيز بعض التضيق لأن ثقته كانت بهم قليلة وقد حتم عليهم أن لا ينفذوا حداً من الحدود من قطع أو قتل إلا إذا عرض عليه وأمر بتنفيذه ، إما فى عهد غيره فكان الأمراء يفعلون ما فوق ذلك من غير أن يعلم الخليفة بما يفعلون فكان أحدهم يأمر بقتل الرجل على أيسر الذنوب ويضربه الضرب المبرح من غير أن يكون هناك إعتراض عليه لا من الخليفة ولا من الناس . والذى دعا إلى أن تمتع الأمراء بهذا الإستقلال هو صعوبة المواصلات بين حاضرة الخلافة دمشق وبين حواضر الولايات ولو ألزم الأمير أن يستشير فى كل ما يقع فى دائرة ولايته لطال عليهم الزمن، وبقيت المشاكل من غير حل زمناً طويلاً وهذا مسبب للإضطراب الكثير .

ومن أعظم ما يؤخذ على بنى أمية فى النصف الثانى من أيام خلافتهم إذلال الأمراء ومصادرتهم فى أموالهم وأحياناً والإتيان على أنفسهم بعد أن يعزلوا . وقد إبتدأ هذا فى عهد سليمان بن عبد الملك فإنه أذل عمال الحجاج ومن كانوا يلوذون به بعد أن مهدوا لهم السبيل ، ووطئوا لهم المنابر، واستمر الأمر على ذلك من بعد عمر بن عبد العزيز إلى أن انتهى أمرهم، وقد كان هذا سبباً من أسباب فناء البيت الأموى . ومن أغرب ما حصل لهم أن يوسف بن عمر الثقفى الذى ولى العراق بعد خالد بن عبد الله القسرى اشترى من الوليد بن يزيد خالداً وعماله بخمسين ألف ألف فدفعه إليه فنزع ثيابه وألبسه عباءة وحمله فى محمل بغير وطاء وعذبه عذاباً شديداً وهو لا يكلمه كلمة ثم حمل إلى الكوفة فعذبه ووضع المضرسة

على صدرة فقتله فى الليل ودفنه من وقته بالحيرة فى عباءته التى كان فيها وذلك بعد أن ولى خالد العراق خمسة عشرة سنة وهو بعد هذا سيد من سادات اليمن وعظيم عظمائهم .

## قيادة الجنود :

تمتاز هذه الدولة بأن عصرها كله كان زمن فتح ، ففيه اتسعت حدود المملكة من الجهة الشرقية فى السند والصغد وبلاد الترك . ومن الجهة الشمالية فى أذربيجان وأرمينية وبلاد الروم ومن الجهة الغربية فى إفريقية والأندلس .

كان عصرها مع هذا زمن حروب داخلية عظام ، حيناً مع الخوارج وحيناً مع طلاب الخلافة من بنى على ولم يخل عصر خليفة أموى من حروب داخلية إلا عصر الوليد بن عبد الملك وعمر بن عبد العزيز . فهى إذاً دولة حربية . ولا جرم أن امتاز فيها أفراد كثيرون بقيادة الجنود إلى حومة الوغى ، واشتهروا بالثبات ومضاء العزيمة وحسن التدبير فى الحروب . وها نحن نورد على أسماعكم جملة من أولئك الأمراد العظام الذى مر ذكرهم .

## ممن اشتهر بالشرق :

١ ـ المهلب بن أبى صفرة الأزدى ، كان علمه تاماً بمكيدة الحروب والاحتراس من غوائلها اشتهر فى حروبه مع الخوارج ببلاد فارس وله حروب قليلة بما وراء النهر وامتاز المهلب بمحبته للجماعة وبغضه للفتن والثوارات .

٢ ـ قتيبة بن مسلم الباهلى وكان شجاعاً مقداماً لا يرده شئ عن قصده ، واشتهر بحروبه بما وراء النهر فإنه دوخ تلك البلاد وأذل أهلها ، وقد أخذ عليه خلعه لسليمان بن عبد الملك عقب خلافته ، وكان ذلك سبب هلاك قتيبة وأهل بيته ، وفقد الدولة صالح خدمتهم .

٣ ـ يزيد بن المهلب بن أبى صفرة الأزدى وكان شجاعاً لا يخطر له الفرار على بال واشتهر بحروبه فى جرجان وطبرستان فإنه رد أهلها إلى الطاعة بعد غدرهم وقطعهم الطريق ـ طريق خرسان ـ وله حروب بعد ذلك بما رواء النهر وأخذ عليه خلعه ليزيد بن عبد الملك عقب خلافته ، وكان ذلك سبباً لهلاكه وهلاك أهل بيته الذين كانوا غرة جبين الدولة الأموية .

٤ ـ أسد بن عبد الله القسرى اشتهر بحربه العظيمة بما رواء النهر وكان الناس هناك يسمونه ملك العرب وهابوه هيبة لم يهابوها قائداً قبله أخذ عليه عصبيته لقومه من اليمن على غيرهم من نزارحتى كان ذلك سبباً فى فساد أهل خراسان واختلافهم .

٥ ـ محمد بن القاسم بن الثقفى اشتهر بحروبه فى بلاد السند على عهد الحجاج بن يوسف وافتتح من السند أعظم بلدانهم وأحكم الأمر بها حتى دانت له وقد قتل فى أول خلافة سليمان بن عبد الملك واشتهر فى أرمينية وأزربيجان .

٦ ـ محمد بن مروان بن الحكم الأموى كان شجاعاً صاحب ثابتة حتى كان أخوه عبد الملك يحسده على ذلك له غزوات وفتوح فى شمال أرمينية وأذربيجان .

٧ ـ مروان بن محمد بن مروان كان كأبيه بطلاً مقداماً سد ثغور أرمينية وأذبيجان وأبلى فيها البلاء الحسن .

٩ ـ مسلمة بن عبد الملك كان أشجع أولاد عبد الملك بن مروان غزا القسطنطينية المرة الثانية وافتتح كثيراً من الحصون الرومية وقد قصر به عن الخلافة أن أمه كانت أمة ، ولم يكن بنو أمية فى أول أمرهم يولون إلا أولاد الحرائر .

١٠ ـ أبو محمد عبد الله البطال كان رئيساً على عرب الجزيرة الذين يغزون ثغور الروم وكانت الروم تهابه هيبة شديدة .

١١ ـ العباس بن الوليد بن عبد الملك كان يسامى مسلمة فى نباهة الشأن قوة العزيمة ،كان كثيراً ما يقود الشواتى والصوائف إلى البلاد الرومية واشتهر فى الغرب وإفريقية .

١٢ ـ عقبة بن نافع وهو مؤسس القيروان وله مع البربر وقائع كثيرة انتصر فى معظمها وكانت نهاية أمره أنه قتل فى إحدى تلك الوقائع .

١٣ ، ١٤ ـ موسى بن نصير وطارق بن زياد وهما اللذان فتحا الأندلس وأدخلا الإسلام فى قارة أوروبا .

وهناك غيرهم من القواد ، لكن لم يكن لهم من رفعة القدر ما لهؤلاء ولم تكن همة الدولة الإسلامية قاصرة على تقوية الجيوش البرية بل كان لهم اسطول قوى فى البحر الأبيض المتوسط يحمى البلاد الإسلامية من غارات الروم المتواصلة ويغير على بلادهم ، وكان لهم من غابات لبنان مورد عظيم لصنع مراكبهم فضلاً عما كانوا يغنمونه من مراكب الروم ولم يكن أمراء

البحر فى الدولة الأموية يقلون مهارة وإقداماً عن أمراء البحر الروميين . وعلى الجملة فإن الدولة الأموية ظهرت بمظهر القوة القاهرة أما الأمم التى تجاورها من الشرق والشمال والغرب فى جميع أدوارها وكانت السيادة فى الجيوش للعنصر العربى لأن الدولة كانت عربية محضة لم ينازعها دخيل ولذلك لم نر من بين قوادها أعجمياً .

**القضاء والأحكام:**

لم يزل القضاء فى عهد الدولة على بسطته التى كان عليها فى عهد الخلفاء الراشدين إلا أن تناكر الخصوم أرشدهم إلى تسجيل الأحكام . قال محمد بن يوسف الكندى فى (كتاب الذين ولوا مصر) اختصم إلى سليم بن عنز ( قاضى مصر من قبل معاوية بن أبى سفيان ) فى ميراث فقضى بين الورثة ثم تناكروا فعادوا إليه فقضى بينهم وكتب كتاباً بقضائه ، وأشهد فيه شيوخ الجند . قال : فكان أول القضاة بمصر سجل سجلاً بقضائه .

ولم يكن القضاة يتقيدون برأى فى أحكامهم إذ لم تدون إذ ذاك أحكام فقهية يقر عليها الخلفاء يحتمون العمل على مقتضاها فكان الأمر راجعاً إلى القضاة أنفسهم أو إلى ما يشير به المفتون من كبار المجتهدين فى أمصارهم .

كان توبة بن نمر لا يملك شيئاً إلا وهبه ووصل به إخوانه وأفضل به عليهم فلما ولى القضاء بمصر فى عهد هشام بن عبد الملك كان يرى أن يحجر على السفيه والمبذر فرفع إليه غلام من حمير لا تحتوى يده شيئاً

وهبه بزره فقال توبة : أرى أن أحجر عليك يا بنى ، قال فمن يحجر عليك أيها القاضى ؟ والله ما نبلغ فى أموالنا عشر معشار من تبذيرك فسكت توبة ولم يحجر على سفيه بعد . فهذا الخبر يدل على مقدار ما كان للقضاة من الحرية فى اختيار الآراء التى يقضون بها . وأحياناً يطلبون من الخلفاء بيان آرائهم فى الحوادث المختلفة إذا اشتبه عليهم الأمر فيها كما كتب عياض بن عبيد الله الأزدى قاضى مصر من قبل عمر بن عبد العزيز إليه يسأله فى أمر الشفعة وأن سلفه كانوا يقضون فيها للأول فالأول من الجيران ، فكتب إليه أن يجعلها للشريك وحده وقال فإذا وقعت الحدود بين أهل الشرك فى الميراث أو غيره ضربت مداخل الناس التى يدخلون منها دورهم ،أرضهم فقد انقضت الشفعة .

بذلك كانت الأحكام تخالف بعضها بعضاً فى الأمصار المختلفة لأن المجتهدين لم يكونوا على رأى واحد ، ولم تلتفت الدولة إلى التفكير فيما يجمع كلمة المجتهدين على شئ يقضى به قضاتهم أو يحمل مجتهدى كل مصر على عمل ما يصلح لذلك المصر مستمدين من أصول الدين ، لم يفعلوا هذا ولا ذاك ، بل تركوا لكل قاض تمام حريته فى الحكم بما يراه .

كان يضاف إلى القضاة مراقبة أموال اليتامى وأول قاض نظر فيها عبد الرحمن بن معاوية بن خديج قاضى مصر من قبل عبد العزيز بن مروان ، فإنه ضمّن عريف كل قوم أموال يتامى تلك القبيلة وكتب بذلك كتاباً كان عنده . قال الكندى : فجرى الأمر على ذلك .

وكانوا يتولون الأحباس ، وأول قاض بمصر وضع يده على الأحباس

توبة بن نمر فى زمن هشام بن عبد الملك ، وإنما كانت الأحباس فى أيدى أهلها وفى أيدى أوصيائهم ، فلما كان توبة قال : ما أرى مرجع هذه الصدقات إلا إلى الفقراء والمساكين فأرى أن أضع يدى عليها حفظاً لها من التواء والتوارث . فلم يمت توبة حتى صار الأحباس ديواناً عظيماً وكان ذلك (سنة ١١٨) فذلك أول إنشاء ديوان الأوقاف بمصر .

وكان إختيار القضاة يرجع غالباً إلى أمراء الأمصار فهم الذين يعينون من يقوم بالقضاء بين الناس وأحياناً كانوا يولون من قبل الخلفاء أنفسهم وقاضى حاضرة الخلافة يختاره الخليفة وليس له أدنى إمتياز عن سائر القضاة ولا رأى فى اختيارهم .

ويظهر أن مرتبات القضاة لم تكن مما يحوجهم إلى مد الأيدى إلى السحت [1] . وكان عبد الرحمن بن مجيرة كان يتولى القضاء بمصر ومعه القصص وبيت المال فكان رزقة فى السنة من القضاء مئتى دينار ومن القصص مئتى دينار ورزقة فى بيت المال مئتى دينار وكان عطاؤه مئتى دينار وكانت جائزته مئتى دينار ، فكان يأخذ ألف دينار فى السنة ، وفى الكندى أمر بصرف مرتب قاض فى عهد مروان الثانى هذا نصه (بسم الله الرحمن الرحيم من عيسى بن أبى عطاء ألى خزان بيت المال ، أعطوا عبد الرحمن بن سالم القاضى رزقه أشهر ربيع الأول وربيع الأخر (سنة ١٣١) عشرين دينارا وأكتبوا بذلك البراءة كتب يوم الأربعاء لليلة خلت من ربيع الأول (سنة ١٣١) وبذلك يظهر أن الأرزاق كانت تصرف مقدماً .

(١) السحت : المال الحرام .

**الدواوين :**

كانت الدواوين لعهد بنى أمية ثلاثة :

١ - ديوان الجند .

٢ - ديوان الخراج .

٣ - ديوان الرسائل .

فأما ديوان الجند فإنه منذ وضع كان بالعربية ، لأن عمر إنما كلف بوضعه نابغين من العرب وهو عقيل بن أبى طالب ومخرمة بن نوفل وجبير بن مطعم ، وكانو كتاب قريش ، وكان هذا الديوان يحصر جند كل إمارة وأعيانهم وكل ما يختص بهم فهو ديوان (الحربية) .

وأما ديوان الخراج فإنه كان بالعراق باللغة الفارسية وببلاد الشام باللغة الرومية وبمصر بالقبطية وضرب معاوية أيضاً دنانير عليها تمثال متقلد سيفاً ، ثم تعريب الدواوين .

فلما قام عبد الله بن الزبير بمكة ضرب دراهم مدورة وكان أول من ضرب الدراهم المستديرة وكان ما ضرب منها قبل ذلك ممسوحاً غليظاً قصيراً فدورها عبد الله ونقش على أحد وجهى الدراهم محمد رسول الله وعلى الآخر أمر الله بالوفاء والعدل وضرب أخوه مصعب بن الزبير دراهم بالعراق وجعل على كل عشرة منهما سبعة مثاقيل أعطاها الناس فى العطاء.

فلما استوثق الأمر لعبد الملك بن مروان بعد مقتل عبد الله ومصعب

ابنى الزبير فحص النقود والأوزان والمكاييل وضرب الدنانير والدراهم فى (سنة ٧٦) فجعل وزن الدينار اثنين وعشرين قيراطاً إلا حبة بالشامى وجعل وزن الدرهم خمسة عشر قيراطاً سوى والقيراط أربع حبات كل دانق قيراطاً ونصف ، وكتب إلى الحجاج وهو بالعراق أن أضربها قبلك فضربها وقدمت مدينة رسول الله وبها بقية الصحابة رضى الله عنهم أجمعين فلم ينكروا منها سوى نقشها فإن فيه صورة وكان سعيد بن المسيب يبيع بها ويشترى ولا يعيب من أمرها شيئاً وجعل عبد الملك الذهب الذى ضربه دنانير على المثقال الشامى وهى الميالة الوازنة كل مائة دينارين أى أن النسبة بين المثقالين كالنسبة بين (١٠٠ و ١٠٢).

**أسباب السقوط :**

استولى البيت الأموى على خلافة المسلمين بالقوة والغلبة لا عن رضا ومشورة فإن معاوية بن أبى سفيان استعان بأهل الشام الذين كانوا شيعته على من خالفه من أهل العراق حتى تم له الأمر ورضى الناس عنه والقلوب منطوية على ما فيها من كراهة ولايته .

كان فى الأمة العربية فريقان عظيمان لا يرضون عنه وهم الخوارج وشيعة بنى هاشم الأولون ذوو إقدام وبسالة ألداء لا يقف فى أوجههم عما أرادوا شئ إلا الفناء والآخرون عددهم عظيم ومن السهل تحريك القلوب نحو نصرتهم لما لهم من شرف النسبة إلى رسول الله ﷺ وبيت هذا شأنه لا يصفوا له الملك إذا إتكأ على حسن السياسة والتأمت حوله القلوب التى تشايعه والتى سلت سيوفها لنصرته فإذا حل الخرق محل الرفق والقسوة محل اللين فسرعان ما تهب تلك القلوب من مكامنها فإذا لقيت قوة عادت

بالفشل وانتظرت فرصة أخرى إن وجدت شمل خصمها متفرقاً قضت عليه.

عرف ذلك معاوية فاستعمل من دروب السياسة مع رؤساء العشائر وكبار الشيعة ما ألان شكيمتهم وأسكن ثورتهم ، فكان يغضى عن الزلات ويعفو عن السيئات ، يسمع كلمة السوء إليه فيحملها على أحسن محاملها ويجعل من الجد مرحاً ومن العداء تقرباً ، ويخلط ذلك بالكرم الفياض الذى يذلل النفوس الجامحة ، ويقرب القلوب النافرة ، إلا أنه زل زلة كبرى قللت من قيمة عمله وهى اهتمامه بالغض من على بن أبى طالب على منابر الأمصار ، فكان هو وأمراؤه يفعلون ذلك حتى جعل النيران تتأجج فى صدور شيعته ، وكان منهم من يظهر بعد ذلك امتعاضاً وربما رد الجرئ منهم الأمير وجهاً لوجه فيكون من وراء ذلك إسراف فى العقوبة يزيد الأمر شراً كما حصل من زياد فى أمر حُجر الكندى .

ظهر من ذلك أن خلفاء البيت الأموى كانوا فى حاجة لتأييد سلطانهم إلى ما لا يحتاج إليه غيرهم ولكنهم لم يهتموا بذلك كثيراً فظهرت لهم جملة عيوب كانت سبباً فى القضاء عليهم وهى :

**أولا : ولاية العهد :**

كانت ولاية العهد سبباً كبيراً فى انشاق البيت الأموى ، وذلك أن بنى مروان اعتادوا أن يولوا عهدهم اثنين يلى أحدهما الآخر . وأول من فعل ذلك مروان فإنه ولى عهده عبد الملك ثم عبد العزيز فكاد عبد الملك يبدأ بشق هذا البيت حيث أراد تحويل ولاية عهده إلى ابنه الوليد وعزل أخيه لولا أن

ساعده القضاء المحتوم بوفاة عبد العزيز فلم تبدأ الأزمة ولكنه هو الذى رأى ذلك وعلمه ولم يستفد من تلك التجربة بل ولى الوليد وسليمان ، وخطر ببال الوليد أن يعزل سليمان ويولى ابنه فعاجله القضاء وأخر الأمر إلى حين. لم يستفد سليمان مما حصل له فولى عهده عمر ابن عبد العزيز ثم يزيد بن عبد الملك ولم يكن عمر يميل إلى يزيد فخيف منه فعوجل حتى قيل إنه سم ، وأعاد يزيد هذه الغلطة فولى عهده هشاماً أخاه ثم الوليد ابنه فأراد أن يخلع الوليد ولج فى ذلك حتى تباعد ما بين هشام والوليد ، وكان كثيراً من كبار القواد وذوى الكلمة المسموعة فى الدولة الأموية صرحوا بممالأة هشام على رأيه لكنه مات قبل أن ينفذ ما رأى فجاء الوليد مشمراً عن ساعد الجد فى الإنتقام من أولئك الخصوم الذين عليهم المعول فى إشادة بيتهم ومنهم بنو عمه وكبار أهل بيته فكان ذلك نذير الخراب فإن البيت انشق وتجزأت القوى التى كان يستند عليها فكان من وراء ذلك مجال واسع لخصومهم الذين هبت أعاصيرهم من المشرق فأخمدت منهم الأنفاس وجعلتهم أثراً بعد عين .

**ثانيا : إحياء العصبية الجاهلية :**

الجاهلية التى جاء فى الإسلام معفياً لأثرها ومشدداً فى النعى عليها لأنه رأى حياة الأمة العربية لا تستقيم مع هذه العصبيات التى أضعفت قواهم فى جاهليتهم .

وقد نبض عرقها فى أول الدولة المروانية فإن وقعة مرج راهط التى تلاها قيام مروان بالأمر كانت بين شعبين متناظرين وهما قيس التى كانت

تشايع الضحاك وكلب التى كانت تشايع مروان يقدمها حسان بن مجدل الكلبى .

وكان من نتيجة ذلك أن الجند الذى أرسله بقيادة عبيد الله بن زياد لحرب المختار بين عبيد الثقفى كاد يستأصل فإن عمر بن الحباب السملى كان على مسيرة ذلك الجيش وهو من قيس عيلان فلما قامت رحا الحرب على نهر الخازر كان أول من نكس لوءه ونادى يا لثأرات قتلى المرج وبذلك تمت الهزيمة على جند الشام وقتل عبيد الله وكثير من جند الشام ، فى الوقت الذى نبض فيه عرق العصبية الجاهلية بين قيس واليمن فى الشام وكان ما هو أشد منه فى خراسان ، فإن مسلم بن زياد أميرها لما علم بموت يزيد سار عنها واستخلف المهلب بن أبى صفرة وهو أزدى والأزد من اليمن فلما كان بسرخى لقيه سليمان بن مرثد وهو من ربيعة فقال له ضاقت عليك نزار حتى خلفت على خرسان رجلاً من أل اليمن فولاه مرو الروذ والفارياب والطالقان والجوزجان وولى أوس بن ثعلبة هراة فلما وصل نيسابور لقيه عبد الله بن خازم فقال من وليت خرسان فأخبره فقال أما وجدت فى المصر من تستعمله حتى فرقت خراسان بين ربيعة واليمن اكتب لى عهداً على خراسان فكتب له فسار ابن خازم إلى مروان وملكها وأخرج من بها من ربيعة فتوجهوا إلى أوس بن ثعلبة بهراة وقالوا له نبايعك على أن نسير إلى ابن خازم وتخرج مضر من خراسان فبايعهم على ذلك وسار إليهم ابن خازم واقتتل الفريقان بهراة وكانت الهزيمة على ربيعة بعد أن قتلوا جفاهم قتلاً ذريعا ثم عاد ابن خازم مروج .

وكان بنو تميم قد أعانوا ابن خازم لأنهم من مضر ، فلما صفت له خراسان جفاهم فتنكروا ، وكانت بينهم مواقع .

بذلك كان العرب بخراسان منقسة أقسام أربعة : اليمن وربيعة وقيس عيلان وتميم وهؤلاء الثلاثة يجمعهم نزار ويجمع الأخران مضر .

كانت الأمراء تساعد على إنماء الروح هذه الروح الخبيثة فإذا ولى يمانى رفع رؤوس أهل اليمن واستعملهم عمالاً على الأمصار ، فإذا تلاه مضرى عكس الأمر وانتقم من سلفه ومن عماله .

ولم يكن ذلك العراك يسكن إلا إذا كانت حروب خارجية مع الصغد والترك فهناك تجمع كلمتهم ويلتئم صدعهم للدفاع عن أنفسهم ، فإذا عادوا عاد الفساد وكان من هذا الإختلاف مجال واسع لخصوم البيت الأموى للذين يطالبونه بما فى يده مما ليس له فإن أبا مسلم الخراسانى اتكأ على ذلك فضرب كل شعب بالأخر حتى تم له الظفر بجميعهم ولا ننسى أن لشعراء العرب الذين نبغوا فى هذه الدولة يداً كبرى فى إنماء هذه العصبية، فمن قرأ أشعار الأخطل والفرزدق وجرير وغيرهم من شعراء القبائل المختلفة يتجلى له ذلك ، لا شئ أضر على الأمم من أن تنقسم طوائف فتنتمى إلى عناصر مختلفة وكل طائفة تتعصب لعنصرها فإذا كان مع ذلك الإنقسام جهالة فإن الكلمة تحق على الأمة ويقرب منها الفناء فإن الجهل يجعل روح العصبية موجهة إلى معاكسة المخالفين فتكون الأمة قوى متنافرة لا قبل لها بمن ينازعها بقاءها ، لم ينتج من إنماء العصبية الجاهلية فى قلب الأمة العربية ذهاب البيت الأموى وحده بل كان من ذلك ضعف

الأمة العربية نفسها وتغلب الأعاجم على أمرها حتى كان منهم ما كان فى عهد الدولة العباسية .

**ثالثا : تحكيم بعض الخلفاء من بنى أمية أهواءهم :**

فى أمر قوادهم وذوئ الأثر الصالح من شجعان دولتهم وهذا السبب متفرع عن السبب الأول والثانى ، فإن سليمان بن عبد الملك لما ولى بعد أن كان الوليد يريد إخراجه من ولاية العهد عمد إلى أن كان من هواه مع الوليد فأزلهم وحرم نفسه وأمته من الإنتفاع بتجاربهم فقد أهلك على بن القاسم وقتيبة بن مسلم وهما قائدان عظيمان من قيس بن عيلان ولا ذنب لهما إلا أنهما من صنائع الحجاج الذى كان هواه مع الوليد ولا يميل إلى سليمان . ولما جاء يزيد بن عبد الملك كان هواه مع آل الحجاج لأنه صهرهم وكان يزيد بن المهلب قد عذب آل الحجاج فخاف وهلع وكانت نتيجة ذلك أن فقدت الدولة بيت المهلب بن أبى صفرة وهو بيت طاعة من قديم وطالما كان له أعظم الآثار فى خدمة بنى أمية والأمة الإسلامية وكان بعد هذا شئ كثير فسدت قلوب الناس حتى كانوا ينتظرون من يجمع كلمتهم على الانتقام من بنى أمية ومن يؤازرهم .

الأمة التى ينتقم خلفها من عمال السلف لأنهم كانوا على وفاق معه تفقد صالح الأعوان وتحرم الاستفادة من تجارب العقلاء فلا يختمر لها رأى ولا يتضح فيها عمل تمر عليه الأمم سائرة إلى أمام وهى فى موقفها ولها حركة لا تبين فيها موقع أقدامها فلا تكاد تخرج من مذلة إلا صادفها أخرى يهديها التاريخ بِعِبَرِهِ فَتَعْتَبِرْ ، إئ تُساق إلى الفناء فتكون عبرة من العبر .

## الفهرس

## تابع الفهرس

## تابع الفهرس

## تابع الفهرس

## تابع الفهرس

## تابع الفهرس

## تابع الفهرس

## تابع الفهرس

## تابع الفهرس

## تابع الفهرس

## تابع الفهرس

## تابع الفهرس